

مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية

الجزء العاشر

مجموع

رسائل موحدية

من إنشاء

كتاب الدولة المؤمنية

اعتنى بإصدارها

الاستاذ

إ. لامي پروقانسال



١٩٤١

رباط الفتح

المطبعة الاقتصادية لصاحبها مصطفى بن عبد الله — شارخ بواتي بالرباط (المغرب الأقصى)

مجموع

رسائل موحدة

مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية

الجزء العاشر

مجموع

رسائل موحدية

من إنشاء

كتاب الدولة المؤمنية

اعتنى بإصدارها

الاستاذ

إ. لاثي پروقانسال



١٩٤١

رباط الفتح

المطبعة الاقتصادية لصاحبها مصطفى بن عبد الله — شارع بواتي بالرباط (المغرب الأقصى)

بيان أهم مطبوعات المصدر

إدارة النشرة الافرنسية لدائرة المعارف الاسلامية المطبوعة بليدن (هولاندا) من سنة ١٩٢٦ لغاية
إتمامها (١٩٣٩) ومجلة «هيسبيريس» من ١٩٢٦ الى ١٩٣٥ .
مؤلفات موضوعية باللغة الافرنسية :

- مؤرخو الشرفاء أي بحث في الاداب التاريخية والترجمة بالمغرب الاقصى من القرن السادس عشر (م)
الى القرن العشرين - في مجلد - باريس ١٩٢٢
- المخطوطات العربية بمكتبة الرباط - في مجلد - باريس ١٩٢١
- المخطوطات العربية - مكتبة الاسكوريال ، الجزء الثالث - في مجلد - باريس ١٩٢٨
- زاوية شالة وروضة سلاطين بني مرين (مع ٥٠ باسي) - في مجلد - باريس ١٩٢٣
- تأريخ مسلمي اسبانيا لدوزي - نشرة جديدة منقحة - في ٣ مجلدات - ليدن ١٩٣٢
- النقوش العربية التاريخية في اسبانيا - في مجلدين - ليدن ١٩٣١
- اسبانيا الاسلامية في القرن العاشر الميلادي : مؤسساتها وحياتها الاجتماعية - في مجلد - باريس ١٩٣٢
- المدينة العربية في اسبانيا ، نظرة عامة - في مجلد - القاهرة ١٩٣٨
- مواد لتاريخ الغرب الاسلامي من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية - في مجلد - القاهرة (تحت الطبع)
- دراسات إسبانية إسلامية - في مجلد - باريس (تحت الطبع)

منشورات ومترجمات :

- صحيح الامام البخاري ، نسخة ابن سعادة ، الجزء الاول - نشرة فونوغرافية في مجلد - باريس ١٩٢٨
- نبذ تاريخية جامعة لخبار المغرب الاقصى - في مجلد - باريس ١٩٢٩
- المسند لابن مرزوق - اقتباس وترجمة وتعليقات - في مجلد - باريس ١٩٢٥
- وثائق موحدة جديدة منها كتاب اخبار المهدي للبندق - نص عربي وترجمة وتعليقات - في مجلد - باريس ١٩٢٨
- كتاب السقطي في آداب الحسبة (مع ج. س. كولان) - في مجلد - باريس ١٩٣١
- كتاب مفاخر البربر لمؤرخ مجهول - في مجلد - الرباط ١٩٣٤
- رسالة ابن عبدون في الحسبة - في مجلد - باريس ١٩٣٤
- كتاب أعمال الاعلام لابن الخطيب - تاريخ الاندلس - في مجلد - الرباط ١٩٣٤
- ذكريات الملك عبد الله صاحب غرناطة - نص عربي وترجمة - مجرط ١٩٣٦
- شبه الجزيرة الابيرية عن كتاب الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري - نص عربي وترجمة وتعليقات - في مجلد - ليدن ١٩٣٨
- صلة الصلة لابن الزبير (القسم الاخر) - في مجلد - الرباط ١٩٣٨
- مجموع رسائل موحدة - في مجلد - الرباط ١٩٤١
- كتاب الذخيرة لابن بسام - المجلد الاول - اشترك في النشر مع الاساتذة طه حسين واحمد المكي وعبد الوهاب عنان ومصطفى عبد الرازق وعبد الحميد المبادي - في مجلد - القاهرة ١٩٤٠

مقدمة

اتفقت كلمة الباحثين المعتنين بماضي الغرب الاسلامي على المكان الذي يشغله العهد الموحد في تاريخ القرون الوسطى . ولا يستطيع أحد أن ينكر الآن أهمية الانقلاب المشاهد بشمال إفريقيا والاندلس حينما قام المهديُّ ابن تومرت بدعوة التوحيد ونجحت حركته الدينية السياسية الاجتماعية وأسست دولةً مستقلةً على يدي خليفته عبد المؤمن . وقد لبث تاريخ هذه الفترة الخطيرة معروفاً معرفةً إجماليةً حسبما عرضته المصادر العربية العادية المستفاد منها من زمان مثل «الرؤوس القرطاس» لابن أبي زرع و«الحلل الموشية» لمؤرخ مجهول و«كتاب العبر» لابن خلدون و«تاريخ الدولتين» المنسوب الى الزركشي وغيرها من التواريخ المتأخرة . أمّا المصادر المعاصرة للدولة فقد كانت تلفت بجميعها ما عدا كتاب وحيد وهو «المُعْجَب» لعبد الواحد المرّاكشي ، إلا أنه تأليف أدبي أكثر من تأريخي . ولا حاجة هنا الى التبسُّط فيما كان يتلقاه النقد من المصاعب كلّها حاول الفرق بين الحقيقي والخرافي في مختلف تلك المصادر المختصرة .

ولم يمض سوى قليل حتى ظهرت - لحسن الحظ - وثائق جديدة معاصرة للمعهد الموحدى . فمنها « كتاب أخبار المهدي » لصاحبه البَيْذَق الذي عثرنا عليه في مكتبة الاسكوريال بإسبانيا ونشرناه وترجمناه الى اللغة الافرنسيّة . ومنها جزء من « كتاب نظم الجُمان » لابن القُطَّان مشتمل على تأريخ ابتداء الموحدين وسيطبع عن قريب . ومنها سلسلة الوثائق المؤمّنة التي نقدّمها اليوم الى الجمهور المثقف وبالأخص الى غواة ماضي المغرب التاريخي الادبي .

••

تتركّب هذه المجموعة من سبعة وثلاثين رسالة رسميّة من إنشاء مهتمّي كُتّاب الخليفة عبد المؤمن وبنيه ، اقتبسنا جلّها من مجلّد خطّي مغربي مبتور الطرفيّين قد كان اكتسبه منذ سنوات صديقنا وزميلنا المستشرق ج . س . كولان . وتفضّل حينذاك بإعارته إيانا ؛ فنسدي اليه الشاء اللائق بهذا التّجمل .

لا يكاد من طالع هذه السلسلة يستصغر قيمتها من الوجهتين التّاريخيّة والادبيّة . أمّا من الوجهة التّاريخيّة ، فإنّها تعرض لنا بياناً مباشراً دقيقاً منظماً لأهمّ الحوادث التي وقعت في أيّام الموحدين من تدابير سياسيّة وإصلاحات اجتماعيّة وغزوات وانتصارات حربيّة . وأمّا من الوجهة الأخرى ، فإنّها ستمكّن كلّ من يدرس تطوّر الآداب بالديار الغربيّة الاسلاميّة من نماذج شتّى عن فنّ الكتابة الرسميّة في المعهد الموحدى ؛ كما ستأذن له مقارنة تحليليّة بينها وبين سائر المنتجات النثريّة المسجوعة

التي أنشئت في هذا المعنى ، لا سيما في دواوين البلاطات الاندلسية والمغربية قبل الموحدين وبعد سقوط دولتهم .

وليس من شأننا أن نطنب هنا في الكلام على متضمن المجموعة من ناحيتي النقد التاريخي والنقد الادبي ؛ على أننا معولون على نشر درس خصوصي باللغة الافرنسية على المواد الجديدة المتحصّل عليها عبر هذه الرسائل . فمن راجع درسنا سيجد فيه برهاناً عاماً قدّمناه من قيمتها ؛ وكذلك بعض الاشارات على أسلوبها الاصطلاحي ومميزاتها التعبيرية والضوابط الشكلية التي كان يراعيها الكتاب في الكتابة الرسمية .

سيرى القاريء اننا أضفنا الى المجموعة رسالة (وهي العاشرة) لم يقع نصّها في المخطوط وإنّا نقلناها من « كتاب صبح الاعشى » لقلقشندي . فلا بأس ان ننسخ هنا ما ذكره هذا المؤلف عن الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين . قال إنّها على أسلوبين ؛ الأسلوب الاول أن تفتتح الكتابة بلفظ « من فلان الى فلان » ؛ والأسلوب الثاني أن تفتتح الكتابة بلفظ « أمّا بعد » . أمّا الأسلوب الاول - وهو المستعمل بالاكثّر في السلسلة التي نشرها - فقال فيه : « وكان الرسم في الكتابة أن يقال : « من أمير المؤمنين الى فلان » ويدعى له بما يناسبه « الى فلان » ويدعى له بما يليق به ؛ ثمّ يؤتى بالسلام ؛ ثمّ يؤتى بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والترضية على الصحابة ؛ ثمّ عن إمامهم المهدي ؛ ثمّ

يؤتى على المقصود ؛ ويختم بالسلام . والخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة وميم الجمع عن المكتوب اليه (١) .

لا يحتاج المطلع على الرسائل الى طويل بحث ليتعرف حقيقة هذا الرسم الذي حدده القلقشندي ويلاحظ أن الكتاب كانوا يحافظون عليه كل المحافظة .

ولعل من الفائدة أن نقول الآن كلمة في شخصية كل واحد من أولئك الكتاب ؛ وهم حسب الترتيب الزمني أبو جعفر بن عطية ، وأخوه أبو عقيل ، وأبو الحسن بن عيَّاش ، وأبو الحكم بن المُرْخِي ، وأبو القاسم القالمي ، وأبو الفضل بن مُحْشَرَة ، وأبو عبد الله بن عيَّاش .

أما الأولان ، فهما أبو جعفر أحمد وأبو عقيل عطية ابنا جعفر بن محمد بن عطية القضاعيَّان المراكشيَّان . وكان أصلهما القديم من قرية بناحية طرطوشة بشرق الاندلس . وقد ترجم لأبي جعفر بن عطية عدد من المؤلفين كعبد الواحد المراكشي في «المُعْجَب» (٢) وابن الأبار في «الحلَّة السَّيْرَاء» (٣) وابن الخطيب في «الاحاطة» (٤) والمقري في «نفع الطيب» (٥) . ولد بمراكش في سنة ٥١٧ هـ وكتب للسلطانين المرابطيين علي ابن يوسف وابنه تاشفين . وكان ، على ما ذكره ابن الخطيب ، أحظى كتابهم . ثم لما انقطعت دولة المرابطين دخل في لفيف الناس وأخفى نفسه الى أن

(١) راجع «صبح الاعشى» (ط المطبعة الاميرية بالقاهرة) : ج ٦ ص ٤٤٣ . — (٢) راجع طبعة دوزي ص

١٤٤ - ١٤٤ . — (٣) راجع طبعة دوزي ص ١٩٨ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢٢٢ - ٢٣٤ . — (٤) راجع «مركز

الاحاطة» ، طبعة القاهرة ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٩ . — (٥) راجع طبعة بولاق ج ٣ ص ١٠١ - ١٠٤ .

استكتبه واستوزره بعد حين الخليفة عبد المؤمن في ظروف نبه عليها مترجموه .
وتصفه « الاحاطة » ككاتب « بليغ سهل المأخذ منقاد القريحة سيال الطبع
رائق الخط » . وبعد أن أدرك المحلّ الأبرز عند مولاه جرت له محنة وقتل
هو وأخوه أبو عقيل في أواخر سنة ٥٥٣ .

• وأما أبو الحسن بن عيَّاش ، فهو عبد الملك بن عيَّاش بن فرج بن
عبد الملك بن هارون الأزدى القرطبي وأصله من مدينة يابرة من غرب
الاندلس . وذكر ابن الأبار في « تكملة الصلة » (١) أنه صحب بني حمدين
بقرطبة وكتب لهم أيام قضائهم . ثم استخدمه الموحدون بعد ذلك في
الكتابة . قال ابن الأبار : « وكان عبد الملك ، مع تقدّمه في الآداب وتصرفه
في النثر ، مشاركا في النظم من أبرع الناس خطأ وأحسنهم وراقة . وكانت
له من الولاة منزلة جليلة . » وكانت وفاته سنة ٥٦٨ .

وأما أبو الحكم بن المرخي ، فهو علي بن محمد بن عبد الملك بن
عبد العزيز اللخمي الاشيلي ، وشهر بمعرفة ابن المرخي ؛ ولي خطة الكتابة
للموحدين . وقد ترجم له ابن الزبير في « صلة الصلة » (٢) وابن الأبار في
« التكملة » (٣) ترجمة مختصرة ؛ ولم يذكر تاريخي ميلاده ووفاته .

وأما أبو القاسم بن عبد الرحمن القالمى ، فلم نثر على ترجمته في معاجم
أدباء هذا العصر . إلا أن عبد الواحد المتراكشي أشار إليه في « المستعجب » (٤)

(١) راجع طبعة قديرة بمجريط . قم ١٧٢١ . — (٢) راجع طبقتا (الرباط ، ١٩٣٨) رقم ٢١٦ . — (٣) راجع

طبعة قديرة رقم ١٨٧٢ . — (٤) راجع طبعة سلا (١٣٥٧ - ١٩٣٨) ص ١١٩ ، ١٢١ ، ١٤٨ .

وعذّه من كُتّاب عبد المؤمن وابنه الامير أبي يعقوب يوسف . قال :
« استوزر عبد المؤمن أبا جعفر أحمد بن عطية ؛ فجمع بين الوزارة والكتابة
وهو معدود في الكُتّاب والوزراء ؛ فلم يزل عبد المؤمن يجمعهما له الى أن
افتتحوا بجاية ؛ فاستكتب عبد المؤمن من أهلها رجلاً من نبهاء الكُتّاب
يقال له أبو القاسم القلمي . » ثم قال إنه « من أهل مدينة بجاية ، من ضيعة
من أعمالها تُعرف بقالم . »

وأما ابن مُحْشَرَة ، فهو أبو الفضل جعفر بن مُحَمَّد بن علي بن طاهر
ابن تميم القيسي من أهل بجاية . وأصل بيته من قلعة بني حمّاد . وقد ترجمه
الغُبَريني في كتابه « عنوان الدراية »^(١) وذكر أن الخليفة ابن عبد المؤمن
استدعاه الى حضرته مرّاً كاش واستكتبه ، وأنه ولد سنة ٥٤١ أو قبلها
بيسير وتوفي سنة ٥٩٨ .

وأما الاخير من أولئك الكُتّاب ، فهو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد
العزيز بن عبد الرحمن بن عُبَيْد الله بن عِيَّاش التجيبي ؛ أصله من قرية
بُرْشانة من عمل المريّة بجنوبي الاندلس ، ولد بها سنة ٥٥٠ . وقد ترجم له
صفوان بن إدريس في « زاد المُسافر »^(٢) وابن الأَبّار في « التكملة »^(٣) وفي
« إعتاب الكُتّاب »^(٤) وابن الخطيب في « الاحاطة »^(٥) . فذكر ابن الأَبّار
أنّه « كان عالماً بالآداب ، رئيساً في صنعة الكتابة ، خطيباً مصقّعاً بليغاً

(١) راجع طبعة ابن ابي شنب (الجزائر ، ١٣٦٨ - ١٩١٠) ص ٣٠ - ٣٢ . — (٢) راجع طبعة محمّد (بيروت ، ١٣٥٨ -
١٩٣٩) رقم ٤٦ ص ٩٤ - ٩٥ . — (٣) راجع طبعة قديرة رقم ٩٥٢ . — (٤) راجع مخطوط المكتبة الشريفة
بالرباط رقم ٤٠٩ . — الترجمة السبعون . — (٥) راجع مخطوط المكتبة الاسكوريالية رقم ١٦٧٣ ص ٥٠ - ٥٢ .

مفوّهاً ، ذا حظّ صالح من قرض الشعر ، وأنّ السلطان بالمغرب استكتبه في سنة ٥٨٦ هـ ؛ فقال دُنْيا عريضة . « وتوفّي بمراكش في العشر الاواخر من جمادى الآخرة سنة ٦١٨ . أمّا ابن الخطيب ، فقال في حاله ، ناقلاً عن ابن عبد الملك المراكشي : « كان كاتباً بارعاً فصيحاً ، مُشرفاً على علوم اللسان ، حافظاً للغات والآداب ، جزلاً ، سريّ الهمة ، كبير المقدار ، حسن الخلق ، كريم الطباع ، نفّاعاً بجاهه وماله ، كثير الاعتناء بطلّبة العلم والسعى الجميل لهم وإفاضة المعروف على قُصّاده ، مستعيناً على ذلك بما نال من الثروة والحظوة والجاه عند الأُمراء من بني عبد المؤمن ، إذ كان صاحب القلم الاعلى على عهد المنصور وابنه ، رفيع المنزلة والمكانة لديهم ، قاصداً الاعراب في كلامه لا يخاطب أحداً من الناس على تفاريق أحوالهم إلّا بكلام مُعَرَّب ؛ وربّما استعمل في مخاطبة خدّمتِه وأمتِه من حُوشي الالفاظ ما لا يكاد يستعمله ويفهمه إلّا حُفّاط اللُغة من أهل العلم : عادة أَلِفها واستمرّت حاله عليها . »



لا يسعنا أن نختم هذه الكلمات التمهيدية دون أن نقضي واجباً . وهو أن نتقدّم الشكر إلى أصدقائنا وزملائنا الشرقيين وبعض الغربيين الناطقين بالضاد^(١) ، لما تفضّلوا منذ سنوات - ولا يزالون - من الاعتراف بسعيينا المواصل لدرس المدنيّة الاسلاميّة في العصور الوسطى ، وبجهودنا لاستكشاف بعض نواحيها المنهمة ونشر مصادرها التي أُتيح لنا

(١) عن لا يمثل كلمة الحديث المشهور : « خالفوم ! »

إخراجها من زوايا النسيان ؛ وبقيامنا بالدفاع عن تلك المدنية ، والتقدير
لمجدها ، والرفع لمنازها ، والانتصاف لدورها البارز وتأثيرها المكين في
نهضة الفكر الانساني واشتراكها في ازدهار الآداب والفنون الجميلة في
أورُبا . فنتمَنَّى أن يساعدنا الدهر في المستقبل ، ولا يخيب أولئك الأصدقاء
في مأمولهم مِنَّا ، وأن لا تزال الأيام تؤهِّلنا لعطفهم وتشجيعهم وتحيزهم ،
وتمكِّننا من تتبُّع نشاطنا الدراسي العادي ، بحسب ميلنا اليه وعنايتنا بمختلف
مظاهر الثقافة العربيَّة وتجديدها الحالي المُعجب .

ا. ل. ب .

الرباط في ٨ مارس ١٩٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرسالة الاولى

وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر أحمد بن عطية :

من أمير المؤمنين - أَيْدِهِ اللَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُ بِمُعُونَتِهِ - إِلَى الطَّلَبَةِ
الَّذِينَ بِسَبْتِهِ وَجَمِيعٍ مِنْ فِيهَا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ خَاصَّةً وَعَامَّةً - وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ
وَسَدَّدَهُمْ - سَلامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُوَلِيِّ الرِّغَائِبِ ، وَمُسْنِي الْأَمَالِ وَالْمَطَالِبِ ،
وَقَابِلِ تَوْبَةِ النَّائِبِ ، نَحْمَدُهُ بِمَا يَتَعَيَّنُ مِنْ حَمْدِهِ الْوَاجِبِ ، وَنُصَلِّي عَلَى
مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْعَاقِبِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْمَفَاخِرِ السَّنِيَّةِ وَالْمَنَاقِبِ . وَنُصَلِّ
الرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ ، الْمَحْرُزِ شَرَفِ الْمُبَادِي
وَالْعَوَاقِبِ ، الْمَجْلِيِّ بِنُورِهِ الثَّاقِبِ ، حُجْبِ الظَّلَامِ الْوَاقِبِ . وَكُتِبَ نَاهُ إِلَيْكُمْ -
كُتِبَ اللَّهُ لَكُمْ شُكْرًا مُوَالِيًا مُعَادًا ، وَتَوْبَةً تَجْمَلُونَهَا قَاعِدَةً لِأَعْمَالِكُمْ
وَعِمَادًا ، وَصَلَاحًا لَا يَفَارِقُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَمَاءً أَوْ ازْدِيَادًا - مِنْ حَضْرَةِ مَرَّ اكْش -
حَرَسَهَا اللَّهُ - وَقَدْ وَصَلْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَتَمِّ أَحْوَالِ الظُّفْرِ وَالْيَمِينِ ، وَعُدْنَا
إِلَيْهَا تَحْتَ ظِلِّ السَّلَامَةِ التَّامَّةِ وَالْأَمْنِ ؛ بَعْدَ كَمَالِ الْغَزْوَةِ الْمُبَارَكَةِ وَتَمَامِهَا ،
وَإِطْفَاءِ نَارِ الْفِتْنَةِ بِرُودِ الْهُدْنَةِ وَسَلَامِهَا ، وَإِصْاقِ أَنْوْفِ الْكُفْرَةِ الْمُرْتَدِّينِ

برغامها، وقطع دابر القوم المجرمين في هذه الجهة وما انتظم في نظامها؛ ونال الغزاة في هذه الحركة الميمونة من الأجور، والمغنم الموفور، والفضل الذي ينشر عليهم أجنحته يَوْمَ النشور، ما لا يتمكّن لأحد من البشر وصفه على حال، ولا يتأتّى لمخلوق نَعْتُهُ على استيفاء وإكمال. فطوبى ثمّ طوبى لمن حضر في سبيل الله فأحضر، وأخلص نيّته في غزوه الميمون بمبلغ ما استطاع وقدر، وتساعدت جوارحه في تخلص ما اكتسب من هذه الفضائل وأذخر.

وإنّ النعمة - وفقكم الله - بهذه الفتوح العيمة العامّة شاملة على من أخذ بهذا الأمر العزيز ودان، وتزايًا بحلّته الهيّة فازدان؛ فهي الفتوح التي ظهر بها من آيات المهدي - رضي الله عنه - العجب العجائب، وفاض فيها من بركاته الفيض المنساب، ودرّت بها الأرزاق وانتشر الأمن وكرم المآب. وكان أمرها مخصوصاً بالمرتدين الخاسرين؛ فحقهم وطيسها الشديد الغلاب، وليس لله على ذلك إلا الحمد والشكر والمتاب. فاشكروا الله، عباد الله، شكرًا دائماً مستمراً مع الاحيان، وأحسنوا ضمائركم، وطهروا سرائركم، في مقابلة هذا الاحسان، وتوبوا إلى الله جميعاً توبةً نصوحاً غاسلةً للقلوب من الادران؛ فالتوبة أصلٌ للأعمال الراجعة، والمتاجر الراجعة؛ ونعوذ بالله من الخسران. وقد آن لكم، أيّها المؤمنون، أن تجددوا توبتكم تجديداً وكيداً، وتغنموا من هذه النصائح التي تتداولكم حظاً مفيداً، وتشهدوا الله على التمسك بعصم الايمان، وكفى

به شهيدا . فبادروا - رحمكم الله - إلى طاعة الله تعالى في الملاينة و النجوى ،
و شدوا أيديكم على هذا الجبل الامتن الاقوى ، واعلموا أنكم راحلون ،
فتزودوا ، فإن خير الزاد التقوى ؛ وحافظوا - أصلحكم الله - على
إخلاص النيات ، والتزام الصلوات ، وسائر أعمال الطاعات ، وتلاوة
القرآن والتوحيد فهي أكرم التلاوات . واصفحوا ، واصلحوا ، وتعاملوا
بالخير تفلحوا ، و اقرعوا أبواب الرحمة بإيمان الايمان تستفتحوا ؛ وواظبوا
على تغيير المنكر وأتمروا بينكم بمعروف تنجحوا . واشتغلوا بدينكم
اشتغالا يخلصكم ، والتزموه التزاما يخصكم على الدوام ويحترصكم ؛
وتزيدوا من الاعمال الصالحة في هذه الاعمار التي لا تزال مع اللحظات
تنقصكم . ورحم الله إمرءا سمع النصيحة فابتدريها ، وجاهد نفسه على طاعة
الله فقهرها ، وأخذ عليها مأخذ الشهوات فنهاها بالحق وأمرها . أعاننا الله
وإياكم على شكر نعماءه ، وطلب رحمائه ؛ بعزته . والسلام .

الرسالة الثانية

وهي أيضا من إنشاء السكراب أبى جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونه - إلى الشيخ
الفقيه القاضي أبى القاسم محمد بن الحاج - أدام الله كرامته بطاعته وتقواه -
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حمد الله الذي عَمَّتْ برحمته نَعْمُهُ ، والصلاة على مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ
الذي انجابت بنوره حنادسُ الكُفر وظلمُهُ ، وعلى آلِهِ وصحبه الذين
عُرِفَتْ في هديهم أخلاقُهُ العظيمة وشيَمُهُ ؛ والرضا عن الامام المعصوم ،
المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله ثابتاً في بسطه قَدَمُهُ ، ظاهراً في تمشيته
في البسيطة سبْقُهُ وتقدُّمُهُ ؛ فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كتب الله لكم عقد
الايمان وربطَهُ ، ونظم لكم بطاعته سلك العمل وسمطَهُ - من حضرة
مُرَّاكش - حرسها الله - ونحنُ نشكره سبحانه على إفاضة الخير ونشره ،
وصلة تيسيره لأوليائه ويسره .

وقد وصلنا أخوكم الشيخ الجليل أبو مُحَمَّد ، وابنكم أبو الحسن ،
وصاحبكم الشيخ الكاتب أبو عبد الله بن زَرْقُون - أكرمهم الله
بتقواه - فأدوا من حق هجرتهم البرّة ما قلّدوه ، ونالوا من خير الزيارة
والبيعة ما اعتمدوه ؛ ثمّ انصرفوا مبرورين مسرورين بما أَلَقَوْه من بركة
هذا الامر الكريم ووجدوه . وقام عذرُكم - وفقكم الله - على ساقه
فَقُبِلَ ، ومَثَلَ وَلَاؤُكُمْ نائِباً عن الوصول فوَصِلَ . ولكم عندنا - وفقكم
الله وأكرمكم - من حظوظ التقريب والايثار ، وموالاة التنبيه على
سبيل الدوام لكم والاستمرار ، فوق ما تَوَمَّلُونَهُ ، وخير ما تستقبلونه .
فاشكروا الله تعالى على ما وهبكم ، وتقربوا إليه بالاعمال الصالحة يضاعف
قربكم ، والله يحفظ إيمانكم وأمانتكم ممّا لكم ورتبكم ؛ بمنه . والسلام .

الرسالة الثالثة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :
من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الطلبة
الذين بصنّهاجة تأسفرت والمشيغة والاعيان والكافة - وفقهم الله
وأعانهم على ما يرضاه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .
أمّا بعد حمد الله على أنعمه التي أضفاها ، ورحمته التي رجو أن
تُقربنا زلفاها ؛ والصلاة على محمد نبيّه الذي قضى حقوق الامانة ووفّاها ؛
ومحا بأمر الله آثار الكفر وعفاها ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهدي
المعلوم ، وليّه الذي تقبل سُبُل الهداية واقتفاها ، وأقام رسوم الشريعة
على رغم من مجدها ونفاها ؛ فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم أجرَ مَنْ
جاهد واجتهد ، وتوكّل على صادق وعده واعتمد - من حضرة مرّاكش
- حرسها الله - في السابع والعشرين من ربيع الاوّل سنة ثلاث وأربعين
 وخمسمائة ، وكلمة الحق بفضل الله لا تفارق سماءاً وعلوّاً ، وأمرُ الله
يكبت أعداءه عدوّاً فعدوّاً ، وبركاتُ إمامنا المهديّ - رضي الله عنه -
تتزيّد على مرّ الزمان رواحاً وغدوّاً .

وقد صدرنا - وفقكم الله - على الحضرة العلية تيمّلاً - كرمها الله -
بعد أن قضينا بحمد الله أوامارنا ، واقتضى النظرُ في المصالح صرفنا
وإصدارنا ؛ واجتمعنا بالجماعة الواصلة من قبلكم على أحسن حال ، ووعينا

جميع ما تحملوه من مقال ؛ ومن قبلهم تقفون إن شاء الله على مقتضى نظرنا ومعناه ، وينتهي إليكم بحول الله ما رأيناه . وتصلكم طيِّ كتابنا هذا نسخة كتاب خاطبنا بمثلها كل جهة من جهات الموحدين - وفقهم الله - فيما قرب وبعد ، وحملناها من الوصايا ما نرجو أن يعين على أمر الله ويمضد ، ورأيانا إفاذها إليكم لتسالوا من بركات ما تجدون إثره قريبا ، وتحوزون من خيره حظا وافرا ونصيبا . فاشكروا الله تعالى على ما وهبكم من فضله ، وخصكم به من عميم طنوله ؛ واعلموا مقدار ما نلتموه من الاجر في صبركم وجهادكم ، وإخلاصكم لهذا الامر - أعلاه الله - بحمیل اعتقادكم ؛ وسترون من بركات ما تحمدون به آراءكم ، وتجنون ثمرته لكم ولمن وراءكم - يسركم الله للخير ، وجعلكم ممس سار في مرضاته أكرم السير - والسلام الكريم عليكم ورحمة الله .

الرسالة الرابعة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الشيخ الأجل أبي زكرياء يحيى بن علي - وفقه الله ويسره لما يرضاه - سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد فالحمد لله الذي ظهرت قدرته ، وختمت بالسعادة لأهلها فطرته ، وأقامت أود الدين معونته الغالبة ونصرته ؛ والصلاة على محمد

❖ للكاتب أبي جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن ❖ ٧

نبيّه صلاةً تكتنفه بها ذاته الطاهرة وآلهُ وعثرتهُ ، وعليهم أجمعين من السلام الطيب ما ينعمهم نعيمه ونضرتهُ ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، الذي تهلّت به قسّمات الدين وأسرتهُ ، وانفجرت بهدايته أزمات الامر وعسرتُهُ . وكتّابنا إليكم - كتب الله لكم أسعد الاعمار عاقبةً وتاماً ، وأقرب الاقدار اتّصلاً بمنازل الابرار والمأما ، وأغود الاقطار بجوامع الاختيار ربطاً لها ونظاماً - من حضرة مرّاكش - حرسها الله - ونحن نسأل الله عوناً على ذكر أيّاديه التي لا يحصرها حاصر ، ونعمه التي كلُّ لسان في وصفها قاصر ، ونستنصره على القيام بحقوقها فهو وليّ وناصر ؛ ونقبل بولاء الايمان وإخلاصه على كلّ من أقبل وأخلص ، ونبادر بكرم الاجابة إلى كلّ من جنح نحونا وحرص ؛ ونصل في ذات الله كلّ وليّ وصل ووالى ، وتلقاه من قبولنا بما يستمرّ نفاؤه ويتوالى . وما غرضنا - والله يوفّقكم - إلاّ خيرٌ بجميع المسلمين شامل ، ورشدٌ لا يخب عن أمله آمل ، وصفاءٌ للمصافي آخذٌ بأداب الله عامل . وقد تواردت علينا كتُبُ الطلّبة الذين بالاندلس - وفقّهم الله - يعلّوننا بما أنتم عليه لهذا الامر - كرّمه الله - من الميل والنزوح ، وبما بينكم وبينهم من الاتّصال الصريح ، والتعاون في ذات الله القائم على الولاء الصحيح ؛ وذكروا من تحقّقهم لمحبتكم وصفائكم ، واختبارهم لصدق عهدكم ووفائكم ، ما عقده الرأي الموفق وسدّده ، وأوصله التحقيق موصله وأشدّه . ثمّ وصل الشيخ أبو فلان فشافه من ذلك بأغراض جميلة مستحسنة ، وآراء

ظاهرة في الصلاح بيته ، ووصف جانبكم الاثير ، في إرادة الخير ، بأوصاف
مُفصَّحة بكرمه مُعلنة . فتلقينا ذلك كله تلقى الرضا والاستحسان ،
واستقربنا غاية عهدكم بما استقربناه من ذلك العنوان ، وسرَرنا أن تكونَ
لهذه الطائفة العزيزة من أخلص الاخوة في ذات الله والاخوان .
وهذا الامر - وفقكم الله - هو أمر المهدي - رضي الله عنه - حقٌّ
فتأمَّل ، ومع معالجه الجلاء فلا ظنٌّ ولا تخيُّل ؛ والمهدي - رضي الله عنه -
قد بشر به النبي - صلى الله عليه وسلم - في غير ما حديث ، وظهرت
علاماته وآياته في قديم مزامره وحديث ؛ ودلَّ على اسمه وزمانه ، وفعله
ومكانه ، بأدلة رفعت الاشكال والتعسف ؛ فأنتي - رضي الله عنه - كما نعت
النبي - عليه السلام - ووصف ؛ وقال - صلى الله عليه وسلم - فيه وفي
طائفته العزيزة ما قد ظهر ظهور الاشاعة والاذاعة ، وقضى بوجوب
الايثار والايتمام والطاعة ، وأخبر في جملة ما أخبر به عنهم أنَّهم يقاتلون على
الحقِّ إلى قيام الساعة . والامر في ذلك كله من الوضوح والجلاء بحيث لا
يحتاج إلى بيان ، ولا يفتقر إلى إقامة برهان ، فهو معلوم كما أنبأ به الخبر
الصحيح في العرب والعجم والبدو والحضر في كلِّ ديوان وإوان . وقد
تبَيَّن الصبح لذي عَيْنَيْن ، وجدع الحقُّ أنف الكذب والمَين ، وجلت
الهداية ضدَّ الضلال والرَّين .

وأنتم - وفقكم الله - أولى من شدَّ على هذا الامر - كَرَّمه الله -
يد المتمسِّك ، وأحلَّ نفسه بمجوحة هذا المنسك ، وأقام دينه على هذه

القاعدة التي هي نجاة المؤمن ومهواة المشرك . والذي لكم عندنا - وفقكم الله - من إرادة الخير واعتقاده ، وإسعاف أملككم فيه وإسعاده ، ما تميل إليه الافئدة ، وتجنح نحوه النفوس المسترشدة . فاعلموا ذلك علم اليقين ، واعقدوا عليه عقد المغتبط الضنين . وإننا ينبغي أن يقع موقع السرور المتمكن ، ويتخلل جذله جوانحك تخلل المبالغ الممعن ، ما خص الله به مَسُوفَة - أكرمهم الله - الذين هم من قبيلتكم وفصيلتكم ، فإنَّ حبَّهم ثبت لهذا الامر على تحقُّقه وتبُّته ، وقام ودُّهم له في مواطن الصفاء وقبلته ، وهاجروا اليه وهجروا سواه ، وكانوا إلفاً على من أراد به سوء ونواه ؛ وظهر ولاؤهم ظهوراً أغنى عن وصفه اشتهاره ، وصفا أديمه فاتضح نهاره ؛ واشتمل عليهم منه بفضل الله أكرم مشتمل ، وعاد عليهم بكلِّ متمنى ومتأمل .

وكذلك الشيخ أبوزكرياء يحيى بن إسحاق بن إبراهيم - أعزّه الله - وبنوه وقرابته - رعاهم الله - قد تمكَّنوا من محبته في أعلى الرُتَب ؛ واعتقدوه لما وجدوه كما قصدوه غاية المطلب ؛ فاتَّسعت لهم ولسواهم من أعيان القبائل المذكورين كافةً أكنافه ، واستقرَّ بهم إلى منازل البرِّ والترفع استدناؤُه واستعطافُه ، فهو آلفُهُم بفضل الله عليهم وهم آلفه . وإنَّ كُتُبَ جماعتهم لترِدُّ من صحرائهم ، وتقرّر ما لديهم ، من حسن أغراضهم وسداد آرائهم .

ومثلكم - وفقكم الله - اقتطع لنفسه من هذه الحظوظ المباركة بأوفائها ،

وَأَخَذَهَا عَنْ أَحْفَلْ وَجُوهَهَا وَأَحْفَاها ، فَدَنَا بِرُكَّتْهَا وَقَرَّبَ زُلْفَاها . جَعَلَنَا
اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مُمَّنَّ نَوَّرَتْ الْحِكْمَةُ قَلْبَهُ بِنُورِها ، وَمَلَأَتْ الْمَحَبَّةَ جِوَانِحَها
بِإِشْرَاها وَسُرُورِها ، وَأَتَتْهُ آمَالُ الصَّلَاحِ بِمُنْقَادِها وَمِيسُورِها ، بِمَنْ اللَّهُ
وَعُونَهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

كُتِبَ فِي التَّاسِعِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

الرسالة الخامسة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُ بِمُعُونَتِهِ - إِلَى الطُّلُبَةِ الَّذِينَ
بَسَبَتْهُ - وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ وَأَدَامَ كِرَامَتَهُمْ بِتَقْوَاهُ - سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ فَاتِحِ الْفَتْوحِ ، وَوَاهِبِ الْخَيْرِ الْمُنُوحِ ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى
مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْأَمِينِ النَّصِيحِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْآخِذِينَ بِأَخْذِهِ الْمُحْضِ
وَقَصْدِهِ الصَّرِيحِ ؛ وَالرِّضَا عَنْ الْأَمَامِ الْمَعْصُومِ ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ ، الْقَاطِعِ
بِأَمْرِ اللَّهِ آثَارِ الْكُفْرَةِ مِنَ الْأَقْطَارِ الْمَعْمُورَةِ وَالْمَهَامَةِ الْفَيْحِ ؛ فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ
إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فِي طَاعَتِهِ سَعِيًّا مُتَقَبَّلًا ، وَجَعَلَ الصَّلَاحَ مُتَّبَعًا لَكُمْ
وَمُتَقَبَّلًا - مِنْ حَضْرَةِ مُرَاكَشٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَنَحْنُ نُوَالِي بِشُكْرِهِ
سُبْحَانَهُ عَلَى مَا يُوَالِيهِ سُبْحَانَهُ بِأَمْرِهِ الْعَظِيمِ مِنْ إِظْهَارٍ دَائِمٍ ، وَعِضْدٍ بِنَصْرِ
أَوْلِيَائِهِ قَائِمٍ ، وَإِرْدَافِ حِزْبِ ظَافِرٍ بِحِزْبِ غَانِمٍ .

وَقَدْ وَصَّلْنَا - أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ - بِمُخَاطَبَتِكُمُ الْإِثْرَةَ . فَوْقَفْنَا عَلَى مَا سَنِي

الله تعالى لصاحبكم أبي محمد عبد الله بن سليمان وأصحابه النافذين معه في
القطاع - عمرها الله - حين ركبوا ثبج البحر غزاةً في سبيل الله ،
مستمطرين من ماء الرحمة على متون تلك الأمواه . فكان من تسهيل
الله لهم ما كان ، وظهر صنعه الكريم لأوليائه وبان ؛ واجتازوا بأهل
مالقة والمنكب فأظهروا لهم من أحوال الامتناع ، والاستعداد للدفاع ،
ما أظهروا ، وأبدوا سلاحهم مجاهدين وشتموا . ثم استخاروا الله على
قصد الرية فألفوها قد أخذت بأشعار أولئك الاشقياء حذرهما ، وجمعت
على دفع ما لا يدافع من أمر الله أمرها . فصبحها أولياء الله بكرةٍ باكرتها
بحنفها ، وقطعت دون المدافعة ما قطعه من سيوفها وأكفها ؛ والكفرة
الذين بها يرون ما لم يستطيعوا من ضم شخايرهم وتحصيلها ، وتفريقها
من وسقها ومحمولها . فلما أظلت عليهم تلك القطاع المباركة قاطعة
برومهم ، قارعة لقلوبهم الخيثة بهول صباحهم ذلك ويومهم ، راموا
التحصن بالشخاير المذكورة فلووها سلاحاً ورجالا ، وتحيلوا من رد أمر
الله خيلاً فاسداً وضلالاً . فبادر من بادر من الموحدين - أعانهم الله -
إلى الجبال التي وثقوا بها شخايرهم المذكورة في البر ، واعتقدوا الاسناد
إليه بها جنة من ذلك الامر ؛ فقطعوها قطعاً بئاً ، وفتوا بصرمها عن
البر أعضاء الكافرين فتاً . فلما عين أعداء الله جباهم أنكاثاً ، ولم يجدوا
دون سفار الموحدين غيائاً ، بادروا التراسي في الماء ، واغتموا الفرار طمعاً
في الابقاء على ذلك الدماء . فاقتنى الموحدون بالقتل آثارهم ، ووصلوا

باللحاق المستأصل فرارهم ؛ ودخلوا عليهم الباب آمين ، وتخللوا أثناء القطر المذكور - أعاده الله - لاستنفاذهم طالين . فلما اخترقوا من أقطاره ما اخترقوا ، وحرقوا من منشيئات الكافرين ما حرقوا ، استأصلوا بالقتل كل ما أدرکوا منهم ولحقوا ، ورأوا أن وصولهم إلى المسجد الجامع هناك مدرک ما ابتدروا واستبقوا . ثم أخذوا على بركة الله في الانصراف إلى قطائعهم ، والعود إلى مواضعهم واحتشوا على ما كان بالمرسى المذكور من الغراب والشخاير وحرقوا ما لم يمكنهم جلبه ، ولا توجه له منهم طلبه ؛ وغنموا من تلك الآلات الحربيات ما أتى الوصف على ذكره ، وأحاط الاعلام بقدره . وعادوا بفضل الله ظافرين بأربح تجارة ، ظاهرين بأوضح علامة للنصر وإمارة . فالحمد لله الذي آيد وأسعد ، ومهد لأوليائه من أكناف أعدائه ما مهد .

ووقفنا على سائر ما ذكرتموه وأعلمتم به من سؤال ذلك الوعد ، والخروج به عن سبيل القصد ، إلى غير ذلك مما يتبين من ذلك المضر الفاسد والعقد ، والله كفيل بقهر من خادع ، وقاطع .

ووقفنا على ما ذكرتموه من وصول ابن مقدم إلى ما ذكر لكم من التعاون معكم في تلك الغزوة المباركة فألفاكم بحمد الله قد فزتم بربحها ، واختصصتم بمنحها ، إلى سائر ما يشتمل عليه كتابكم من الانباء ، الجامعة لفصول السراء . فاشكروا الله تعالى على ذلك شكراً يكون لفضله

﴿ للكتاب أبي جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن ﴾ ١٣

مستزيدا ، ورددوا ذكر آلائه ترديدا ، واستديموا ببركة المهدي - رضي الله عنه - حظاً من التوفيق سعيدا .

وأما ما ذكرتموه - أكرمكم الله - من أمر أولئك التجار الذين يحملون المرافق إلى مالقة وأمثالها فلتنظروا نظراً أكيداً في قطعهم ، وردعهم ؛ ولا سبيل لاحد من خلق الله أن يمدَّ أحداً من تلك الاصناف بمادة حتى يتضح وجه ما ادَّعوه وتعرفونا بذلك ليرسم لكم ما تعتمدون عليه . وكلُّ من أخذ حاملاً إليهم مادة ، فالسيف جزاؤه ، والقتل من تلك العادة ، دواؤه . فاعتمدوا - وفقكم الله - على ما ذكرناه ، واجتهدوا فيما أمرناكم به قبل هذا والزمناه ؛ وكونوا على قدم الاستعداد ؛ والمستعانُ الله . والسلام .

الرسالة السادسة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الشيخ أبي فلان وجماعة المشيخة بقرطبة - حرسها الله وأدام كرامتهم بتقواه . سلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد فإننا نحمد إلكم الله الذي يصل الفتوح لأوليائه بفتوح ، ويلهم الراشدين من عباده إلى كل رأي نجيح ، ويقرب للمتقربين بالتوبة النصوح ، كل آثم شاسع ومأمول نروح ، ويشفي بدواء الاقالة ، من مرض

البطالة ، كل كبد ذات كبد ، وقرينة ذات قروح ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من علم وحدانيته على جلاء من آياته ووضوح ، واستنفذ جهده في شكر ماله من خير موهوب وفضل ممنوح ؛ ونصلي على محمد نبيه المصطفى صلاة يستقبل بها من رحمته شطر باب مفتوح ؛ ونستنزل ببركتها على جنابه الانضر كل سحب سفوح ، وعلى آله الاكرمين وأصحابه الظافرين من هداه بحظ ربيع ، الجائلين في ميادين حقائقه ، وأتباع طرائقه ، مدى أجل فسيح ؛ ونصل الرضوان المستدام ، على من وجب الله الاقتداء به والائتمام . الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله قيام من كان لله ولرسوله ولكافة المؤمنين خير نصيح ؛ والداعي إلى ما أمر الله بالدعاء إليه على ما جبله عليه من صحة بالهداية وتصحيح .

وهذا كتابنا اليكم - كتب الله لكم بطاعته من مقامات المغفرة خير مقامة ، وأدام لكم نصرة ما استقبلتموه ، ونصرة ما أملتكموه ، أكرم إدامة ، وأقام لكم في العالمين من شواهد الاخلاص أبين إماراة وأوضح علامة - من حضرة مرآكش - حرسها الله - وبفضله - جلّت قدرته - ما استفاض ببركة هذا الامر المبارك من نور قدسي ، وخير مغنوي وحي ، وما قرّبه بينه من أمل قصي ، وليّنه من شديد قسي ، وأسمعه أوليائه من نبأ إنسي ، حتى انتشرت في الآفاق مطارح أشعته ، وابتدرت عشائر الايمان ما ابتدرته من تعزّز بعزّة الابدية ومنعته ، واستنار شرف

سنّته الطاهرة وشرعته ، وأقبل كلّ موفق إلى ما وفق له من فيئته إلى الله تعالى ورجعته ؛ واستمسك الراشدون منه بعروة لا تنفصم ، واعتصموا بما لا ينجي من دعوته الربّانيّة ويعصم ، وخاب عن هذه الرحمة الواسعة الناكصُ المتأخّر والألدُّ الخصم .

وقد وافانا - أدام الله كرامتكم - كتابُكم الاثير ؛ فكان عن عقيدتكم لساناً مبيناً ، وأخذ في وصف انقطاعكم إلى هذا الامر العظيم ، واعتلاقكم بجانبه الرحيم ، مأخذاً سهلاً بيناً ، ونبأنا بما تطوّقتموه من رفقته حين فرض التوفيق عليكم منها واجباً متعيّناً . وانتهت إلينا ببيعتكم التي ضمنتوها بما اشتملت عليه من عهودها ومواثيقها ، والتزامكم لما أوجبه الله تعالى من شرائطها والقيام بحقوقها ؛ والله يمنُّ عليكم بتثبيتها في مواطن الخلد وتحقيقها ، ويوجدكم بركة ما أشمتموه من بروقها . وليس لكم - وفقكم الله - عن هذه الطائفة العزيزة إلّا ما يطابق أملككم من إسعاف وإجابة ، واحتلال قرار من لديها ومتابة ، وولاية تنوب في تنويه جانبكم وإطلاء مطالبكم أكرم إنابة ، ووصلة تربط لكم بفضل الله مَوَاتٍ أُخُوَّةٌ إيمانيّة وقرابة ؛ فاشكروا الله تعالى على عظيم هذه المنّة شكراً تصيبون به شاكلة التناهي خير إصابة ، وتستدعون ببركة الله ولاء هذه العصابة ، التي جعلها الله من خير أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس خير عصابة .

واستقبلوا - أكرمكم الله - بالأعمال البرّة عمراً جديداً ، وأحيوا أنفسكم بنور الحكمة إحياء سعيداً ، وعضّوا على طاعة الله ورسوله ومهديه

بالنواجد عضاً مسكباً لا باحتها مفيدا ، واشهدوا الله تعالى على التزامها ،
والدخول تحت إحكامها ، وكفى بالله شهيدا ؛ واسألوا الله أن يطهركم بالثلج
والبرد والماء البارد سؤالاً مستكثراً من رحمته مستزيداً . واستبشروا فقد
نفختكم البشري بعاطر نفحها ، وتلقّتم الكرامة بريحانها وروحها ، وأجلتكم
الامنة أجوان كشبانها ودوحها ؛ واستمسكوا بأمر المهدي - رضي الله عنه -
فهو سبب النجاة والخلص ، والمأمن من نوائب الانتكاس والانتقاص ،
والموعد بالظهور والاستيلاء والانتقام من عداته والاقتصاص ؛ هو
أمر الله الذي أتمه صدقاً وعدلاً ، هو ستره الذي أصفاه على أوليائه سترأً
وسدلاً ، هو رحمته التي شملت المؤمنين فكانت لهم أهلاً ، وكانوا لها
أهلاً ، وبه إن شاء الله تأمنون من كل ما خامركم نبل روعه ، وتصلون
إلى ما حال دونه صرم الزمن وقطعه ، وتجدون عمماً قريب في أنفسكم
وأهلكم وأموالكم ما يظهر لكم بركته ونفعه ، والنظر بعون الله يكتف
تلك الاقطار وينتظمها حتى تبل أرحامها ، ويؤمن حرمها ، ويكون
على سواء السبيل أئمتها ، وينتحي الجادة طوائفها وأممها .

وقد وفد لنا - أكرمكم الله - أصحابكم الشيوخ أبو محمد وأبو الحسن
وأبو عبد الله - وفقهم الله - فآلفوا بهذه الحضرة - حرسها الله - عصا
تسيارهم ، ونالوا من الزيارة المبرورة والبيعة الكريمة منتهى طلبهم
واختيارهم ، وبلغوا ما تحملوه من أخبارهم . ونرجو أن الله تعالى يعيد
تلك الاحوال إلى أفضل عوائده من الصنع الكريم ، ويسقيها ما ينعمها

﴿ للكاتب أبي جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن ﴾ ١٧

به من ماء النعيم ، ويوجد لها من لطائف الرحمة ما كان قبل هذا الامر المبارك في حكم المعلوم ، بمنه . والسلام .
كتب في الثاني من صفر عام أربعة وأربعين وخمسمائة .

الرسالة السابعة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الشيوخ والاعيان وجميع من بقسنطينة - وفقهم الله لما يرضاه ، وتولّى بهم سبيل هداة - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد حمد الله الذي أيد بنصره المؤمنين ، وفتح لأوليائه الفتح المبين ، وجعل لهذا الامر المبارك التبشير والتيسير والتأمين ؛ والصلاة على محمد نبيه الذي اختاره لا بلاغ رسالته ، وحمل أمانته ، فكان القوي الأمين ، وقرن به من آله الطاهرين وأصحابه الطيبين الغر الميامين ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله تعالى مقبلاً دينة المتين ، موضحاً من آيات ربه ، في قطع الباطل وجبه ، ما أراد به الايضاح والتبيين . وهذا كتابنا إليكم - كتبكم الله ممن نور قلبه بنور الايمان ، وكره إليه ما يكرهه من الكفر والعصيان ، وقضى له بالحاتمة الحسنة ، في تيسير السلامة والامنة ، والالتقياد والاذعان - من حضرة بجاية - حرسها

الله - وبجبل الله نتمسك ونعتصم ، وإلى مرضاته نقصد ما نقصد ونقيم ما نقيم ، وهو المستعان على أداء ما يتعين من واجباته ويلزم .

ولما قضى الله سبحانه في فتح هذه البلاد المشرقية بخير قضائه ، وأجرى لهذه الطائفة المباركة في الاظهار والايثار معهود اختياره وارتضائه ، وبسط لهذا الامر العزيز في أكناف هذه الانحاء والاذراء بساط غلبته واستيلائه ، وأصار من كان فيها من الجبارة ، والطغاة والكفرة ، إلى غايات إبعاده وإقصائه ، وغيايات إعدامه وإفناؤه ؛ فأراهم ان الاعراض عن إجابة دعائه ، والاعتراض عن محكمات سور الحق وآيته ، والانتهاض إلى إطفاء نوره وضياؤه ، محقة لا تبقى ولا تذر ، وبطشة لا تُمهل ولا تؤخر ، ونقمة تحرق بصواعقها من يتحرق في سبيل الفواية ويستمر ، رأينا أن نخاطبكم - أرشدكم الله - داعين إلى الله ورسوله ، بما أوجبه سبحانه من الدعاء إلى سبيله ، والتحريض على اعتماد الحق وقبوله ، والتحذير من التوقف في مواقف إغواء الشيطان وتضليله ؛ وكما أوجب - جلّت قدرته - على الداعي بدعوته العالية ما أوجب ، وأنذب أن ينادي إليه كل من عسى أن ينادي وينذب ؛ فكذلك أمر المدعو بالاجابة والانابة ، وخصه من القبول والبدار الجميل على إتيان باب الاحسان والاصابة ، وحذره من إهمال الامتثال ، وإهمال الاقبال ، ما يعدل به عن قرار الامن والمثابة .

فبادروا - وفقكم الله - إلى إجابة منادي الحق وداعيه ، واسمعوا إلى الخير بأعماله المزلفة ومساعيه ، وسارعوا بالتوبة النصوح تسارع الراغب

بدينه المقبل إلى ما يعنيه ، الصارف نفسه عن ما كانت تكسب من الاثم وتجنیه . واعلموا أَنَّ الواجب عليكم وعلى جميع عمرة البسيطة إتيان هذا الامر العزيز في محل قيامه ، والهجرة إليه وقت ظهور دلائله وارتفاع أعلامه ، وهجر الاوطان والقطن طلب الرضوان به واغتنامه . فكيف به وقد أظللتم في عقر دياركم رايته ، وتجلت بين أظهركم آيته ، وتأكدت في الوجوب عليكم واللزوم لكم ولايته وولايته . واستغفروا الله إنه كان غفّاراً ، وتوبوا إلى الله توبةً تظهر تعويلكم عليه إظهاراً ، واحذروا ثم احذروا تمادياً على الخطيئات وإصراراً ، واحرصوا على ما ينجيكم وقوى أنفسكم وأهليكم نارا . وكونوا - أرشدكم الله - ممن سار على الواضحة أحسن سيره ، وسارع إلى نعيم هذا الامر وخيره ، واذكروا ما حاق بالمتوقف عنه من سوء مآله وصيره ، واتعظوا بغيركم فالسعيد من وعظ بغيره . وقد علم من علم ما من الله به من فتح هذه الاقطار ، أن من كان بها من زعماء الحسار والبوار ، ورؤساء الاستعلاء الجاهلي والاستكبار ، إنما حقت عليه كلمة العذاب والدمار ، بعد تقديم الانذار إليهم والاعذار ، والتربص عليهم أمداً طويلاً رجاء الاستبصار . فلما أبوا ما دُعوا إليه من الحق ، واغترؤوا بما عاينوه من اللطف والرفق ، واختاروا لأنفسهم الامارة بالسوء ما اختاروه من المروق عن دين الله والفسق ، أحل الله بهم من ضروب الانتقام ما صيّرهم عبرة لمن يعتبر ، ومزدجراً لمن يزدجر ، وآية كبرى يتأملها من يتأمل ويبصرها من يبصر . وتلك سنة الله

فيمين صدف عن آياته ، وانصرف عقب سيئاته ، وتصرف في زوايا ضلالاته وغواياته ، وتوقف عن أن يستمد من مواد هذا الامر السعيد الممدود مادة حياته . وإنَّ لله من تخصيص من يخصه بإرشاده ، ويخلصه لاسعاده ، سرًّا يبيده فيمن شاء من عباده ، ويظهره فيمن يؤثره بحسن طويته وصفاء ضميره واعتقاده .

وقد كان الشيخ القائد أبو محمد ميمون بن علي بن حمدون - أكرمهم الله - في هذه البلاد المفتحة على ما عرفتموه ، وألفيتموه . وكان الحديث عنه خيراً يُذكر ، وجنوحاً إلى هذا الامر المبارك يتكتم به ويتستر . وكان أكثر الواردين على هذه الحضرة والصادرين عنها من صنف الطلبة وغيرهم من التجار ، المتصرفين في هذه الاقطار ، يصفونه بهذه الصفات الحميدة ، ويرَوون عنه آثار هذه الطوية الصالحة والعقيدة ، وتستفيض أخبارهم فيما لديه من الارادة الحسنة والنصيحة الاكيدة ، إلى أن يسر الله وبشر له حسنه بالانتظام في هذا السلك النظيم ، والاعتصام بهذا الامر العظيم . فصار بفضل الله عليه من أشيائه وأوليائه ، وحمة أيديه وآلائه . وها هو الآن وأخوه الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدون وسائر من بنيتهم وإخوتهم وقرابتهم - وفق الله جميعهم - يفتيئون إلى ضلاله الممدودة ، ويتصرفون بأعماله السعيدة ، ويردون ما يأمّلونه من زُلاله في حياضه المورودة . وذلك من فضل الله على من أهّله له ، وإحسانه على من أمَّ إحسانه وأمّله .

وَأَنْتُمْ - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - مدعون إلى الله سبحانه فلبوا ، وَمَعْنِيَّ بِإِيقاظكم من نوم الغفلة فهبوا ، ومحجوب لكم الخير فأحبوا . ولن تعدموا إن شاء الله بالمسارعة الحسنة ، والتوبة المتكئة ، أماناً يشملكم ، وصلاً يستقبلكم ، وكرامة تحلُّكم في محالها وتنزلكم . والله ييسر لكم لما يزلف غده ، ويعرفكم هُداة ورشده ، بمتته . وتعلموا - وفَقَّكُمْ اللَّهُ وسلك بكم سبيل هُداة - أَنَّ قصد هذا الامر الكريم ، في الخصوص والعموم ، إظهار دين الله تعالى على ما أوجب وفرض ، وجهاد من نكب عن سبيله وأعرض ، وقطع آثار الظلمة كثيرها وقليلها ، وإجراء الامور كلها على منهجها الشرعي وسبيلها .

وقد كان بهذه الاصقاع ، من آثار أهل الاختلاق والابتداع ، ما علمتموه من القبالات والمكوس والمغارم وسائر تلك الانواع . وكان الاشقياء من ولائها يرون إيجابها وإلزامها شرعاً يلتزمونه ، وواجباً يقدّمونه ؛ ولا يلتفتون إلى ما أوجب الله من الزكوات والاعشار ، بل كانوا يطرحون ذلك أطراح أمثالهم من الفجّار . وقد قطع الله بفضله أصولهم وفروعهم ، وأزاح عن عبادته جوهرهم ونزوعهم ؛ ورُدَّ الامر إلى أصله الاكرم ونصابه ، وأجري الشرع بالامام المهدي - رضي الله عنه - على بابه ؛ وأراح جميع أهل البلاد المعمورة بالتوحيد من جميع ما كانوا يكلفونه من المغارم ، ويعرفونه من أسباب المظالم . ولما منَّ الله على أهل البلد بما منَّ به من التسليم والتأمين ، وأحلَّهم بفضله ورحمته كنف هذا الامر المكين

الامين ، انقطعت عنهم أسباب الظلم بانقطاع أهله ، وسُدَّت عنهم أبوابُ الباطل كثره وقلة . فلا يُطلبون إلا بما توجهه السنّة وتطلبه ، ولا يُلزمون - ومعاذ الله - مكساً ولا مغرماً ولا قبالة ولا سيّماً ممّا تسميه الظلمة بأسمائها وتلقّبه . ولكم في علم ذلك ومعرفته دليلٌ على ما سواه ، والله يهدي بهديه من اختاره وارْتضاه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كُتِبَ في الرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وأربعين وخمسة .

الرسالة الثامنة

وهي من إنشاء الكاتب أبي عَقِيل عطية بن عطية في فتح قسنطينة وإِنابة يحيى بن العزيز صاحب بجاية إلى التوحيد :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونه - إلى الطلّبة الذين بتلسان وجميع من فيها من الموحّدين - أدام الله كرامتهم بتقواه - سلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أمّا بعدُ فالحمد لله الذي وسعت رحمته كلَّ شيء على العموم والاطلاق ، وجمعت عصيته أهل الاجتماع على طاعته والاتّفاق ، وتمّت نعمته تماماً على أبلغ وجوه الانتظام والاتّساق ؛ والصلاة على محمد نبيه المبعث لتتيم مكارم الاخلاق ، وعلى آله الطاهرين وصحبه المتوازين أولي البواء إلى

مرضاته والاستباق ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، علم
الاعلام ، وذخيرة الايمان والاسلام ، وبدر الكمال والتمام ، الطالع
بأشرف مطالع الاشراق ، الفارع عند تطاول الرؤوس والاعناق ، الجامع
أشتات الفضل وأجناسه على الاستيفاء والاستغراق .

وهذا كتابنا إليكم - كتب الله لكم فيما خولكم النماء والزيادة ، ومكن
في تمكينكم وإصلاح شؤونكم الانالة والافادة ، وبسط في أرجائكم
ومتعلقات رجائكم اليمين والسعادة - من حضرة بجاية - حرسها الله - عن
أحوال ترتب صلاحها على أفضل وجوده ، وفتوح تتابع افتتاحها في
قريب المعمور وبعيده ، وبشائر ينزه بشرها وسماحها عن الجري على معتاد
الدأب المؤلف ومعهوده ، وآيات بيّنات أغنى تخليها واتّضاحها عن كل
برهان ووجوده ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها في المستولية محصى
العادة ومعدوده . نسأل الله سبحانه وقد بهرت البواطن والظواهر ، وعمي
الابصار والبصائر ، تعظيم ما نشاهد ونعاين عوناً يعين وينهض ، وعملاً
يتخلّص بشكر آلائه الباهرة ويمحض ، وقوة لا تنتكث بالعجز عن
أداء حقوقه ولا تنتقض .

وقد تقدّم إعلامكم - وصل الله سروركم ، وضاعف شكوركم - بما
كان من صنع الله تعالى في فتح هذه البلاد التي يسرّ مرأمها بحوله واقتداره ،
ونور ظلامها بأضواء هذا الامر السعيد وأنواره ، وصير أباطحها وآكامها
من مواطي أوليائه وأنصاره ؛ وكيف كانت صورة الحال في درجها ،

وتصرّف الانتقال من محصّيتها إلى عرجها ، وأنّ أبا زكرياء يحيى بن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر وجميع إخوته وقرابته وخووله حين أتاهاهم الذائد الذي لا يكذب أهله ، وانتحاهم القائد المبيح وعز المتحى وسهله ؛ لم يكن لهم بدٌّ عن التوي عن قرارهم ، والتخلي عن أوطانهم وأقطارهم ؛ لأمر قضى الله فيه لهذا الامر المبارك بخير قضائه ، وشأن طوى الخيرة درج تضمّنه واقتضائه ، فكان مأمّهم الذي اعتقدوا منعه وحصانته ، واعتمدوا ثقته عليهم وأمانته ، بلد قسطنطينة - عمّره الله - لكونه بحيث لا يُنال بقدره مخلوق ، وأين يستعلى بامتناعه على كلّ ملحوظ بعين المحاربة أو مرموق . وكانت جملٌ من عساكر الموحّدين حين احتلال الجملة المذكورة فيه ، واعتدادهم في عداد من يحويه ويؤويه ، بجهة القلعة - حرسها الله - على أثر فتحها الميسر ، ونيل أجرها على الوجه المتخير ، فأنهض منهم بعون الله إلى تلك الجهة من رُجي الخير في إنهاضه ، وحضّ على خدمة هذا الامر وإعراضه . فحين ألمّ الناهضون المذكورون - وفقهم الله - بجهات قسطنطينة - حرسها الله - فُتح لهم الفتح الذي تقدّم إليكم بيان القول فيه وإعراؤه ، وأورد عليكم إبداع القدر في تقريبه وإعراؤه ، وعلمتم كيف انهزمت له جموع الضلال وأحزابه ؛ وحلّ الموحّدون هناك - وفقهم الله - بساحة ذلك القطر وذراه ، وغشيه منهم ما غشيه وغراه ، وما ترك القطا به ان يقطع كراه .

وكان التخيم الملاصق ، والتدويم المراهق ؛ والحقُّ يتجلّى ، والنصر

يتولّى من إظهار الطائفة العزيزة ما يتولّى ، إلى أن صرف الله ألباب القوم المذكورين إلى قبلة الاصابة ، وأراهم أنّ النجاة في جانب هذه العصابة ، والحياة في قرارها الذي هو مقرُّ قرار اليمين والمثابة ؛ فاتّفق رأيهم على إنفاذ جماعة منهم فيهم أخو أبي زكرياء وشيوخ صنهاجة وقسنطينة معتصمين بهذه العروة الوثقى ، مستسلمين للأمر الذي لا يقابل بعناد ولا يلتقى ، سائلين من التأمين والابقاء ما يدوم خيره للمحقّ السائل ويبقى . ووصلت الجماعة المذكورة إلى هذه الحضرة المحروسة ، يسعى أملها بين يديها ، ويعرف القصد عمّا لديها ، وأنّهت ما تحمّلتها من المخاطبة ، وأمّنتها لها ولمن وراءها من حسن العاقبة ، فمنّ الله على جميعهم بتيسير مطلبهم ، وإجمال منقلبهم ؛ وصدروا إلى مرسلهم تهلّل أسرّتهم ، وتحمّل بحلّ العافية والنعمة الصافية كثرهم . فأتوا قومهم على تطلّع إلى بشراهم ، وتمتّع بطيب ذكراهم ، وأعلموهم بالصنع الذي عرّفهم تعظيم صنع الله وأدراهم . فرأوا أجمعين أنّ الله سبحانه سنّى لهم بفضله غاية ما طلبوه ، ورزقهم من حيث لم يحتسبوه ؛ ووهبهم من إيواء الفضل وقبوله فوق ما استوهبوا ، حين لم يكن لهم منجأ إلا الذي نزعوا عنه وغربوا . وفتحوا أبواب المدينة المذكورة عند تيقن الأمر وتحقّقه ، وتعرّف سنة هذا الأمر المبارك وعظيم خلقه ؛ وخرجوا عن آخرهم فرحين بفضل الله ورحمته الواسعة ، مستظّئين بظلال هذه الدعوة المحيطة الجامعة . ودخل القطر من أمناء الموحّدين وغزاتهم - وفقهم الله - من أمر بعمارته ، والاستقرار

في قرارته . واستقبل أبو زكرياء المذكور ومن معه - وفقهم الله - هذه الجهة - حرسها الله - على أحسن حال ، وأكرم إقبال .
وَأَتَمَّ اللهُ نِعْمَتَهُ بِهَذَا الْفَتْحِ الْمَحِيطِ ، وَالصَّنْعِ الْمَبْسُوطِ ، إِتِمَاماً بَلَّغَ الْآمِلِ غَايَةَ مَأْمُولِهِ ، وَالسَّائِلِ كَافَّةَ مَسْئُولِهِ . فَذَلِكَ الْقَطْرُ هُوَ الطَّرْفُ الْأَعْلَى ، وَالرَّابِطُ الْآخِرُ الْأَوَّلَى ، وَرَأْسُ الْجَسَدِ الَّذِي اسْتَتَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضاً وَاسْتَتَلَى ؛ وَبِهِ انْعَقَدَتْ رَوَابِطُ هَذَا الْأَقْلِيمِ الْعَظِيمِ وَقَوَاعِدُهُ ، وَفَقَدَتْ ضَرَرٌ مِنْ كَانَ يَنْوِي الضَّرَرَ فَوَاقِدُهُ ، وَمَعَهُ مَتَأَتَّى جَمْعُ شَمْلِهِ وَضُمُّهُ ، وَإِمْسَاكُ شَأْنِهِ كُلِّهِ وَعِزُّهُ ، وَبِهِ خَتَمَ كِتَابَهُ وَكَرَّمَ الْكِتَابَ خَتْمُهُ . وَاللَّهُ نَسَأَلُهُ بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ الْمُتَظَاهِرَةِ عَوْناً مَمْدُوداً ، وَحَوْلَاً بِمَعَاقِدِ الْمَعُونَةِ الرَّبَّانِيَّةِ مَعْقُوداً ، وَقُوَّةً تَلْقَى مِنْ حَمْدِهَا إِلَى كُلِّ جَدِيدٍ مِنْهَا جَدِيداً ؛ بِمَنِّهِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكُتِبَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

الرسالة التاسعة

وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أَيْدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُ بِمَعُونَتِهِ - إِلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ وَنَسَارٍ ، وَجَمَاعَةِ أَصْحَابِهِ الطَّلَبَةِ وَالْمَشِيخَةِ وَالْأَعْيَانِ وَالْكَافَّةِ مِنْ أَهْلِ مَرَّاكُشٍ - أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى شُكْرِ نِعْمَاهُ - سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَكْفَّلَ بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ إِيْتَامَهُ وَإِنْجَازِهِ ،
وَتَحَصَّلَ لِحُزْبِهِ الْآخِرِ السَّابِقِ إِعْلَاؤُهُ وَإِعْزَازُهُ ، وَتَقَلُّقُ فِي عَدُوِّهِ الْفَاسِقِ
الْمَارِقِ قَهْرُهُ وَإِعْجَازُهُ ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْأَمِينِ ، الَّذِي أَظْهَرَ عَلَى
حَقِّهِ الْمَبِينِ ، إِظْهَارُهُ وَإِبْرَازُهُ ، وَالتَّفَتُّ عَلَى أَمْرِهِ الْمَكِينِ ، صُدُورُ الْعِلَاءِ
وَأَعْجَازُهُ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغَرِّ الْمَيَامِينِ ، الَّذِي تَجَلَّى بِهِمْ تَعَيُّنُ الْإِسْلَامِ
وَأَمْتِيَازُهُ ؛ وَالرِّضْوَانُ الْمُسْتَدَامُ عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ ،
مَوْضِعُ سَبِيلِ الرِّشَادِ حِينَ عَمَّ اسْتِغْوَاءُ الشَّيْطَانِ وَاسْتَفْزَازُهُ ، وَمُنْجَحُ
أَسْبَابِ الْإِرْتِيَادِ إِذْ تَيَسَّرَ اغْتِنَامُ الْمَطْلُوبِ وَانْتِهَازُهُ .

وَهَذَا كِتَابُنَا إِلَيْكُمْ - كِتَابُكُمْ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الشَّاكِرِينَ فِي الرِّعَالِ
الْأَوَّلِ ، وَعَرَّفَكُمْ عَوَارِفَ الصَّنْعِ الْمُنِيفِ بِكُمْ عَلَى الْمَحْبُوبِ الْمُؤَمَّلِ ، وَلَا
أَعْدَمَكُمْ بَوَصْلِ الْإِسْتِيلَاءِ ، وَإِدَامَةِ الْإِظْهَارِ وَالْإِعْلَاءِ ، عَزَّةً حَامِلَةً عَلَى
سَنَامِهَا الْمَذَلَّلِ ، شَامِلَةً بِنِغَامِهَا الْمُضَلَّلِ ، عَامِلَةً عَلَى تِمَامِهَا الْمَكْمَلِ - مِنْ
حَضْرَةِ تَلْسَانٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَقَدْ تَعَالَى فَتَحَ اللَّهُ أَنْ تَحِيطَ بِهِ الْإِقْوَالُ ،
وَتَجَاوَزَ مَا تَطْمَحُ نَحْوُهُ الْآمَالُ ، وَيَتَنَاهَى إِلَيْهِ الْطَلِبُ وَالسُّؤَالُ ، وَعَلَى
الرُّوْيَةِ وَالْمُرُوْيِ فَمَا الْبَدِيَّةُ وَالْإِرْتِجَالُ ، وَانْتَشَرَ عَلَى الْبَلَاغَةِ وَالْإِدْرَاكِ
فَلَا التَّقْسِيمَ وَلَا الْحَصْرَ وَلَا التَّفْصِيلَ وَلَا الْإِجْمَالَ ، وَمَعَ اعْتِمَادِ التَّحْقِيقِ ،
وَارْتِيَادِ التَّصْدِيقِ ، فَمَا الْأَمْرُ مِمَّا يَدْرِكُ بِنَعْتٍ وَلَا يَنَالُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ - وَفَّقَكُمْ اللَّهُ وَأَعَانَكُمْ عَلَى شُكْرِ مَا آتَاهُ - مِنْ ذِكْرِ
مَا تَحْمَلْتُهُ الْإِشَارَةُ وَالْإِلْمَاعُ ؛ وَلِهَذَا الْكِتَابُ التَّالِي ، الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ بَرَزَتْ

الايّام والليالي ، نُبَذَتْ قَرَرها الاصفاق والاجماع ، وبِشْرُ انتهت عند أَوْها
الاماني والاطماع . فقد كان صنع الله في افتتاح هذه البلاد الشرقية على
ما تقدّم ذكره من التناسق والتتابع وتذليل الصعب وتقريب الشاسع ،
وإراحة النفوس بإزاحة القواطع والموانع ؛ وهذا الامر العظيم في درجاتها
يستعلى ، وعلى غاياتها ونهاياتها يستولى ؛ وببركات باسطة في الوجود ،
وحائطة على الرسوم الشرعيّة والحدود ، يستتبع نواشيء النماء المزيّد
ويستتلى ؛ حتى جمعها بجوامع القهر ، وأنطق فيها لسان الايمان إنطاق الاعلان
والجهر ، وصيّر غرائب التفسير فيها آيات بيّنات على باقيات الدهر ؛ ومن
يرتضع أسطرها من الاعراب ، ويودع أعمرها دواعي الجلاء والحراب ، قد
قذفهم الغلبة حينئذٍ إلى صحرائها ، ونبذتهم الروعة بعرائها ، وحدّثتهم
حال الكثرة المهدية عن كماتها وضرائها ، فصاروا بين تدافع الحيرة
والتيه ، وتراجع التخيل والتمويه ، مظهرين الانابة إلى المتاب ، متكرّرين
في أكثر الاحيان على مراتب الشك والارتياب . وعساكر الموحّدين
المتقدّمة إلى فتح القلعة وقسنطينة - حرسها الله - مخيّمون على إشعال تلك
الجهات بإزائهم ، حريصون على غزوهم في عقر مواقعهم ومراقب
انتزائهم ، راغبون في الاذن لهم بمسؤولهم ، ناظرون إلى منشآت خيال
الضالّين وتخيلهم . وهم - آخذهم الله - في خلال ذلك يوالون المراسلة
على معنى المخادعة ، ويخافون عقبى المصارمة والمقاطعة ، ويتردّدون في
التقدّم والتأخّر مع الانقياد والمنازعة ؛ واضطرابهم في أحوالهم تلك

مستوضح ، وارتياهم مع ظهور الجلاء ممقوت مستقبح ؛ والامن مع ذلك يتفقد الموحدين المذكورين بالتأكيد عليهم في الاضراب عنهم وإن سفهوا ، والالاباب على تنبيههم لينتبهوا . ورسائلهم ورسُلهم أثناء ذلك تقابل عندنا ؛ فعادة هذا الامر العزيز هي الاحتمال والاجمال ، والرفق بالجهال ، ومقابلة البعيد الصعب بالتقريب والاسهال ، لتشملهم التوبة بحسناتها ، وتقابلهم الرحمة بأكرم وجوهها وأسنائها ، وتتناولهم كلمة التوحيد بلفظها ومعناها ؛ إذ لا مراد من أهل الدنيا إلا توبة يصدقونها ، وعقيدة بالايان يحققونها ، ويدّ بالطاعة يمدونها إلى الشريعة ويلقونها . فلم يرد الله إلا أن يكون هؤلاء الاشقياء ممن تقذفه الهلكة إلى سحيقها ، وتتقسمه النعمة بأيدي تبديدها وتمزيقها ، وتنصبه العبرة على منزوحة سبيلها وطريقها ، لأنهم كانوا خلال ما ذكرناه لكم من أحوال استئلافهم ، والتصبر على خفاتهم وأحلافهم ، وإمساك الموحدين عن مقدورهم من تدميرهم وانتسافهم ؛ يخاطبون جميع من ببلاد إفريقية وما يتصل بها إلى جهات الاسكندرية من العرب المغمورين بغوامر الجهالة ، المغرورين بأوامر الضلالة ، مخاطبة الاستصراخ والاستنجاد ، ويراسلونهم مراسلة الاستعانة والاستمداد ، ويستدعونهم لمغنى الانتصار على الموحدين والاعتضاد .

فحين شاء الله أن نحقق عليهم كلمة العذاب ، ونشق إليهم مهامة ذلك الباب ، عند العزم على هذه الحركة الميمونة لمغنى الانصراف والاياب ،

أَتَتْ بِالْحَائِمِينَ أَرْجُلَهُمْ ، وَعَجَلَ إِلَيْهِمْ بِالْدمارِ تَعْجُلَهُمْ ، وَأَسْرَعَ بِهِمُ الْوَيْلَ لَا يُؤَخِّرُهُمْ عَنْ مِيقَاتِهِمْ وَلَا يُؤَجِّلُهُمْ . وَأَقْبَلَ جَمِيعَ مَنْ ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ مِنْ أَعْرَابِ تِلْكَ الْبِلَادِ النَّازِحَةِ قِبَائِلَ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ مِنْ عَرَبِ الْيَمَنِ ، وَشُعُوبِ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ ، بِقَضَائِهِمْ وَقَضِيضِهِمْ ، عَامِلِينَ عَلَى إِغْوَاءِ إِخْوَانِهِمُ الضَّالِّينَ وَتَحْرِيزِهِمْ ، نَافِرِينَ أَفْوَاجاً بَعْدَ أَفْوَاجٍ بِغَايَةِ عَزْمِهِمْ وَنَهَايَةِ نَهْوِهِمْ ، حَتَّى التَقَى الْمَصْرُخُ وَالْمُسْتَصْرَخُ ، وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ عَلَى نُحُورِهِمْ أَجْمَعِينَ يَتَبَنَّى وَيَنْفَخُ ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الْمَظْلَمَةَ أَنْ يَكُونَ جِيشُهُمُ الَّذِي يَدُوعُ ، وَأَرَاهُمُ أَنَّ الْجَمِيعَ مَرُوعٌ بِهِمْ رَوْعاً لَا يَسْكُنُ وَلَا يَفْرُخُ ؛ وَزَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يَعْمَلُونَ وَيَسْتَنْسِخُ . فَلَمْ تَزَلْ جِيُوشُهُمْ عَلَى جِهَاتِ قَسَنْطِينَةَ تَتَوَارَدُ ، وَكُتَاتِبُهُمْ تَتَعَاقَدُ عَلَى الْإِعْتِرَامِ وَتَتَعَاقِدُ ، وَأَمْدَادُهُمُ الَّتِي غَصَّتْ لَهَا تِلْكَ الْمَشَارِعَ الْمَعِينَةُ وَالْمَوَارِدُ ، تَتَنَاصَرُ عَلَى رَايِهَا الْخَاسِرَةُ وَتَتَعَاوِدُ ، إِلَى أَنْ انْتَهَوْا مَا لَا يَنْتَهِيهُ الْعُدُّ خَيْلاً وَرَجَلاً ، وَعَمَّرُوا أَنْجَادَ تِلْكَ الْأَرْضِ وَأَغْوَارَهَا وَعِرَافَ وَسَهْلَهَا ؛ فَمَا اسْتَطَاعَتْهُمْ حِمْلًا ، وَلَا وَسَعَتْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ قَرَارًا وَلَا أَنْ يَكُونَ لَهَا أَهْلًا . وَالْمُوَحَّدُونَ الْكَائِنُونَ إِذْ ذَاكَ هُنَاكَ مَقْبُلُونَ عَلَى مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ ارْتِحَالِهِمْ إِلَى الْعَرَبِ وَانْتِقَالِهِمْ ، وَالْكَفِّ عَنْ مَعَارِضَةِ أَوْلَئِكَ الْخَاسِرِينَ وَقِتَالِهِمْ ؛ فَزَادَتْهُمْ تِلْكَ الْحَالُ الظَّاهِرَةُ اغْتِرَارًا ، وَاقْتَضَتْ عِنْدَهُمْ عَفْوَكَأً عَلَى الطُّغْيَانِ وَإِصْرَارًا ، وَالْإِقْدَارُ تَجَرُّهُمْ بِرَسَنِ الْإِهْمَالِ إِجْرَارًا ، وَتَطَوَّى فِي صَدْرِ الزَّمَنِ مَخْبِئَاتٌ مِنَ الْإِمْتِحَانِ وَأَسْرَارًا . فَكَلَّمَا رَحَلَ الْمُوَحَّدُونَ الْمَذْكُورُونَ إِلَى مَا مَتَّهِمُ مَرَحَلَةٍ رَحَلَ الضَّالُّونَ عَلَى

أثرهم ، وعملوا على شاكلة تخيلهم الذميمة وتصوّرهم ، واعتقدوا مصابقتهم في الحال ، وتمكّنهم من ذلك السعي الضالّ ، قدرةً من قدرهم ، ونتيجةً من نتائج آرائهم ونظرهم ، بوادي الأقباس بجهات سطيف - عمرها الله - ورأوا أنّ الاشقياء المذكورين يلزمونهم ملازمة الظلّ ، ويرادفونهم على الترحال والحلّ ، وأنّ الحال تقتضي مناجزتهم ومفاصلتهم ، وتوجب مقارعتهم على دين الله ومقاتلتهم . ولم يجدوا دواءً يشفي من دائهم العضال ، ويستوفي الراحة منهم في تلك الحال ، إلّا العزم على جهادهم بعد الاعتماد على ربّهم والاتّكال ؛ فخاطبونا بعزمهم على ذلك ، وأعلموا بصورة أحوالهم هنالك ، وعرفوا بكونهم عند مخاطبتهم المذكورة ناظرين في غزوهم ، مجيلين في لقاءهم بعون الله تعالى أعنة عدوهم .

فكان من التوفيق الممنوح ، والرأي السالك إلى السداد سبيل البيان والوضوح ، إنفاذُ جُمْلِ مباركة وأعداد مسدّدة من عساكر الموحّدين - أعانهم الله - إلى الجهات المذكورة على وجه الاستظهار بحركتها ، والاستكثار من بركتها ؛ ونحن إذ ذاك بمتيّجة - عمرها الله - على سبيل الصدر ، وحالة المعلن المقدّر . فبذل الموحّدون الناهضون إلى إخوانهم جدّهم في السير ، ورجوا نيل حظوظهم من ذلك الخير ؛ فلهقوا بهم - أعان الله جميعهم - على المرغوب والمرجو ، وأطلّوا على جنابهم إطلال الظهور والعلوّ ، وكان الاتّصال بفضل الله قبل مناجزة ذلك العدو . وألّفوا آجالهم - أعانهم الله - على غاية من الاستشراء ،

ونهاية من الاسترسال على تلك الاذراء ؛ واجتمعوا على بركة الله اجتماعاً
أحمدوا عاقبته ، وقصدوا ملاحظة أمر الله تعالى ومراقبته ، ودارت بين
الموحدّين - أعانهم الله - مواعظ التذكير والتذكّر ، وتقرّرت عزائمهم
على نصر كلمة الله كلّ التقرّر ، وحسن المتاب ورُجي الثواب للامد
المضروب والميقات المقدّر ، وقصدوا أعداءهم بعد الاستعانة بالله والتوكّل
على نصره المؤزّر ، عندما أشرقت شمس الضحى ، ونُصبت رحي الحرب
فكانوا قطب الرحي ، وانتحى من نصر الله وفتح القريب من حزبه
المظفر ما انتحى .

ولحين ما عاين أعداء الله قصد الموحدّين على مضاء الاعتزام ، وباشروا
آثار الارتباط الايماني والالتزام ، راموا فحيل بينهم وبين المرام ، وتخيّلوا
الاقدام على ثبّت الأقدام ، من مدارك أمثالهم من الطعام ، وأشكالهم من
الاباش الليثام ، فلم يُغن عنهم عمل الاوهام ، من هول ذلك المقام ، وأحّدق
نصر الله بأوليائه إحداقاً جمعهم على أقطاب الليثام ، وأودعهم خلال
البرّرة الكرام ؛ وكانت للكافرين دفعات جاهليّة عادت بها عليهم عوائدُ
الانتقام ، والتقمّتهم الحرب الزبون عندها أوحى الانتقام ؛ وكابد ذلك
الهول الكُبار جميعُ فرسانهم وأعيانهم ، ومن يدّعي البطالة والحماسة من
أمرائهم وكُبرائهم ، فالتقت عليهم حلقتا البطان ، واستقبلت بهم تلك
الهزيمة الشنعاء جهات تلك المراحات والاعطاف . فاختلطوا بمواشيهم
اختلاط الانعام بالانعام ، وأزعجت أوساطهم إلى حواشيهم إزعاج الارهاق

والارغام، وفُرقوا - ولا حول ولا قوّة إلا بالله - تفريقاً بعد الاجتماع
ونثراً بعد الانتظام؛ وأخذت المنايا تلتقطهم، فتشرهم على الارض
وتبسّطهم، وتريهم أنّ الغواية توقع الغاوين وتورّطهم.
واستمرّ القتل فيهم والاتباع لهم من أوّل ذلك اليوم المبارك إلى آخره،
ولم يسر الموحّدون فيه - على ما ذكره - إلا بين إبطى راتعة وسائمة،
وخدورٍ على عمدتها منصوبة قائمة، وأبقار وأغنام لم تُحِط بها الابصار، ولا
قيّدها في عيون الناظرين التناهي والانحصار، وغير ذلك من أنواع
الأنفال، وضروب المغانم التي لا تجري على حكم التمثيل ولا الامثال، حيّ
إلى جنب حيّ، وشيء متّصل بشيء، مسيرة أربعين أو خمسين من الاميال.
فبأعداء الله ما بهم من قتلٍ مُفَنٍّ، وانهزام مُبْعِدٍ وحمام مُدَنٍّ، وانصرامٍ
بكلّ صارمٍ ماضٍ وانتظامٍ بكلّ ناقدٍ لَدَنٍّ؛ غشيّتهم تلك الغواشي
الغوامر، فذلّ لها المأمور منهم والآمر، وحقّ الويلُّ بهلال بن عامر،
أقلّ الهلال وخرب العامر. ولم يحلّ بين سيوف الموحّدين، ورقاب الفلّ
من أولئك المفسدين، إلا ليلٌ أجنّه بغسقه، وطواه على أخريّات رَمَقه.
ثمّ انقسمت جيوش الموحّدين - وفرّها الله - صبيحة اليوم الثاني
إلى أقسام أخذ كلّ قسم منها سبيلاً غير سبيل غيره، واستقبل ما يستقبله
الطالب المجدُّ من قصد مرامه وإعداد سيره؛ فمنهم من غاب عن المجتمع،
وجدّ في ذلك الاتّباع والتتبّع، أربعة أيّام وأكثر وأقلّ كلّ يغزو
ويغنم، ويجول في تلك المهامه الفيح لا يني ولا يتلّوم، حتّى انتهوا

إلى أوائل بلاد إفريقية وما يجاورها ، لا يرون لبقية المارقين أثراً ، ولا يجدون محدثاً عنهم ولا مخبراً . ثم آبوا بفضل الله ورحمته ومعهم من الأنفال المضافة إلى ما تقدم ذكره ، والغنائم التي يتضاءل لها عدد كل عادٍ وحصره ، ما لا يعبر عنه بعبارة تحديد ، ولا يتوهم متوهم أن وراءه في الكثرة من مزيد . وأخذ الموحدون - أعانهم الله - بعد اجتماعهم على مركزهم ، وظفرهم بمحبوبهم وبمنجزهم ، يضمّون من سبي الكافرين وغنائمهم وما أوقفته الحرب من خيلهم وسلاحهم ما لا يستطيعه الضمّ ، ولا يتناوله الكثير الجمّ . ثم أخذوا في الحركة بما أقدروا على سوقه من ذلك إلى هذه الجهات - حرسها الله - بعد أن لم يتمكن لهم بوجه من الوجوه عدد ما تحمّلوه ، ولا استولت إحاطتهم على ما نقلوه . وهم الآن - رعاهم الله - مقبلون بها على أتمّ ما تتعلق به الآمال البالغة ، وتقتضيه الكرامة السابغة .

وأعلمناكم بذلك - أعزّكم الله - ليعظم منالكم من هذا الفتح الذي طبّق الآفاق حديثه ، وملاً الأبصار والاقطار منشوره ومبثوئه ؛ ولتشكروا الله عليه شكراً يستنفذ غاية استطاعتكم ، ويستنجد عزائم نشركم له وإذاعتكم . والحمد لله الذي عمّنّا وإيّاكم ببركاته ، ونصب على حقيقة هذا الامر الحق إلاً من أدلة آياته ، وجعل العاقبة لأوليائه دنة المتين وولاته . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب مستهلّ ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

الرسالة العاشرة

لعلها من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور (١) :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعد - وفقه الله ، ويسره لما يرضاه - سلامٌ عليكم
ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد فالحمد لله الذي له الاقتدار والاختيار ، ومنه العون لأوليائه
والاقدار ، وإليه يرجع الامر كله فلا يمنع منه الاستبداد والاستئثار ؛
والصلاة على محمد نبيّه الذي ابتعث بمبعثه الأضواء والأنوار ، وعمرت
بدعوته الأنجاد والأغوار ، وخصم بحجّته الكفر والكفار ؛ وعلى آله
وصحبه الذين هم الكرام الأبرار ، والمهاجرين والأنصار ؛ والرضا عن
الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، القائم بأمر الله حين غيّرته الأغيار ،
وتقدّم الامتعاظ له والانتصار . وهذا كتابنا إليكم - كتب الله لكم نظراً
يريككم المنهج ، ويلفيكم الأبرج فالأبرج ؛ وآتاكم الله من نعمة الايمان ،
وعصمة الانقياد له والاذعان ، ما تجدون به اليقين والثلج - من حضرة
مرآكش - حرسها الله تعالى - ولا استظهار إلا بقوة وحوله ، ولا
استكثار إلا من إحسانه وطّوله .

﴿ ولما جعل الله هذا الامر العظيم رحمةً لحقه ، ومطيّةً لرقبه وقرارة

(١) راجع كتاب «صبح الاعشى» للقلقشندي (ط مصر) ج ٦ ص ٤٤٣ - ٤٤٥ .

لإقامة حقّه ؛ وحملَ حَمَلَتَهُ الدِّعَاءَ إِلَيْهِ ، والدلالةَ بِهِ عَلَيْهِ ، والترغيبَ
 في عَظِيمِ ما عنده ونعيمِ ما لَدَيْهِ ؛ وجعل الانذار والاعذار من فصوله
 المستوعبة ، وأحكامه المرتبة ، ومنجاة المخلص من الخطوب المهلكة
 والاحوال المُعْطِبة ؛ رأينا أَن نُخاطِبَكم بكتابنا هذا أَخْذاً بأمر الله تعالى
 لرسوله في المضاء الى سبيله ، والتحريض على اغتنام النجاء وتحصيله ، وإقامة
 الحجة في تبليغ القول وتوصيله . فَأَجِيبُوا - رفعكم الله - داعي الله تَسْعَدُوا ،
 وتمسَّكُوا بأمر المهديّ - رضي الله عنه - في اتِّبَاعِ سبيله تهتَدُوا ؛
 واصرفوا أَعْيُنَ العَنايَةِ إلى النظر في المآل ، والتفكُّر في نواشيء التغيُّر
 والزوال ، وتدبَّروا جَرَيَ هذه الأمور وتصرف هذه الاحوال ،
 واعلموا أَنَّهُ لَا عِزَّةَ الا بِإِعْزَازِ الله تعالى فهو ذو العِزَّةِ والجلال ؛ وَلَا
 يَغُفِّرُنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، فالدنيا دار الغُرُور ، وسوق الحَالِ . وليس لكم في
 قبول النصيحة ، وابتداء التوبة الصحيحة ، والعمل بثبوت الايمان في هذه
 العاجلة الفسيحة ، إِلَّا ما تحبُّونه في ذات الله تعالى من الامنة والدَّعة ،
 والكرامة المتَّسعة ، والمكانة المرفَّعة ، والتَّعَمُّ بنعيم الراحة المتَّصلة والنفس
 الممتَّعة . فنحنُ لَا نريد لكم وَلَا لِسائر من نرجو إنايته ، ونستدعي قبوله
 وإِجابته ، إِلَّا الصَّلاحَ الاَعمَّ ، والنجاحَ الاَتمَّ .

وتأمَّلُوا - سدَّكم الله - مَنْ كَانَ بِتِلْكَ الْجَزِيرَةِ - حرسها الله - من
 أَعْيَانِهَا ، وزعماءِ شَانِهَا ؛ هل تَخَلَّصَ مِنْهُمْ إِلَى ما يودُّه ، وفاز بما يدَّخره
 وَيُعِدُّه ، إِلَّا من تَمَسَّكَ بهذه العُرْوَةِ الوُثْقَى ، واستبقى لنفسه من هذا

﴿ لعلها للكاتب أبي جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن ﴾ ٣٧

الخير الادوم الابقى ، وتنعم بما لقي من هذا النعيم المقيم ويلقى . وأما من
أخلد إلى الارض واتبع هواه ، ورغب بنفسه عن هذا الامر العزيز إلى
ما سواه ، فقد علم بضرورتي المشاهدة والاستفاضة سوء منقلبته ، وخسارة
مذهبه ومطلبه ، وتنقل منه حادث الانتقام أخسر ما تنقل به .

وحق عليكم - وفقكم الله ويسرركم لما يرضاه - أن تحسنوا الاختيار ،
وتصلوا الادكار والاعتبار ، وتبتدروا الابتدار . وما حق من انقطع إلى
هذا الامر الموصول الواصل ، وأز مع ما يناله من خيره المحوز الحاصل ،
أن يناله منكم شاغل يشغله عن مقصوده ، ويحيط به ما يصرفه عن محبوبه
ومودوده ؛ فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد ،
وتعلقهم بهذا الامر السعيد ، ما كان . ثم كان منكم في عقب ذلك ما اعتمدتموه
في أمر أهل لورقة - وفقهم الله - حين ظهر اختصاصهم ، وبار
إخلاصهم ؛ وليس لذك وأمثاله عاقبةٌ تُحمد ، فالخير خير ما يُقصد ، والنجاة
فيما يُنزع عن الشر ويبعد . وإننا لنرجو أن يكفكم عن ذلك وأشباهه إن
شاء الله تعالى نظرٌ موفّق ، ومتاعٌ محقّق ؛ ويجذبكم إلى موالاة هذه
الطائفة المباركة جاذبٌ يسعد ، وسائقٌ يرشد . والله يمن عليكم بما
ينجيكم ، ويمكن لكم في طاعته أسباب تأميدكم وترجيكم ؛ بمنه . والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين
 وخمسة .

الرسالة الحادية عشرة

وهي عديمة الرأس لبتّر وقع في المخطوط المنقول عنه ، ولعلّها
من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

وهذا كتابنا - كتب الله لكم ملء القلوب ، من الاضاءة والتنوير ،
وكفاء الظواهر والغيوب ، من التخليص والتطهير ، وأعاذكم بعصمته من
تقلبات التبديل والتغير ، ونجّاكم برحمته من موبقات التفكير والتقدير
- من حضرة مرّاكش - حرسها الله - ونحن نشكره سبحانه على ما وطأ
أمره العزيز ومكّنه ، وأضعف به كيد الشيطان وأوهنه ، ومهّد بإثارته هذا
القرار الامين وأمنه ؛ فله - عزّ وجلّ - في كلاءة هذا الامر المحفوظ
وحراسته أسرار يمكن الايمان تصفّحها واجتلاؤها ، وأقذار يبسط الدعة
والامان اختيارها وابتلاؤها ، وآثار يبعد بها عن مبلغ الاعداء ومدارك
الاشقياء سمو هذه الدعوة واعتلاؤها ؛ وهو أمر الله الذي لا يضره مناويه
ومخاذله ، وعهده القوي الذي لا يناله أوباش الظلم وأراذله ، وكلمة الله التي
لا يثني المؤمن عنها عاتبه العتيّ وعاذله . وقد تجدد الآن من نصر الله
وفتحه ، ما تعجز القوى البشريّة عن شرحه ، وتظهر العناية الربّانيّة في
بذله ومنحه ؛ وإن كانت العبارة بأوائل ذكره مستنفدة ، والنعوت
والاوصاف في حقّه منحطّة إلى أرض القصور مخلدة ؛ فني إلقاء الممكن

من حديثه مجال للاعتبار ، ومنالٌ لعزير الآمال والاطوار ، ومآلٌ لناشيء
التيقن والاستبصار ؛ وما هي إلا آيات بينات غشي العالم نورها ، وحقائق
جليات اضمحل لها إفك الكفرة وزورها ، وجنود مغاويات برز لنصر
هذا المحسوس النفيس محجوبها ومستورها .

وذلكم أن الأشقياء فلاناً وفلاناً وأصحابهما كانت نفوسهم الجبيثة كامنة
على أذاها ، وعيونهم السخينة نائمة على قذاها ، وفطرهم الفضة ناشئة بما
مدّها من الغلظة وآذاها ؛ ولم نزل بعد الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم
- رضي الله عنه - من أوّل هذا الزمن نحملهم في حجر الكفالة والكفاية ،
ونجريهم بمجاري العناية والحفاية ، ونسعى في تدرّيجهم على مدارج المعرفة
والدراية ، ونأخذ بأيديهم وهم يخشون على وجوههم الغاية بعد الغاية ،
ونرى وصل أرحامهم التي قطعها شقاؤهم من جملة ما يجب لحرمة المهديّ
- رضي الله عنه - من الحفظ والرعاية ؛ وهم خلال ذلك أغمار لا يفهمون ،
وسوائب لا يقفون عند حد ولا ينتهون ، وهمل يريدون التصرف في
المنكرات بما يشاؤون ويشتهون ؛ دأبهم استخلاص الفسقة ، واستصحاب
الحونة من حثالة الناس والسارقة ، والاسترسال في مذاهب الانعام المرسلة
المطلقة . ونحن مع الاخذ بأيديهم ، وكفّهم عمّا يردّهم ، نرجو أن شعب
الجنون من شبابهم تسكن ، ومستأنف الاحوال من قبيح آدابهم يحسن ،
ودائب الرفق في عتبهم وإعتابهم يدرب ويمزن ؛ وسابق الشقاء مع ذلك
يستتبع فيهم لواحقه ، وينصب بينهم وبين السعادة قواطعه وعوائقه ،

ويحمل آراءهم المنقومة ، وحوادثهم المذمومة ، حوادثه وبوائقه . فلا يلحظون جهة من جهات التقوى بطرف ، ولا ينتفعون من كلمات التذكير وحروف التنبيه بكلمة ولا حرف ، ولا يتعزّضون لقبول الله بشيء من أعمالهم في عدل ولا صرف ، حتّى انتبذوا عن أمر المهديّ - رضي الله عنه - بالغراء ، واتّخذوه وراءهم ظهريّاً بجانب الابعاد والاقصاء ، وصارت حرمانه عندهم منتهكة ، وأماناته مستهلكة ، بيد الغضب والاعتداء ، وأظهروا عودة ما استطيع سترها بوجه من وجوه الستر الشرعيّ والاغضاء ؛ وكلّما ارتفعت أسنانهم إلى أطوار الكهول ، وخيّلت هيئاتهم وأبدانهم أنّهم في حدّ أولى الفهم والعقول ، هوى بهم حرمانهم في غيابات الغفلة والذهول ، واجتاز بهم شيطانهم إلى حضيض الجور والنكول . واقترن بهم من قرناء الرجس ، وشيطان الانس ، من كان يلقي إليهم زخرف القول غرورا ، ويعدّهم بما يوهلون له جذلاً بنيله وسرورا ، ويريههم نُهز الغفلات ، ذهاباً بهم إلى المهلكات ، ومرورا .

ومع ما كان الامر يتوسّع لهم من الارزاق المنعمة ، والخيرات المتّمة ، والمنازل المكرّمة ، والحيل المسوّمة ، فلم يكن مستطابهم إلّا غلولاّ يحترقون بناره ، ويتطوّقون بعاره ، وينطلقون في أنجاده من تهاوٍشه وأغواره ؛ والنصائح أثناء أحوالهم ، وإزاء أهوالهم ، تروم انحاءهم من سكرتهم ، وإقالتهم من عثرتهم ؛ فلا يزيد الارشاد إلّا غيّا ، ولا تسمع الموعدة من حيتهم ليّا ، حتّى تفاحش منكرهم ، وتطابق مظهرهم الخاسر

ومضرهم ، ولم يقفهم عن محارم الله تعالى ما يقف أهل المروءات
ويزجرهم . فلما أشرف على دأهم الاعياء ، وتجاوزهم الاستهتار والاغواء ،
ولم يردهم من خباثت إرادتهم الخوف ولا الحياء ، هجروا قصد التأديب
بالحجر ، ووقفوا موقف الردع والزجر ، واحتملت المشقة في التماس ما
عسر من تعليمهم وتقويمهم رغبة في المثوبة والاجر ؛ ثم لوحظت رعاية
ذمامهم ، وثبتت القلوب على جانب استعطافهم واسترحامهم ، واعتقدوا
الصدق فيما ادعوه من التوبة لاحتقار آثامهم ، وبين لهم أن الذي يثبت
به شرفهم ، ويرعى معه أولهم السابق وسلفهم ، إنما هو الاستمسك
بعروة الدين ، واتباع أمر المهدي - رضي الله عنه - على الثلج واليقين ،
والتأدب بآداب الطائفة الصالحات في كل الأعمال والشؤون . ونهوا عن
مخالطة الاوباش ، ومداخلة أهل الانزواء إلى باطنهم والانحياس ؛ فأظهروا
الاعتزال عما كان المتاب منه ، ثم عادوا على إثر ذلك لما نهوا عنه ، وتردد
الردع لهم والزجر وتريد الشرك والقرع ، وتمكّن في تعريفهم ، لتبديلهم
وتحريفهم ، الايضاح والصدع ، وهجروا مرة بعد مرة ، فعادوا إلى سيئاتهم
كررة على كرة ، واستبطنوا من سحرتهم وكهاتهم شرّ فئة وأسوأ
عترة ، وترددت عقولهم المعقولة بين نفاثة في عقدها ، وعاكف على
ارتكاب القرائات وترصدها ، وحاكم على غيب الله بخروج الاشكال من
الاشكال وتولدها . فاستمرّ تخبطهم في مسالك العطب ، وتورطهم في
طلب وعدم المرتقب ، وزين لهم ما في استهواء الناس بمنصبهم ، ودعاهم

في السرِّ إلى اعتقاد مذهبهم ؛ وناجهم على ذلك من شيطانهم جمع ، وألقى إلى حديثهم المفترى نصرٌ من المذنبين وسمع ، والامرُ إذ ذاك عندهم على استتار واحتجاب ، وهم من العشور عليهم وتوجه النعمة إليهم في شكٍّ وارتباب ؛ وعندنا من تحسين الظنِّ بالكافة غاية ما يمكن ، ومن معاملة الجمع بالجميل ما يجب لله تعالى ويتعيَّن ؛ والاشقياء المذكورون لا يرون الاحسان إحسانا ، ولا يتزيدون مع الرفق بهم ورجاء الخير فيهم إلا نفاقاً وطغيانا ، والآيات تُسمع وتتجلَّى فلا تلقى منهم إلا صمًّا وعميانا ؛ ونار الحقد في جوانحهم تتأجج ، وسموم الغلِّ تمشَّى في أعضائهم وتتدرَّج ، وهم من تزيد الكرب وتأكَّد الهمُّ بما يسرُّ هذا الامر العزيز ويبهج .

فلما كانت الغزوة التي فُتحت فيها بجاية وسائر تلك البلاد المشرقية وظهر من نصر الله هناك العجب العجاب ، وتأتَّى بها من غرائب التسهيل والتيسير ما بهر العقول والالباب ، ثارت كوامنُ حسدهم تطرق وتنتاب ، وأنفرت حياتُ إذايتهم تنسلُّ وتنساب ، وسلكوا في التحريب والتخريب مسلكاً لا يشكُّ فيه ولا يرتاب . وكان لهم في الشقيِّ فلان عمدةٌ كبرى ، وعمدةٌ أجرى لها القدر من حكمه المستأصل ما أجرى ؛ فاطَّلَعَ الله على سرِّه الخبيث قبلهم ، وصرَّم بانتقاله حبله وحبلهم ؛ وتعجَّل إليه النظر المتدارك فقيده وعقله ، وطرقه الامر المعاجل فاستاقه ونقله ؛ وأقام في السجن إلى أن كان الاياب إلى هذه الاقطار ، بحكم الاستحسان والاختيار ؛ وأوضح الله عند ذلك من بواطن أولئك العادين الماكرين ، وسائر أولئك

المنافقين الكافرين ، ما توالى على وضوحه وظهوره حمدُ الحامدين وشكرُ الشاكرين . فنظر بعون الله في إطفاء نورهم قبل اشتعالها ، وقطع موادهم قبل تسربها واتصالها ، وجزَّ رؤوس الفتنة عند صراخها واستهلالها . وقتل فلان بن فلان ومن جرى مجراه في الشقاق والنفاق ، وأخذت على الكفرة والفجرة مخارج الجهات وثنايا الآفاق ، وتقبضت على الباقين منهم يد الاسر بعد الأثخان وشدّ الوثاق ، واقتضى الإبقاء والاملاء في الشقيين الباقين فلان وفلان وتأخيرهما بقدر الله عن ذلك المهالك ، والعدول بهما إلى سبيل النجاة من ذلك المسلك ، على تيقن من فسادهما ، وخبث اعتقادهما ، وانبعاثهما إلى أسباب نفاقهما وارتدادهما . وأقاما بهذه الحضرة - حرسها الله - في قيد الغفلة ، وفترة المهلة .

ثمَّ ظهر أنَّ الغاية القصوى في التجاوز عن عظيم ما اجترحا ، والتغافل عن مؤلم ما تمنّيا واقترحا ، أن يُرسلا من عقاب الاعتقال ويسرّحا ؛ واختير لهما سكنى فاس - حرسها الله - بجميع أهليهما وبنيهما لينزلوا بقرارتها خير منزل ، ويكونوا لتمييز أحوالهم هناك بمغزل ؛ وأمر لهم بما يقوم بهم من المؤاسات ، والمحترث والجنّات ، والتفت فيهم جانب الرحمة والحنان كل الالتفات ، ليلبغ الحجة عليهم منقطع الآماد وغاية الغايات . فكانوا هنالك تتجافى جنوبهم عن مضاجعها ، وتترامى قلوبهم إلى مساقطها المردية ومواقعها ، وتترامى غيوبهم في محالها من الافتتان ومواضعها . وتسئل إليهم من أشقيائهم متكهنّ جرى منهم مجرى الدّم ، ولاصقهم في عقر ديارهم

ملاصقة الالصق الالزم، وزادهم خبالاً إلى خبالهم في روم الهجوم والتقمُّ.
 فلما سار الموحدون - أعزَّهم الله - إلى رباط الفتح - عمره الله -
 واتَّفَق هنالك من عقد هذه البيعة السعيدة ما اتَّفَق، وتمَّ أمرُها بمحمد
 الله على ما أجمع عليه الملأُ وأصفق، طرق الاشقياء المذكورين من قاصمة
 ظهورهم ما طرق، واشتعلت لها نارُ الحسد بين ضلوعهم فالتهب شواظها
 واحترق؛ وأتاهم من حولها في نصابها، وقطَّع آمالهم من اختلاسها
 واغتصابها، ما أراهم سقوط أرواحهم الحبيثة بمركز قيامها وانتصابها،
 وحلول القارعة بأفئدتهم الفانية بآلام الحسرة وأوصابها. وكان لهم من
 أوليائهم في الغي من يريهم الفرصة في هذه الحضرة - حرسها الله -
 بمعرض الانتهار، ويمدُّ إلى وعدهم المكذوب أكف الاقتضاء والاستخبار،
 ويروم الخروج بهم عن خموله وذلته إلى حين الظهور والاعتذار. وكانت
 المكاتبه بينهم وبين كثير من المنافقين الذين كانوا يتربَّصون الدوائر،
 ويستبطنون الغوائل والغوائر، بأن يكون ورودهم على هذه الحضرة
 - حرسها الله - بغتةً تفجأها، وعلى حين غفلة لا تمهلها بزعمهم ولا ترجيها؛
 ولم يعلموا - وقهم الله - أن وقاية الله هي التي تعصم، وأنَّ عروته الوثقى
 لا تفصل ولا تفصم. فسار إليها الاشقياء المذكورون من فاس، والحين
 يريهم كلَّ تخيل فاسد وقياس، ويوهمهم وقد طبع على حواسهم أن ليس
 في مغالبة الله من باس؛ ومرُّوا بنظير وما يؤازيه على تلك السبيل من بلاد
 صنهاجة فوجدوا هنالك من أعداء الله من أضافهم وزوَّدهم، وأجراهم

﴿ لَعَلَّهَا لِّلْكَاتِبِ أَبِي جَعْفَرٍ بِنِ عَطِيَّةٍ عَنِ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ﴾ ٤٥

من البرّ بهم على ما عَوَّدَهُمْ . فتمكَّن اغتارُهُمْ ، وتوجَّه استعجالهم
وابتدارُهُمْ ، ووصلوا خارج هذا القطر - حرسه الله - وقد تعلَّق بأهداب
الليل نهارُهُمْ ، وتأتَّى احتجاجهم بظلامه واستتارُهُمْ ؛ فدخلوا عند ما مضى
منه هذء ، وغشيه من زمانه بدء ؛ فقصدوا الديار التي كانت لهم ولقرابتهم
فاحتالوا أوساطها ، واستغشوا أوباشها وأخلاقها ، وتوخَّوا المتوصل
غدرهم مربوطها بهذه الحضرة - حرسها الله - ومناطقها ؛ وباتوا ليلتهم تلك
واثقين على ترتيب أمرهم المختل ، متوكِّلين على أولئك المنافقين بذلك
الربط المنحل ، ورأوا بما اعتقدوه من تيسير الفتك وتأتّيه ، أنَّ النهار
أبسط لقصده وتوخيّه .

وعلّموا أنَّ الشيخ الشهيد أبا حفص عُمر بن تَفَرَّاجٍ - رحمه الله -
كان العامل على هذا القطر والناظر فيه ؛ فقصدوه عند خروجه إلى الجامع وقد
أعدَّ لصلاة الصبح عدَّة المُخبت الخاشع ، وأجاب الثوب إجابة السامع
الطائع ، وارتدى من الطمانينة رداء الساكن بقرارها الراع ؛ فهجموا عليه
فاغتالوه بأيديهم عند لقائه ، وتركوه مقتولا في سبيل الله بحياته الدائمة
وبقائه ؛ وركبوا خيلهم التي تسابقت بهم إلى مصارعهم ، وأوردتهم على
قواصمهم وقوارعهم . فجالوا بها خلال الديار ، ونادوا أثناءها بالاعوان
والانصار ، وألقوا إلى مُواعديهم الاخسرين أبصار الارتقاب والانتظار ؛
فما جلتهم بواطش الاقتدار ، وفضحهم بمراى البوار والخسار ضياء النهار .
ورأى الناس أنَّهم الاشقياء الذين تبَيَّن اعتقادهم ، وتراءى لهم قيامهم بالليل

واستبدادهم ، وتبرأ منهم الشيطان إذ تحصّل لهم كفرهم وارتدادهم .
فالتفت إلى قتالهم العامة ، وجلّت بهم الصاخة والصامّة ، وأسلمتهم
لعواقب الحين الشيعة والحامّة ، وقتلهم من جنود الله من لا يُعرف ، وحق
بهم من بأسه سبحانه ما لا يردُّ عن القوم المسرفين ولا يُصرف ، وأطفأ الله
نارهم في مثل ارتداد الطرف ، وصرف بأسهم عن الذين آمنوا باللطف
وجوه الصرف ؛ ولم يكن بين رويتهم على متون السوابح ، ووقوع نحورهم
وحلوقهم على غروب النواحر والذباح ، إلّا مقدارُ نظرة الناظر ولحمة
اللامح . وأبرزوا هنالك خارج المدينة بقاع قزقر ، تلفح وجوههم من
عذاب الله كلُّ ریح صرصر ، مرتنين بآثامهم ، مسلمين بإسلامهم
لاسلامهم ، منكوسة ذوائبُ هامهم بين أقدامهم ، تخطب العبرُ بأفنية
إفنائهم وإعدامهم ؛ ويفصح الحقُّ أنَّهم المفردون يومَ يدعى كلُّ أناس
بإمامهم ؛ لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ، وآيةٌ تجرّدت في محو
آثارهم عن ظواهر الأسباب ، وفاتحةٌ طرحت أشعة نورها وأبقت
آثار تطهيرها على أخريات الاحقاب والاعقاب .

ولما اجتمعنا - وفقكم الله - بهذا القطر الذي نفى الله خبثه ، وخلّصه
مما ألقاه الشيطان ونفته ، نُظر بعون الله في موجب البحث والتنقيب ،
ونيطت بأنقاب الامر طلائع الارصاد والترقب ؛ فأعثر الله على غواة
الاشقياء ودُعائهم ، وأطلع على غيوب المنافقين وطويّاتهم ، وانبعث إليهم
طوائف الانتقام من خواصهم وذواتهم ؛ وتقبّض على من عُرف بأذاهم

﴿ لعلها للكاتب أبي جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن ﴾ ٤٧

قواعد الفتنة وأصولها ، ورؤوسها التي تمكّن بها وجود الغرّة وحصولها .
وكان حكم الله فيهم حَزَّ رؤوسهم من أجسادها ، وتصيير نفوسهم إلى سوء
مصيرها ومهادها ؛ والغزو فيهم متّصلٌ مع الايّام ، والبحث قائمٌ على
جانب الظنّ والاتّهام .

والحمد لله الذي جعل لاوليائه عقبي الزمان ، وظلّل عليهم غمام الانعام
والاحسان ، وحمى بحمايتهم قبة الاسلام والايمان ، وأوقع مُحالفيهم
وَمُخاذيلهم في حبائل الخلاف والخذلان ، وأولى من هذه النعم الممدودة ،
والحظوظ المجدودة ، ما شكره فرضٌ على الاعيان . فسارعوا إلى شكرها
- رحمكم الله - مسارعةً الاصفياء الخلفاء ، واستبشروا فقد مُدَّتْ عليكم
أجنحة الدعة والامان ، وإيّاكم من عباده العارفين بمواقع النعم ، العاكفين
على انتهاز فضله المغتنم ، الوقفين بطاعته مواقف أمره الملتزم ؛ إِنَّه وليُّ
الطّول والكرم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرسالة الثانية عشرة

وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الطلّبة
الذين بتلّسان - أدام الله كرامتهم بتقواه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .
أما بعدُ فإنّا نحمدُ إِيْلَكم الله الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه

ونعمه ؛ ونصلي على محمد نبيّه ورسوله . والحمد لله الذي أحلّ هذا الامر
العزير من عنايته بالمحلّ الاعلى ، وخصّه بدعاء الخلق إلى ركوب السبيل
الواضحة والطريقة المثلى ، وأقام كفّلتَه وحملتَه لاذكار القلوب الساهية ،
وتنبيه النفوس الالهية ، بسور من آياته تُتلى ، وعبر من مجتلياته تُعرض
في أوقات الغفلة وتُجلى ؛ وخطم بخزائم حدوده ، وضمّ إلى حصر قيوده ،
من تبسّط على الاسترسال وتدلى ، واستفاد بحكمته وبيانه ، وحالني شدة
وليانه ، من أعرض وقاءً بجانبه وتولّى ، وأصحبه من تمشية المقاصد ، وتصفية
المصادر والموارد ، بما يكون له عند كلّ معتمد ، وفي كلّ مقتصد ، ردّاً
مكيناً وكفلاً ، وأودعه من عطفات الرضوان ، ونفحات الرحمة والغفران ،
ما يضع عن القلوب من متوقع مؤبقات الذنوب آصراً شديداً وثقلاً ؛
والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله الذي وسم الله برسالته زماناً غفلاً ،
وشرع به من الدين ما نهج لمن جار أو حار مسالك وسبلا ، وجعله - صلى
الله عليه وسلم - بين الحقّ والباطل حجراً مضروباً وفصلاً ، وأتمّ به النعمة ،
وأعمّ به الرحمة ، إحساناً غمراً وعطاءً جزلاً ، وتعريفاً أنّه الله الذي لا إله
إلا هو وسع كلّ شيء رحمةً وعلماً وفضلاً ، وعلى آله وصحبه الذين تبوّؤوا
بالحجرة والنصرة محلاً عالياً ونزلاً ، وكانوا لما تُحف لهم من الرضا ، والثواب
المقتضى ، مستحقاً وأهلاً ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ،
مطلع أنواره ، ومتبع آثاره ، يقروها فرعاً فرعاً وأصلاً أصلاً ، ويقرّها
على مثل مثلاً ، وعلى شكل شكلاً ، القائم بأمر الله وقد تغشّت البسيطة

ضلالاً منطبقاً وجهلاً ، وأشربت النفوس من خبط المشواء ، وغلية
الاهواء ، إمرأجاً وخيلاً ، واعتاضت برفع العلم وطموس الحق من رقي
هويّاً ومن علو سفلاً ؛ فانتحت البشرية التي لا تتوقف ، ووعد الوحي
الذي لا يخلف ، أنه يملؤها قسطاً وعدلاً ، ويجري في أمره إلى غاية هي
ختم الوجود ، وانقراض أمد الدنيا المحدود ، مخصوصاً من التأييد ، وسننات
التمكين والتمهيد ، بالاخلق منها فالأخلق والاولى فالاولى .

فإنّا كتبناه إليكم - كتبكم الله ممن أحسن لقبول ما يعتمد ، وتلقي
ما يرد ، استعداداً ، وأجاد لأعز المطالب ، وأفضل المكاسب ، انتجاعه
وارتياده ، وتدرّب على عمل البرّ فألفه واعتاده ، وارتاح لوارد التذكير ،
ووافد التبصير ، فقوم به معوجه وثقف مناديه - من حضرة مرّاكش
- حرسها الله - ونحن نحمد الله على دينه الذي رفع علمه ، وجمع معاقده
وعصمه ، وأمدّ له بركة هذا الامر العزيز من متين العقود ، ومكين
العهود ، ممّا سرّاه وألحمه ، فلا خلال - والحمد لله - يعمو مبرمه ، ولا
نقض يفتور محكمه ، ولا مائل عن مدرجه ، عائج عن منهجه ، إلا
صادره التعديل وصدمه ؛ فمدعو ألق وأقصر ، وعم كشف له الفطاء
فأبصر وتبصر ، ومريح شمر عن ساعد الجد وحسر ؛ وراكب رُدع
لحاجه ، وممتدّ في غلواء تنكبه عن السبيل وعياجه ، ومُنطو على دخیل
داء قد نقل بعلاجه ؛ كلّ يوفي قسطه ، ويمضي عليه من ثواب أو عقاب
ما أثبتته الكتاب وخطه ، وحدود له تتمدى ، وحقوق لا يتجاوز بها

الأمم المشروح والمدى ؛ وكلُّ بما أسرَّ من سريرة ، أو أحتقَب من صغيرة وكبيرة ، ملبَّس ومردَّى ؛ لا هَوادة يحتمل ، ولا وسيلة سوى التقوى يُدلي بها ويُدل ، ولا قربى بغير العمل الصالح توصِّل ، وتبُلُّ ميزان القسط عدلٌ وأمال ، ورجَّح وأشال ، وكال لكلِّ ما اكتال . والله بعد نفحات من رحمته يصيب بها من عباده من استنفحها ، ويصل أبواب التوصل إليها من قرعها بالمتاب واستفتحها ، ويستقيل بها عثرات الزلَّة ، وفترات الغفلة ؛ ومن أعتق نفسه من ملكة الهوى وسرَّحها ؛ أولئك الذين سبقت لهم منَّا الحسنى ، وانقادوا بزمَام العقل فما استمالت لهم دواعي النفس طرفاً ولا استهوت منهم أذنًا ، وكلَّما ذهبت سِنَّةٌ بأجفانهم ، أو عرض عارضٌ في ميدانهم ، قرعوا عليه من ندم سنَّا ، واستشعروا لما أصابهم أسفاً وحزناً ، ثمَّ تابوا إلى الفِئمة ، وتعلَّقوا بأهداب تلك الحالة الاولى وتلك الهِئمة ، وكانوا من التطلُّب لتلك الاذواق المستملاة ، والمناظرة الحسنة المجتلاة ، بين ذهاب وجيئة . والله يلهم كلًّا إلى ما قصد به ممَّا هو حظُّه الاجمع ، وركنه الاشدُّ الامنع ، وعلق قضيتَه التي تُهمل ولا تضيِّع . وقد كُنَّا - أعزَّكم الله بتقواه - عند ما أنسنا من فترات الاعمال ، وحوُول الاحوال ، والاستئناس في أمر الله بالانهماك والانهمال ، والتدرُّج في مناقل التغيير بما لان له مركب الاستهانة والاستسهال ، رأينا ما لا يسع الاحتمال فيه ، ولا يبرأ من درك التحرُّج في أرجاء تداركه وتلافيه ، ولا يؤدي حقَّ الاستحفاظ والاسترعاء بإقرار ما يبطله الحقُّ وينفيه ، وإنَّ

للماشاة في ذلك وهن لا يقبله الله في دينه ولا يرتضيه ؛ وإذا نصب الله معالم الهدى ، ولم يخلق الأمة عبثاً ولا تركهم سدى ، بل جعل كلاً بما وجهه اليه من أمر ونهي مكلفاً متعبداً ، وأقام لهم فيما يأتونه ويذرونه رسماً لا يحيل ولا يستحيل مذلاً بسلوكه معبداً ، فما هم والتخلي مع الاهواء ومخالفة الافئدة الهوى والرضا لهم بما رضوا من الإقامة بدار المضيق والندا . وأمر الله لا يدع ، وحكمه يكف ويفرع ، وله - جل جلاله - قومة بدنيه يزع بهم ما يزع ، يسوون ويعدلون ، ويقضون بالحق وبه يعدلون ، وما زلنا نعرض الذكرى بيته ، ونهدي الكلمة لئنه ، وندعو إلى سبيل الله بمقتضى المدعاة الواجبة المتعينة ، وننتظر بالمسوف ارعواء عن الغي ، وانثناءً عن مدارج الملل واللي ، وتحولاً من القلب الميت إلى القلب الحي ، النفوس بزمام هواها منقادة ، وعلى ما ألفته قدماً من أسوء عادة ، تنحط في شعب حياحها ، وتطنى وقد أرخى لها الاغترار من شكيم مراحها ، وتترك لا يثار الفساد جانب صلاحها ، وتصم أسماعها وقد قرعتها بما شاء التذكير أقوال إنصاحها ؛ فتقضى أمر الله أن تقوم بحقه ، واستدعى عهده الوفاء به في خلقه ، وحمل هذه السائمة الهائمة على سبل الاعتدال وطرقه ، وأبطأها مركب الطاعة على ما لا بد فيه من عنف الاخذ أو رفقته ، فتحركت بواعث الاعتزام ، واستقلت باستعانة الله دواعي الاستغرام ، وأخلص له - جل جلاله - مجرد القصد والالمام ، واستوبق بما استقبل وتوجيه ما أمل تجديد مراسم الايمان

ومعالم الاسلام ، وان تورد موارد الشرع صافية النطاق رزق الجمام .
ولما انقسم الناس في المراد من إصلاح فسادهم وتقويم منآدهم إلى
من استأثر بالمشاهدة عيانه ، وإلى من بعد من المباشرة مكانه ، وكان لكلٍ
من مساواة الحظّ ، وتقسّم التفات اللحظ ، ما يتوجّه اليه بيانه ، ويثنيه إلى
ما يقصده من هذا الغرض وينتجيه زمام التناول وعنانه ، أودعت أغراض
هذا المقصد الكريم ، ومناجي الدعاء إلى السراط المستقيم ، الكتب الواصلة
إليكم وإلى سواهم من أهل الاقطار بما تضمّنته من الاحوال ، وضرب
الاشكال والامثال ، وتبين متروك الحرام ومأثى الحلال ، وتنزيل القضايا
الشرعيّة منازلها من الاحكام والاعمال ، وتعريف مواقع الثواب لاهل
الثواب ، ومواقع النكال لاهل النكال ، بما استوفى فيه الاداء ، وتقصى
الابلاغ والانهاء ، ووقف عند غايته الركض والاجراء ، وخفت بذلك
عن كاهل الامانة وتقلّد أمر الديانة والاثقال والاعياء ، وأقيمت الحجّة ،
وأوضحت المحجّة ، فلا متردّد من القول يستلحق فيه الدرك والاستثناء ، أو
يحاول فيه التعقّب الاستفحاص والاستقصاء .

ولما قضيت تلك الوضيعة بحالها ، وسقطت عهدة احتمالها ، أقبلنا
الاشتغال على من إلينا وحوالينا من الموحّدين وجميع القبائل لناخذهم
بمآخذ ذلكم التعديل ، ونحملهم على نهج تلکم السبيل ، ونساوي بين من
بمدّ ودنا في الفعل والقليل ، ونمضي مسطور تلکم الاحكام على مساوقة
الفرض لها والتنزيل ، ونعدم بسيف الحق آثار أهل التغير والتبديل . ولما

حللنا هذه الحضرة - حرسها الله - وهذا الغرض المبارك يتمكن مع مطالعة الاحوال سببه ، ويتقعد مذهبه ، ويتطوّر في كيفية مآله ، وموقف مجاله ، نسبه ونصبه ، ابتدأنا بالنظر في أحوال الموحدين وإحضار الجميع منهم بهذه الحضرة - عمرها الله - واستوفدناهم قبيلًا قبيلًا وشعباً شعباً وقد تأكّد الغزم على القيام بأمر الله وإعادة على إدلاله وإحياء دارسه وإقامة عموده ونفي الحبث عن أرجائه وتصفيته من الشرب وانشائه خلقاً جديداً ولا يكون ذلك إلا بإخلاص المقصد وإظهاره الفعل وإمضاء الحكم وترك التلقّت إلى الاقوال ووسائل الالسنه فشدّ ما ارتهنت بما لا وفاء عنده ولا ثمرة له . والتحق بهذا الاصل استدعاءً جمل من كلّ قبيل من المصامدة وغيرهم ليقع العمل في الجميع وتصفي الموارد وترحض الادناس ، إذ كان الفساد قد خالط النفوس ومازج القلوب ووقع به الاستئناس ، وألفته الاهواء وحجّت المناصحة فيه الاسماع ونسى كلّ ربّه فأنساه نفسه وسقط رعي الحرمات وتنوسيت الذم لاهلها والسوابق لاربابها . وفي أثناء هذا الاستدعاء أقبل أهل التوحيد على الاشتغال بنفوسهم والعكوف على قراءة توحيدهم وملازمة وظائفهم وافصحت لهم نصب الحال عن أمور من مثلها يأخذ الفطن حرزه ويستحضر إشفاقه ويتوقّع يومه وعندها ويتراءى الناظر مكان سقطاته ، وموضع فرطاته ، وتتخشى له منسيات ذكراته .

ولم تزل القبائل ترد أفواجاً وتفد أقواماً ؛ وخلال التلّوم باكتماهم أخذوا بالقراءة والتعلّم ومدارسة التوحيد وتحفّظ ما تقام الصلاة به من

القرآن . وكان لهذا الاخذ من كل طبقة وصنف عملٌ علّت به الاصوات ، وعظم الاثر وقد ظهر من مبادي هذه المنازع وانفراض هذه المقدمات ، ما شخصت له الابصار ، وجدّ فيه الاعتبار ، وخامر منه النفوس الخوف المقلق والحذار ، وسرى في قلوب الخاصة والعامة الايحاس لامر من أمور الله والاستشعار ؛ وتوقّع ظهور آية تفرق بين المحقّق والمبطل ، وتميّز الخبيث من الطيب ، وتلبس كلّاً رداء سريره ، وجلباب طويّته ، وما ذاك ببعيد عمّن أعرّض عن الحقّ واتّبع هواه ، وأحلّ بمعده الذي عاهد عليه ، واستبطن غير ما أظهر . والله في هذا الامر العزيز أسرارٌ مخبوءة ، وودائع مكتومة ، يحض الله بها المؤمن ، ويمحق الكافر .

ولما تكاملت أعداد الواصلين ، وقد غصّت بهم السبل ، وعضّل بهم الفضاء ، افتتح باب العمل ، واستعين الله تعالى ، وابتدئ بتطوير الناس على طبقات ثلاث يعرف بها كلّ واحد قدره ، ويقف بها عند حدّه ، ويعلم أين هو من مضماره ، وتأخّره أو بداره . فالطبقة الاولى هم السابقون الاولون الذين بايعوا الامام المهدي - رضي الله عنه - وصحبوه ، وغزوا معه ، وصلّوا خلفه ، والذين شاهدوا البحيرة وباؤوا بفضلها ، واشتملوا ببردة شرفها ، وارتقوا إلى ذروة الخطوة بها ، وشهد لهم بالفضل الذي لا يؤاخذ بالرتبة التي لا تعادل . ويتلو هذه الطبقة من أمن بهذا الامر ، ودخل في هذا الحزب ، وانضوى إلى هذا الشعب من بعد البحيرة إلى فتح وهران . والطبقة الثالثة من فتح وهران إلى هلمّ جرّا . وجرى

﴿ للكاتب أبي جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن ﴾ ٥٥

- وفقكم الله - هذا التطوير على نظام أحكم فيه الوصف ، ورتب فيه الوضع ، وروعت فيه الزلف والقرب ، والمنازل المعلومة والرتب ؛ والتفت إلى أحوال أهل الثبوت والنكوص ، ومن تقاصر عن الكمال بالحظ المنقوص ، على تحرير من النظر ووزن من العدل ، عرّف الناس بسيماهم ، ووقف بهم عند غاياتهم ، وعلم كلّ مركزه ، واحتلّ بمحطه ، ووجد نفسه حيث وضعها العمل وأهلّها السعي .
(هنا انتهى أحسن فصل في هذه الرسالة .)

الرسالة الثالثة عشرة

في ولاية الأمير أبي عبد الله بن الخليفة ، وهي أيضاً من إنشاء
الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الطلبة
الذين بسبّته وطنجة - حرسها الله - وجميع من بهما من الموحّدين والاشياخ
والاعيان والخاصّة والعامة - وفقهم الله وأعانهم على شكر نعماءه - سلامٌ
عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعدُ فالحمد لله على إعلاء دينه وتمكينه ، وإجراء هذا الامر العزيز
على أفضل أساليبه وقرائنه ، وإمضاء أراء أهل الحق في صوب إسعاده
وتمينه ؛ والصلاة على محمد نبيّه المصطفى وأمينه ، ومبلغ رسالته على أكمل

حالاته من بيانه الباهر وتبيينه ، وعلى آله وصحبه الذين ألقوا صفقة إيمانهم
 بيمينه ، وولوا عهد إيمانهم من ارتضوه لامامة مفروضه ومسئولته ؛ والرضا
 عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله تعالى في كافة أحواله
 وشؤونيه ، العامل بإظهاره ، وبث أنواره ، على معارج آياته وبراهينه ،
 المؤيد بأخذ الغاية ، وحوز النهاية ، بصفات تخصيصه وعلامات تعيينه .
 وهذا كتابنا اليكم - كتبكم الله ممن اتخذ عند الرحمن عهدا ، واستمد
 في صلة أمره واستدامة خيره عزماً صادقاً وجداً ، واستعد من الباقيات
 الصالحات بما هو خير ثواباً وخير رداً ، واستنجد للوفاء بأمانته ، والصفاء
 في حفظ العهد وصيانتها ، حباً خالصاً ووداً - من رباط الفتح - عمره الله -
 وفي كنف الله ورعايته من يصيخ لبنات الخير أسماعه ، ويربط بمعاهد
 الصلاح إصفاقه وإجماعه ، ويمضي على مناهج الفوز والفلاح عزمه وإزماعه ؛
 والله بكم ، معشر المخاطبين - أكرمكم الله - غاية وصلت بحبله المتين ،
 حبالكُم ، ومكنت في أمره المكين ، آمالكُم ، وأكرمت بالطف الرحمة ، في
 أكناف النعمة ، إقراركم وإحلالكم ، وأرثكم ان العاقبة الحسنة باتباع هذه
 الواضحة البينة حالكُم ومنالكُم . فأنتم برعاية الله وكلاءته في جوانب الامنة
 راتعون ، وإلى عواقب الخير راجعون ، تستدرون أخلاف النعم استدرا ،
 وتستمتطرون من بركات هذا الامر المبارك سماء مدرارا ، وتحتلون من
 مشارق آياته وطوالع بيناته أضواء باهرة وأنوارا . وحق من منح من
 حظوظ النعم ما منحتم ، وأمسى وأصبح فيما أمسيتم فيه من الخيرات

وأصبحتم ، أن يسعى بمبلغ جهده في تقييدها ، ويحرص بالتزام الشكر على مزيدها ، ويستنفذ الوسع في طلب أسباب تقريرها وتأكيدها ، وينظر في استدامة نعيمها ، والاستقامة على مقيمها ، لقريب أوقاتها وبعيدها .

ولما كنتم - أكرمكم الله - ممن اعتصم في هذا الامر العظيم بحبله وعروته ، واقتدى بوجوب الاتباع بأسرته الهادية وقدوته ، رأينا أن نعلمكم بما عقده إخوانكم الموحدون على تقوى من الله ورضوان ، والتزموه بأتم ارتضاء واستحسان ، وابتدروه ولهم التوفيق والاصابة على يسر وإمكان ؛ وذلكم ان كثيراً من أولياء هذه الدعوة العلية وإخوانها ، من أشياخ الانظار وأعيانها ، تقدّمت رغبتهم في أمر أخرته الخيرة لميقاتها ، وأرجأته التؤدة إلى خير أوقاتها . وكانت هذه العشائر العربية الهلالية والقبائل الشرقية والصنهاجية ومن معها من حاضرة وبادية من أهل إقليمها ، وذوي ألبابها وحلومها ، يشيرون إلى ذلك على انتزاحهم ، ويعلمون بأنه غاية اقتراحهم ، ومادة نفوسهم وأرواحهم ؛ ولم تزل مخاطباتهم في ذلك تتردد حيناً بعد حين ، ورغباتهم تتأكّد بما كان عندهم فيه من ثلج ويقين . فلما اتّفق بحمد الله وصولهم في هذه الوفادة ، للاخذ بأطناب السعادة المنيفة بهم على مقتضى الآمال والارادة ، صرحوا لاوّل لقاءهم بما أضمره ، وأبدوا سرهم المكنون وأظهروه ، وأعلموا أن محمّداً - وفقه الله - هو الذي ارتضوه لحمل عبئهم وتخيره ، ورغبوا في تقديمه على بلادهم ، وإنفاذه معهم على قصده في توليته ومرادهم . وكان استدعاؤنا لهم في هذه

الوجهة المذكورة ، والحركة المبرورة ، لأمور قُصِدَتْ فيها مذاكرتهم ، ونوِيَتْ بها مباشرتهم ، لم تكن ممَّا ذكره في ورد ولا صدر ، ولا كان ما سايه القدر جارياً معها في نظر . وكان التماسهم للجواب على سؤالهم ، وبغاية اقتضاءهم ونهاية استعجالهم ، يتردّد ذكره في صدور أقوالهم ، ويتأزّر أمره بشواهد عباراتهم وأحوالهم ؛ ونحن بين ذلك كلّه على غير قصد ننويه ، وما نظهره منه مثل الذي نبطنه ونطويه .

ولما احتلّلنا جميعاً هذا الرباط الميمون ، واستنلّنا بفضل الله خيره المعهود ونصره المضمون ، وكان الوفد المذكور بدرجة الآياب ، ومرقب الالتفات والارتقاب ، تأكّد اقتضاؤهم للجواب ، وتمكّن حديثهم في معنى التقدّم المذكور والاستصحاب ، فرأينا بعد استخارة الله تعالى أن نجتمع في هذا الموضع المبارك مَنْ وصله من شيوخ الموحّدين وطلّبتهم وعمّالهم ونتذاكر معهم في ذلك الامر المسؤول ، ونعارضهم فيه على الجملة والتفصيل ، ونلّقي إليهم حديث القوم المذكورين بأنّهم وجوه الالتقاء والتوصيل ، فكان ذلك على ما قُصِدَ ، وذو كروا في الامر على ما توخّى فيه واعتمد ، وعُرفوا بأنّ ذلك ليس ممَّا بُني عليه ولا ممَّا اعتقد ؛ فشارت منهم السواكن ، وغلبت على الظواهر والبواطن ، وعُوين من أحوالهم لذكر فراق المذكور أغرب ما يُعاین . وتقدّمهم الشيخ الاجلُّ أخونا أبو حفص عمر بن يحيى - أعزّه الله بتقواه - فقال : هذا أمرٌ نحن بتقديمه ، وأعلمُ بوجوبه ولزومه ، وأولى بتأثيره علينا وتحكيمه ، ونحن السابقون إلى

مبايعته على حدود الشرع ورسومه ؛ فهو مختارنا للدين والدنيا ، ومسؤولنا
المأمول للحياطة والرعيا . وأتبع ذلك من القول في معناه ما قصد أن يمكنه ،
وأراد أن يوضح به عزمه عليه ويبيّنه . وقال أكثر الحاضرين من
الاشياخ والطلبة والعمّال ومن أعلم به من الطلبة والفقهاء ومن جرت
مذاكرته في مثل هذه الآراء : هذا أمرٌ في ضمائر أكثرنا معقود ، وفي
نفوس جمهورنا موجود ، وهو الذي ليس عليه من آمالنا مزيد ! واتفقت
الكلمة من جميعهم أنّ في ذلك من تجديد أمر الامام المهدي - رضي الله
عنه - وتقويته ، وبسط شأنه المعظم وتسويته ، ما لا يجوز تأخيرها عن
ذلك المقام ، ولا يحلّ الخلو عن التقليد له والالتزام ، وأنّ فيه من إبقاء
الامر في نصابه ، وإتيان الحق من أبوابه ، واتباع الدين من أخلائه
وأحبابه ، وقطع كلّ منافق مرتاب عن أسباب نفاقه وارتبابه ، والنظر فيما
يجمع كلمة الموحدين ويضمّ شمل المؤمنين بأوائل هذا القصد الصالح وأعقابها ،
ما ابتنى عليه اتّفاقهم وإصفاقهم ، واسترسل فيه تعيينهم وإطلاقهم .

فاعلموا - وفقكم الله - بأنّ ذلك ليس له في نفوسنا عقدٌ سابق ، ولا
نظر لاحق ، ولا طرق الضمير من أنبائه طارق . وإنّما كان هذا القصد
إلى ذكر السؤال المتقدّم الذكر ، والكلام فيه على مقتضيات هذا الامر .
وانقضى مجلس اليوم ، ومجالس بعده في ذلك الروم ، لا عن إجابة في
ذلك المطلوب ، ولا عزم على وجه من وجوه التآتي والتسبيب . واجتمع
الشيخ الاجلّ أبو حفص المذكور ومن تقدّم ذكره من الطلبة والعمّال

بجميع من هنا من أشياخ الموحدين وأعيانهم ، وقدّموا أهل النظر في أمرهم ذلك وشأنهم ، وعرفوهم بما كان من قولهم فيه وبيانهم . فاجتمع الملائكة من آخره ، وظهر الامر العجب لشاهده وحاضره ، وانتثر القول في ماكن الوجوب وتظاهره . وأصفق الموحدون وجميع من معهم على تجلّ العهد فيه وتقلّده ، وأعربوا عمّا اعتقدوا به من تقوي الامر وتأيينه ، وردّ إلى أصله ومستنده ، وصار الجميع منهم في حدّ من موالاته الاقتضاء ، على أتمّ وجوه الاختيار والارتضاء ، لم يتقدّم فيه عهد ، ولا كان من مضاء آمالهم فيه بدّ .

ولما رأينا اتفاق كلمتهم على ربط هذا الامر وعقده ، وإجماع جمهورهم على ما فيه من نصر الدين وعضده ، استخرنا الله تعالى في الاتفاق معهم على إنفاذه ، وسألنا لهم السعادة الدائمة في بيعتهم هذه ، ورجي لهم من الله تعالى إجراء ذلك على ما عودهم من الاصابة في المقاصد ، والنجح في طلب المصالح والمرشد . وانعقدت البيعة المذكورة باتفاق جميعنا على الشمل والعموم ، وقامت بأمر الله ورسوله في التفويض والتسليم ، وأتى الامر فيها على أوفى شروط التكميل والتتميم ؛ وابتدأها الشيخ الاجل أبو حفص المذكور بيمينه ، قصداً الى اعتقادها على أكرم وجه وأسناه ؛ وتتابع الاشياخ والطلبة بعده على درجاتهم ، وسرى النعيم بها في أبشارهم ومنحاتهم ، وباشرها من حضرها من القبائل الموحدين وسائر إخوانهم المؤمنين قبلاً بعد قبيل ، على أتمّ وجه وأنهج سبيل ؛ وظهر من تألّف

القلوب على ذلك وتعاضدها ، واجتماع النفوس ونواردها وترباط الافئدة وتماقدها ، ما ملك جوانح الكافة غبطة وأوسع أمر الموحدين بفضل الله عليهم مداً وبسطة ، وتم ذلك بعون الله على أوثق مبانيه ، وأطلق معانيه . والله يعرفكم أجمعين ، وسائر إخوانكم من المؤمنين ، بركة هذا الاجتماع والاجماع ، ويوجد لكم ثمرة النعيم به والامتع ، وينهضكم في فروض الدين بواجب الاقتداء والاتباع ؛ بمنه . والسلام .

الرسالة الرابعة عشرة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :
من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونه - إلى الطلبة والاشياخ والاعيان والكافة بسبته - وفقهم الله وأدام كرامتهم بتقواه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .
أما بعد فالحمد لله على تمكين أسباب الاجتماع والانتظام ، وتقريب مدارك الانتفاع بأعطياته ؛ والصلاة على محمد نبيّه المبعث رحمةً للانام ، وعصمةً لاولي التمسك والاعتصام ، وعلى آله وصحبه الكرام ، الجارين في انتهار خيراته وإحراز بركاته إلى أبعد غايات الاغتنام ، وأقصى نهايات الالتزام ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، قبله الاهتداء والاثم ، وخاتمة الحتم النبوي في الكمال والتمام ، وموضع البشري على آخر الزمان وعقبى الايام .

وهذا كتابنا إليكم - كتب الله لكم من تجدد الانعام ، وتوفر الحظوظ المسعدة والاقسام ، ما ينور بصائرکم في الاعتناء والاهتمام ، ويصحب أوائلکم وأواخرکم من الافتتاح وسعادة الاختتام - من رباط الفتح - عمره الله - وفي سبيل الله ما يربط بروابط هذا الامر العزيز ويعقد ، وعلى طاعته وتقواه ما ينظم لرضاه ويسرّد ، ولا مستعان سواه فهو الذي يعين بفضلہ ويؤيد .

وقد تقدّم إليكم - وصل الله إكرامكم ، ووالى تعريفكم بالمسار وإعلامكم - ما كان من إجماع الموحّدين وأصفياؤهم على عقد هذه البيعة المجدّدة والتزام شروطها المذكورة وأنّ ذلك لم يكن له عندنا قصدٌ متقدّم ، ولا عهدٌ متوهم ، لكنّه أمرٌ أرادہ الله فأتمّہ ، واختاره لعباده فشمله بآمالهم وعمّه ؛ ونرجو انّ الخيرة النامة في انعقاده ، والسعادة العامة في التزامه واعتقاده . ولما استوى بفضل الله بنيانه المرصوص ، وثبت على الصدق والشّج حديثه المنصوص ، وتعيّن في سوابقه ولواحقه الصفاء والخلوص ، وكان من هذه العشائر الهلالية والوفود المشرقية إياؤها الميمون ، وتأهل لها بتوفيق الله وتسديده خيرُه الموعد ونصرُه المضمون ، ورأت أنّ الذي أملتہ في معنى الاختصاص بمحمّد - وفقه الله - قد تأنّى في درج العموم ، وصار بمجمع الآمال في قرارة البيوت والازوم ، رغبت رغبة مستأنفة في استصحاب أحد أخوته - وفقهم الله - على التعيين ، وبينت ما في ذلك من جمع الكلمة وضمّ أشتات المصالح المقدمة بأنتم

وجوه التبیین ، وأصفت على أن ذلك يقطع أسباب الاختلاف ، ويفتح أبواب الائتلاف ، ويعمر جوانب تلك الأرجاء والأكفاف ، بأحوال الدعة والسكون .

واتصل ذلك بشيوخ الموحدين وطلبتهم وعمّاهم - وفق الله جميعهم - فتبينوا فيه من وجوه المنافع ، ومقاصد المصالح والجوامع ، ما اعتقدوا وجوب سؤاله ، ورأوا قبل الخير في مبادي استقباله ؛ واتفقوا على أن يصحبهم المرغوب ، في استصحابه لدفع دواعي الشغوب ، وإجراء الأمر في تفاصيله وحمله هناك على هذا القانون المبارك والاسلوب ، وانبعثت خواطر أهل البلاد كلها إلى التماس مثل هذا المسؤول المرغوب ، وأملوا ترتيب أمالهم للدين والدنيا على هذا الترتيب ؛ فسأل طلبةُ تلسان وأعمالها ومن حضر من أهل حواضرها وبواديها أن يكون لهم من هذا الأمر المتجرّد ، والشأن المسعد ، حظٌّ يفوزون بنعماءه ، ويحوزون منه أركى قسمة وأنماه ، بأن يستصحبوا من الأخوة المذكورين من يكون إليه استنادهم ، ويدور عليه اجتماعهم واعتمادهم ، ويتمكّن به استعانتهم واعتضادهم ، ويتم بالاتفاق معه أملهم من رفع الخلاف ومرادهم . فتلقّى ذلك من قبول الموحدين وتبيينه ، وتقرّره في نفوس جميعهم وتمكّنه ، ما أراهم طلبه فرضاً ، وكونه كالبيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً . وكانت المذاكرة فيه فتبين وجه المصلحة في تلقّيه ، وسبيل السداد في تيسره وتأتيه . واشتغل بالنظر فيما يصلح بذلك ، والاستعداد بما هنا وهناك ؛

وكانت بعض أيام مذاكرة من الشيوخ والطلبة والعَمَّال ومن حضر ذلك الغرب الوسط في ترتيبه وتهذيبه ، وضمَّه إلى قوانين النظر السديد وأساليبه ، فأَوا انَّ الذي يُعقد أمرُه بمعاهد السداد ، ويبني بنيانه على قواعد الاتِّصال والاطراد ، ويُقضى له من الاغتياب ما تقدَّم ذكره بأوفر حظوظ التوفيق والاسعاد ، أن يكون في وسطه من الاخوة المذكورين مَنْ تسكن إليه قلوبُهم ، ويتأتَّى به مسؤولهم من الاتِّفاق ومطلوبُهم ، ويستريغون بالاجتماع عليه ما كان يغريهم ، من التنازع والتهالك وينغويهم ؛ وأن يكون أمرُ غمارة وما اتَّصل بهم من عمل سبته وجهاتها راجعاً إلى العمل المذكور ، مرتبطاً به في سائر الشؤون والامور . وكان في ذلك من إعادة القول وتكريره ، وتفصيل الذكر وتفسيره ، ما أظهر سبيله على مظاهر البيان ، وأبرز مكنون الاستقامة به العيان .

ثمَّ تذاكر الطلبة العاملون على سبته وأعمالها - وفقَّهم الله - مع إخوانهم في معنى البحر ومجازه ، واتَّساع النظر في مراسيه وأحوازه ، وكونه رابطاً بين العدوتين ، جامعاً إلى إصلاح الجهتين ، عائداً راجعاً ، وأنَّه إذا ابقى معه النظر في أمر غمارة وسائر القبائل التي الى سبته وطنجة والجزيرتين ومالقة وأعمال جميعها محتاج إلى من يدور عليه ذلك المحيط ، وتجتمع اليه هذا النظر المؤيد البسيط ، وينزاح به عن أشغاله المهمة التقصير والتفريط ؛ وأنَّه الآن فيما يُرام لهذه الغزوة الكبرى ، من إنشاء الاسطول - عمره الله - في جميع البلاد الصالحة للانشاء ، وغزو أعداء الله

براً وبحراً ، في كافة الانحاء والارحاء ، أحقُّ بالناية والاهتبال ، وأسبق إلى التماس الارتباط والاتصال ؛ وأنه إن كان هنالك من الاخوة المذكورين من يُساعد ويُساعد ، ويُعاضد في ذات الله ويُعاضد ، ويستدعي ما يجب استدعاؤه فلا يكابر في ذلك ولا يُجاحد ، اتّصلت المواد ، وانفصلت القواطع الحوادة ، وتمكّن التصافي من خدمته والتواذ ، وارتبط البحر بالبر ، فكانت المعاملة فيه بين العاملين عليها بما يجب من المساعدة والبر .

وأنت هذه الأمور - وفقكم الله - أمراً بعد أمر ، على غير قصد منا ولا ذكر ، بل على وجوه يُعلم بالضرورة أنّها نشأت لأحيائها ، وظهرت دون مقدّمة لأعيانها . ولما رأينا اتّفاق الشيوخ والطلّبة والعَمَل - وفق الله جميعهم - على ترتيب هذه الأمور ، وإصفاقهم على ما فيه من صلاح الجمهور ، وظهور أنوار المهدي - رضي الله عنه - في مشارق الوضوح والظهور ، استخرنا الله تعالى في إنفاذ ما رأوه ، ورجونا بمشيئة الله التوفيق لهم في تفسير ما أملوه ونووه ، وتذاكرنا معهم في أنّ الذي تُكمل به هذه الارادة ، وتُرجى بالتعاون عليه البركة والسعادة ، أن يكون مع كل واحد من المذكورين من ينتهي إليه الاستحسان ، ويقوم على خيره وفضله الجلاء والبيان ؛ فعين لهم من كبار الطلّبة والحفّاظ وأعيان الفقهاء والقضاة ، ونخبة الأُمَناء والثقة ، وخيار الانجاد من الغزاة ، من يُعينهم في جمع العساكر وتمييز القبائل وتأليف الكتاب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كافة

المقاصد والمذاهب ، وأخذ الناس بالتفقه في دينهم وتعلم ما يتعين تعلمه باللازم الواجب ، والعدل بين الاحكام ، والقضاء بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة على الحاضر والعام ، واستخراج ما لله من وجوهه السائفة الطيبة على غاية مستطاعهم من الترتيب والاحكام ، ومياسرة الجمهور ، في سائر الأمور ، بما يجري على مقتضيات الايمان والاسلام . وانتخبت لكل جهة من الجهات المذكورة من قدماء الموحدين وأولياءهم بقدر ما احتيج إليه ؛ فاشتركت في هذا الخير قبائلهم ، وتقدمت إلى أوائله أوائلهم ، واستقبل منه الموحدون كافة ما يواليهم بفضل الله ويواصلهم ؛ واستقامت هذه الاحوال بحمد الله على ما أمل من استقامتها ، واعتمد من إظهارها على قواعد الحق وإقامتها .

وأعلمناكم - وفقكم الله - بها على الاجمال لتكونوا بسمع أنبائها ، والوقوف على جلائها ، كالمشاهدين لا يعازها وإمضائها ، والمشاركين في استحسانها وارتضاءها . وليس لنا في ذلك كله إلا بما يجري بطاعة الله ورسوله في تيسير آمال الموحدين وموافقهم ، ورغبتهم فيما يشيرون إليه بفضلهم وسابقتهم . والله يجعلنا وإياكم من شكر الاله إسراداً وإعلاناً ، واستدام بفضله ورعايته يميناً وأماناً ، واستصحب في التزام طاعته واغتنام مرضاته أعواناً وإخواناً ، بمنه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى وخمسين

وخمسائة .

الرسالة الخامسة عشرة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الطلبة الذين بسبته والاشياخ والاعيان والكافة بها - وفقهم الله وأعانهم على شكر نعماءه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعدُ فالحمد لله أهل التقوى والمغفرة ، وولي الرحمة الشاملة والرأفة الواصلة والميسرة ، الذي نور أفئدة المهتدين بأنوار التبصرة ، وأقبل بقلوب الراشدين قبل التنبيه والتذكرة ، وأعلن بعصم محبته علق النفوس التوبة المتطهرة ؛ والصلاة على محمد نبيه المبعث بالحجة الفراء المبصرة ، والدعوة الظاهرة المظهرة ، والسنة الواضحة النيرة ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته المختصة المؤثرة ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله تعالى على رغم الفِرَق الجاحدة المنكرة ، المؤيد في رفع أسباب الشنآن ، والحماية عن ترعات الشيطان ، بمواد المعونة المنهضة المقدرة . وهذا كتابنا إليكم - عرّفكم الله من عوارف نعمه أفضل ما تتعرّفون ، وسقاكم من معين حكيمته ما لا تصدعون عنه ولا تنزفون ، وأولاكم من رحمته ما تحافظون على شكره وتعكفون ، وجعل لكم بالايان والعمل الصالح ودّاً لا تصدقون عن رعايته ، وحفظ غايته ، ولا تصرفون - من حضرة مرآكش - حرسها الله - ونحن نشكره سبحانه أن جعل هذا الامر المبارك

قطب المصالح ، وملتقى الفوائح ، ومرتقى المطامح ؛ فالحيرات بحيطه ، محصورة ، والمسرات على عمدة بسيطة ، مقصورة ، والقوى في خدمة مقاصده معضودة منصورة ؛ وما تجريه الاقدار ، ويأتي به الليل والنهار ، فإلى تمكينه يستبق ، وعن عجائب مكنونه ينطق .

وقد كان في الامر الذي عرّفناكم بشلجه ، وأطلعنكم على ساره ومبهجه ، ما اجتليتموه من مستوضح الفتح ومجتلاه ، ووعيتم من معجزاته ما أورده الحق وتلاه ، ورأى به الكافة أن عدو هذا الامر السعيد تولى ما تولاه ، وتلقى سمير شره وتصلاه ؛ واستمرّ البحث بعد ذلك على أوليته ، وأشرف الفحص على يقين المطلب وجليته ؛ وبكون ذلك المستطير من مخباه ، المستدير على مسقطه ومكباه ، إلى جانب الموحدن انتسابه ، وعليه لا عليهم سعيه واكتسابه ، نشأت لهم بين الحجل والوجل حالة التناصح والتعاتب ، ووحشة التباحث والتطالب . وإن كانت مودّاتهم الوثيقة موصولة الجبال ، مبتولة الفلال ، مجبولة على الالتحام والاتصال ، لها الوفاء والصفاء ، والقديم الذي لا يلمّ به الدروس والعفاء ؛ فدعت هوداهم فما تطاول ، ومضت سوابقهم فما يرام إدراكها ولا يُحاوّل ، وملاؤ الزمان حديث فخرهم فهو المردّد المتداول ؛ فخبهم لهذا الامر وأهله مكين الاستحكام ، ثابت القضايا والاحكام ، منشور على صدور الليالي ووجوه الايام ، وإن عاج عن سنّة إخلاصهم عاجج ، وهاج عزمهم عن حماية أمرهم هائج ، ولّوا الحائن من وجهته لفوره ، وأسلموا الحائر بمرديات جوره ،

وتميّز كلُّ بمقامه وطوره ؛ ذلك مما يسرون له من طهارة التخصيص والتخليص ، وخصّوا به من أثر الايثار والتخصيص .

ولما عمّرت بأدكار الموعظة محاضرهم ، وأخطرت على مجاري التنبيه خواطرهم ، ونوّرت بأبصار التذكير بصائرهم ، وأجري النعت فيما درج عليه دارجهم وصار إليه صائرهم ، وأتى البيان على ذكر هذا الامر العظيم شرحاً وتفصيلاً ، وجمعت سوابقه ولو احقه في معرض التعوين جمعاً وتحصيلاً ، ووصل القول في تنزيل الاشياء منازلها توصيلاً ، وبدت مقامات الامام المهدي - رضي الله عنه - في استصحاب طائفته تقعيداً بها وتأصيلاً ، حصّص الحق الذي لا يُدفع ، وظهرت الأصول التي يُبنى عليها ويرفع ، وتردّت المخاطبات وال عبارات فيما يفيد من ذلك وينفع ؛ والموحدون - أكرمهم الله - خلال ذلك في اعتراف دائم ، وإنصاف لازم واستعطاف مائل بمثابة الخضوع قائم ، والايام تمرُّ يوم بعد يوم ، والاقوال تتوجّه في عتب ولوم ، والكلُّ يعرض في مواقف التوبة ناس بعد ناس وقوم بعد قوم . وبعد أزمته متطاولة ، واجتماعات متواصلة ، أردنا مباشرة أحوالهم ، وسمع أقوالهم ؛ فاستحضر شيوخهم وأعيانهم وطلبتهم وعمّالهم في محفل التقت على الصدق أطرافه ، واحتوى على مقاصد الحق اشتماله والتفافه ، وجرت على أهل التقدم والسبق نعوته وأوصافه . فعند انبعاث الموعظة إلى الجمع وعرض أحوالهم وأقوالهم بين البصر والسمع ، تصعّدت زفرتهم من الذكرى وفاضت أعينهم من الدمع ؛ وكلّما أعيد عليهم خطاب ، أو تُوجّه

إليهم عتاب ، أو التمس منهم على فصل من الفصول المقررة جواب ، تضالَّت
أشخاصهم خجلا ، وابتغوا الى جانب المغفرة حولا ؛ فمن أصوات مرفوعة
بالمتاب ، ومن عبرات دائمة الانهمال والانسكاب ، ومن تطارح على جهة
الصفح والاعتاب ، واستعاذة من أسباب الشك والارتياب ، حتى تمثلت صور
الاخلاص في الابشار ، وتحلَّى صفاء الضمائر في قرائن الاحوال والآثار .
وأوقع الله عند ذلك في النفوس أَنَّ الذي يتطرق به القول إلى
بعض ، ويفضى بقوم في قوم إلى الكراهية والبغض ، من يتخلَّل قبائلهم
من مشى بنيمة ، وساع في ذميمة ، ومتقلب من صور الاعتبار في كل
معقوفة منقومة . ولما بُيِّن لهم ذلك من وجوه تحقُّقه ، وأُطلِعوا على
موجبات تسببه وتطرُّقه ، وعرفوا بما في الازهان فيه من اتِّصالهم به
وتعلُّقه ، أَقْرُوا بالصدق فيه أتمَّ إقرار ، واستعادوا له ولما تقدَّمه كلَّ
استقالة واستغفار . فأَمَرُوا بتجديد المتاب وتحقيقه ، وحُضُّوا على توكيد
الخلوص وتوثيقه ، وحذَّروا من ملابسة من يسمى على اتِّصالهم واجتماعهم
بقطعه وتفريقه ؛ فعاهدوا الله تعالى على ذلك أوثق معاهدة ، وشوهدت
دلائل اليقين وإمارة الصدق منهم أوضح مشاهدة ، فنزلت ملائكة
الرحمة من آفاقها ، وفاض على القلوب فيض حنانها وإشفاقها ، وعممت
المغفرة بفضل الله على أتمَّ وجوه تعميمها وإطلاقها ، وملئت الجوانح
تفريحا وتبشيرا ، ووطئت الاحوال تسهلا وتيسيرا ؛ وانجابت عن النفوس
ظلم التوحُّش ، وانحلت عن العقول عقل الدهش .

وأمر الموحدون عن آخرهم بالتصالح والتغافر ، واستئناف أحوال التعاون والتظافر ، وقطع أسباب التباعد والتنافر ؛ فاجتمعوا لذلك أفضل اجتماع ، وتمتعوا من نعماء بأكرم متاع ، واستعيدت أحوال توأخيمهم وتصافيتهم بأحسن استعادة واسترجاع ، وصارت أيامهم أيام مصالحة بإيمان ، ومفاتيح بإحسان ، وتأسيس بنيان على تقوى من الله ورضوان .

وأعلمناكم - وفقكم الله - بهذه الرحمة ، والمسرة العظمى ، لتأخذوا من ذلك بأوفر الحظوظ والاقسام ، وتكونوا على ثلج هذا التعريف والاعلام ، وتشكروا الله على طوله وإنعامه فهو أهل الطول ولانعام ، وتبادروا الى انتهاز هذا الباب المفتوح مبادرة الاغتنام ، وتقتضوا في التغافر والتصافح وصلة الارحام ، بهذه الآداب الكرام ، وتفعلوا مثل ما فعله إخوانكم الموحدون على قصد الاعتقاد له والالتزام . جعلنا الله وإياكم من عباده الشاكرين لما أولاه ، العاملين بأحق مقصوده وأولاه ؛ بمنه وفضله ، لا رب سواه . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب في الخامس لجمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

الرسالة السادسة عشرة

في فتح المرية وبياسة وأبذة وموت السلطين أمير النصارى ؛

وهي من إنشاء الكاتب أبي عقيل عطية بن عطية :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الطلبة

والاشياخ والاعيان والكافة من أهل بجاية - أدام الله كرامتهم بتقواه ،
وأعانهم على شكر نعماءه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .
أما بعد حمد الله الذي تمت كلماته ، صدقاً وعدلاً ، وعمت هيئاته ،
طولاً وفضلاً ، وأوسعت غزاته ، بما سبقت به عُداته ، أسراً وقتلاً ،
وظهرت آياته ، وبيّناته ، على رغم من رام إخفاءها كفرةً وجهلاً ، وتفرّقت
حُماة أمره الاعظم وولاته ، في جانب الفتح الذي انفتحت جنباته ، رحباً
وسهلاً ؛ والصلاة على محمد نبيّه المرفوعة مقاماته ، المورد كراماته ، نهلاً
وعلاً ، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ، وجائزي الهدى ، سبقاً وخصلاً ؛
والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، المبعث لتمكين ما عاد لمتفرّع
السعد المكين أصلاً ، والمنتخب لاعلاء الدين المتين ، وإبداء الحق المبين ،
قولاً وفعلًا .

وهذا كتابنا إليكم - كتب الله لكم صلة الرحمى ، وإدامة النعمى ،
وأراكم مواقع العبر ، ومطالع الآتي الكبر ، من هذا الامر العزيز الاسنى
الاسمى ، وأظهر لكم من صوائب السعود ما يصيب شاكلة الرأي على بعد
الرمى - من حضرة مرّاكش - حرسها الله - وكلُّ فتح بحمد الله قد
تفتّحت أبوابه ، وتيسّرت أسبابه ، وخرج به عن الامكان وجوبه
وإيجابه ، وكلُّ شكّ بفضل الله قد ارتفع حجابُه ، وانصدع بنور اليقين
منجابه . فهناكم الآيات الربّانية قد تجلّت للعيان ، وأشرقت في مطالع البيان ،
وتوضّحت بندائها المسمع وورائها المشرق للصمّ والعميان . والحمد لله الذي

جعل هذا الامر الكريم رافعاً لاصداده ، طالماً بمظهر سعدة وإسعاده ،
وفتاً في سواعد حزب الشيطان وأنداده ، بصـواعق براقه وإرعاده ،
ويسر فيهم غرائب الفتوح ، وعجائب الصنع المنوح ، من مستنجز وعده
وإياعاده ؛ ولا ناشيء - وفقكم الله - من الآمال ، ولا طاريء من تنازح
القبول والاقبال ، إلا وبرية هذا الامر الأعلى متكفلة بإيجاده ، متخلّفة
في مدّه وإمداده .

وقد كانت الاندلس - وفقكم الله - هذه المدّة كلّها تستدعي من
صرف العناية إليها ، والاقبال بكنه الهمة عليها ، ما ترتّب فضله على
الوجوب ، وأخذ حقّه بمجامع النفوس والقلوب . وكان عدوها المجاور ،
وأرقها المشاور ، قد لجّ في غلوائه ، وركب إلى المطامع ظهور أهوائه ،
وأخذت وساوس الشيطان تتصل في إجرائه وإغوائه ، وتخيّل له أن
ميامين الاقدار تتصرّف بلوائه ، وتتعرف من ظفنه وثوائه ؛ فصار أحرّ
من محففة الذباب ، وأحرى إلى انتهاز الفرص من المذكيات على القلاب ،
وكلّما أجرى بالحلاء ، ونال غاية على جهة الامهال والاملاء ، سمت نفسه
إلى الاستيلاء ، وارتمت إلى أبعد مرامي الظهور والاعتلاء .

ولما توجه النظر إلى جهاده وغزوه ، واستحضر العزم في قطع
اعتدائه وعدّوه ، وابتدر الرأي إلى تقييده عن مسرح بأوه ، ومطمح
شأوه ، رأينا أن أمر المرية - حرسها الله - من أهمّ الأمور ، وآكدها في
هذا الغرض المبرور ، والامل الميسور ، لكونها ناظمة بين الجهات الشرقية

والغربيّة ، ورابطة بين البلاد البريّة والبحريّة . واتفق عند ذلك نفوذ الطلبة الذين بغرناطة - أعزّهم الله - إلى جهاتهم وانصرفهم ، لحماية أكنافهم وأطرافهم ؛ فلما وصلوا إليها ، ووردوا عليها ، فلم يلقوا عصا التسيار ، ولم تتركهم دواعي البساط والانبطاح للمكث والاستقرار ؛ وعند ما انتظموا على هذا القصد والتاموا ، وركبوا الخيل للجهاد واستلاموا ، وساروا على بركة الله واليمن يقدمهم ، والسعد يخدمهم ، والعناية تصحبهم وتلزمهم ، ووافوا المريّة - حرسها الله - وقد انتشر من كان فيها من الكفّرة على تلك الرّبي والاباطح ، واختلط المرعي بالمهمل في تلك المراحات والمسارح ؛ فابتدرهم جنود الله بطعنهم مخلوجة وسلّكي ، وتريق دمهم الهدر سفحاً وسفكاً ، وحازوا هنالك من النفل الكريم ، والخير العميم ، ما ملأ عيونهم قُرة ، ونفوسهم مسرّة ، واقتحموا على بقيّة الكافرين أبواب المريّة - حرسها الله - فانتجز لهم الوعد الموعد ، وتيسّر لهم الفتح المعهود ، وتساقّت دماء أساود الكفّرة تلك الأسود ، واستولوا عليها استيلاءً من عضدّه السعود ، وأيّدته الجيوش الباطنة والجنود ، فلله ما ظهر هناك من آيات باهرة ، وبيّنات ظاهرة ، لا تنسب إلّا لبركة أمره ، ولا تعتري إلّا لمونته المقدرة ونصره .

ولم يبق للمشرّكين في تلك الطحمة الهاجمة ، والنقمة الداهية ، إلّا من انحصر في القصبة ، فراراً من الغلبة ، وحذاراً من تلك الصوارم المرهفة واللاهزم المذربة . وأقام الموحدون - أعزّهم الله - بظاهرها المِطْل ،

وشرَفها المُقِلّ ، مسرورين برفعة الحال والمحلّ ، مستبشرين بانتشار ذلك النظم المنحلّ . ولما اتّصل بابن مُردَ نيش ما هالَهُ من هذا النبأ المفلق رأى أن ينهض بجملته البائسة على نيّة الغياث ، ومبادرة خيله قبل الانتقاض والانتكاث ، وأن يتناول الاستنصار بالاستنصار تطاولَ البغاث ؛ فاستصرخ بالسُّلَيطين استصراخ الملهوف ، تقويةً لأمره المضعوف ، ورجاءً في استنقاذه من الختوف . ولما حسَّ بُدائهُ ، ورأى ما أخذوا عليه من دائه ، وبادوا إليه من غذائه ، بادر بنفسه ، واعتقد نصرته في كِفَالَةِ بأسه . وتضافرت جموعُهم البائدة ، وجنودهم الحائدة ، على المريّة - حرسها الله - في أحفل عَدَدٍ ، وأوفر مَدَدٍ ؛ فلم يزد الموحّدين ذلك إِلَّا شُهامةً وصرامةً ، ولا تعرّفوا بنزول الكفّرة إِلَّا عِدَّةً وكرامةً ، واستمرُّوا على حصر القصبة المذكورة والكافرون يرون إخوانهم في قبضة الاسرة ، وحالة العسرة ؛ فيخترقون فناء الحسرة ، ويشرقون بعد العبرة والزفرة ؛ وسلّط الله عليهم في أثناء ذلك من الرغب ، بمقاساة ذلك المنظر الكريه الصعب ، ما زلزل أقدامهم عن مواقفها ، وغمّ نفوسهم برواجفها ، وأراهم مساقط هامهم في معارك تلك الصدمة ومزاحفها ؛ فولّوا على الادبار وهلاً ووجلاً ، وتنافسَت أقدامُهم في الفرار سرعةً وعجلاً ، إذا رأوا غير شيء ظنّوه رجلاً ، وإن نب ناعبٌ رأوه حيناً مرتحلاً ، وأَجَلًا معجلاً .

وقد كان الطَّلَبَة - أعزّهم الله - خاطبونا باجتماع الكفّرة واثتلافهم ، ومحاولتهم الثبوت في محلّ انقراعهم وانجمافهم ؛ فرأينا أَنَّ الله تعالى قد يَسِّر

ما كان يؤمل من انتسافهم ، ويحاول من هلاكهم وتلافهم . فسرنا على بركة الله وعونه وقد تحرّك الوجود بأسره ، ووثق الجميع بفتح الله ونصره ، وفدح الكافة بما ينتجز في ذلك من الوعد الصادق لامره . ولما نزلنا على مرحلة من هذه الحضرة - حرسها الله - وقد انبسطت النفوس لذلك الجهاد المبرور ، والغزو المشكور ، وعمّتها من الفرح والسرور ، ما كادت تسبق به الجسوم لمباطشة ذلك العدو المقهور ، وافي البشير بنكوصهم على الاعقاب ، ورجوعهم بهول المطلع وكأبة الانقلاب ، وإجفاهم في ذلك المهمة واليباب ، بحالة الذهاب والتباب . فرجع الموحدون على بركة الله وقد نالوا الاجر والغنية ، واكتفت لهم الفتوح هذه الغزوة العميمة ، والحركة العظيمة ؛ وكانت - أعزكم الله - على قرب مأخذها ويسر مقصدها أبلغ في إهلاك الاعداء من غزوهم في عقر ديارهم ، وقتلهم عند محمى حمائم وذمارهم ؛ ولقد ظهر في ذلك لأولي البصائر والابصار ، ما وضع وضوح النهار ، وصار عبرة لأولي الاعتبار .

ولما جد أولئك الاشقون في الهرب ، وشدوا حيازيمهم للقاء الموت والمطب ، أخذ الموحدون - أعزهم الله - بمخنق أولئك الكفرة المحصورين ، أخذاً قذف في قلوبهم السلا ، ولسهم بالكريهة وهل يبقى على البئر الخلا ؟ فتيسر أمر تلك القصة - حرسها الله - على أحسن وجه وأجمله ، وأتم صنع وأكمله ، وتحصل الموحدون فيها على غاية الظهور ، ونهاية الوفور ؛ فارتفعت أصواتهم بالحمد والشكور ، وسطعت آياتهم في

مطلع الضياء المشرق والنور، وبُدِّل خوف تلك المدينة - حرسها الله -
أماناً، وكفرها إيماناً، ونطقت البيئة التهليل، بذلك الصنع الجميل، إفصاحاً
وإعلاناً، وتيسرت عوارف الآمال، ولطائف الاجمال، تمكناً وإمكاناً.
ولما اتَّصل بالكفرة المنهزمين هذا البناء المهلك، والحتف المدرك،
عاجلهم الامر الوحي، وداخلهم الداء الدوي، وأراهم عاقبة الخسار والبوار
رأيهم الدبري. ثمَّ وصلوا إلى ساحة غرناطة - حرسها الله - منجزين ببقية
ذماء، ومحلين بأثر حمية واحتماء، وبواطنهم قد عصت بالفرق، ونفوسهم
تفيض من الغصص والشرق؛ وكلَّما لاح بأفقهم لأضح، وصاح بعقرهم
صائح، تلَّهم للجين، وأفهمهم سرعة الفتح المبين؛ فهم بين أحوال
تعترض، وأوجال لا تنقرض؛ وشاهدوا مدَّة إقامتهم من تلك الاسوار،
المجلَّلة بالحماة، المكَّلة بالكماة، المتوغَّلة في تلك المرماة والمسماة، ما زادهم
خبالاً، وأورثهم وبالا، وأراهم وقع المكاره حساً وخيالاً؛ والموحدون
الذين بها - أعزَّهم الله - يغيرون على أكنافهم، وينقصون من أطرافهم،
ويتربصون بهم دائرة السوء في إحفالهم وإيجافهم.

ولما رأى السُّلَيطين ما غمره من تلك الالهوال، وتضاف عليه من
الحزي والنكال، وأفضى إليه من ذلك المآب الخاسر والمآل، فرَّ من
الموت وفي الموت وقع، واتَّسع الحرق على الراقع فما رفا ولا رقع، وألقى
في آلاته المنتدبة، ومجانيقه المنتصبة، ما تصلى به ناره من النار الحامية الملتبة؛
ثمَّ استتبع ما جمع من تلك الجنود المنهزمة، ونثر ما أُلِّف وحشر من تلك

الجموع الملتئمة ، وسار يجود بنفسه ، ويتطارح على رسمه ، ويندب في يوم
تعبه ، ما أسلف في أمسه ؛ ولما وصل من مقربة من بيّاسة - حرسها الله -
قيّده المنية بقيدها ، وأودعته مظلم حفرتها وضيق لحدها ، واقتضت نفسه
الحبيثة اقتضاء العزم عجّل على النسيئة بنقدها . وصدر فرط من معه هنالك
من أشياعه وأتباعه بذلك المرأى الهائل ، والمنحى الجائل ، أجفل من النعام
الشائل . وعند إحباس الطلّبة الذين فتح الله لهم في المريّة - حرسها الله -
بهذا الامر الطارق ، والفتح الحارق ، بادروا للفور مسرعين ، وجدوا للحين
مهطعين ، يصلون التأويب بالأسّاد ، واثقين بنجح الاجتهاد ، وحامدين
عاقبة الغزو والجهاد ، حتى انتهوا إلى بيّاسة - حرسها الله - فتلقّتهم هنالك
عجائب الفتوح ، ورقّتهم غرائب الفضل المنسوح ، في مراقي الظهور
والوضوح ؛ وخرج إليهم أهل القطر - حرسه الله - جمّاً غفيرا ، ونشراً
منتشراً كثيرا ، كلهم يعلن بالدعاء تعظيماً وتكبيرا ، ويسأل بركة الوعي
والاسترعاء تمكيناً وتقديراً ؛ فلم يألوهم تسهلاً وتيسيراً ، ولا تعرّفوا من
قبّلهم إلّا بشرى وتبشيرا . وساروا إلى المدينة - حرسها الله - مفتحة لهم
الابواب ، ميسرة لهم الاماني الرغاب ، تهلّل بهم وجوه الآمال ، وتقبل
وفود الاقبال ، على ما اقتضاه ذلك العجب العجاب . وقد كان انحصر
بقصبتها من لم ير الامر من وجهه ، ولا تصوّره على كنهه . ولما أبصروا
تلك الفاشية قد لحقتهم ، ورأوا تلك الآزفة قد أرهقتهم ، بادروا إلى أبّذة
- حرسها الله - مبادرة الفلّ المنهزم ، والقلّ المصطلم .

ولما اتّصل بالطلّبة - أعزّهم الله - نبّوهم قاموا بثقيف تلك القصة
الاشبة والمدينة الحصينة ، وملؤا نفوس الناس بما سكّنها من الامنة
والطمأنينة ، وساروا على الفور طالبين ، أثر أولئك الهاربين ، حتى أفضوا
إلى أبّدة - حرسها الله - فتيسّر لهم الفتح الجميل ، والمنح الجزيل ، ودخلوها
بحمد الله أسرع من طرفة العين ، ولم يسلموا البدار والابتدار لمشط الاناة
والاين ، بل صمّموا تصميم الاجدّ ، وتمّموا ذلك الصنع الكريم بمقتضى
الرأي الاسدّ ، والامر الاشدّ . وانفتح أثناء ذلك من الحصون الممتعة ،
والمعاقل المرتفعة ، ما كان يعزب عن الاوهام ، ولا يقرب لتناول الجيش
اللهام ، أتلاع تُزاحم أعنان السماء بمناكبها ، وتُصادم فدوع النجوم بذوائبها .
وبياسة وأبّدة - حرسهما الله - قطران عظيم المنافع ، متّسعا المسارح
والمزارع ، ممرعا الجوانب والاجارع . وعلى بياسة منها كانت عمدة الفار
في شنّ المغار ، والالاح في الاضرار ، وبثّ السرايا في تلك الجهات
والانظار ، والانسحاب على ما يمتّموه من الاصقاع والاقطار ؛ وقد كانوا
اتّخذوها أصلاً يسندون إليه ، ويعتمدون عليه ، فشحنوها بالآلات المعدّة ،
والاقوات الممدّة ، تحصيناً لأمّ مشواهم ، وتمكيناً لأمّ عدواهم . وكانت
بين بلادهم وبين بلاد الاندلس - وفقّهم الله - في العهد المتقادم مسيرة
أيام للشديد المديب ، والسريع المقرّب ، في مهامه طامسة الصوى ،
متّصلة المنازل المستوبلة المحتوى ؛ وكانوا إذا راموا الخروج طالت عليهم
الشقة ، وكثرت المشقة ، فلا يصلون إلّا بعد التقليع والتحذير ، واتّصال

البرد بينهم والتنوير ، فيرجعون عن الحبة والعناء ، كَارَيْن من ذلك السبب والدهاء ، إلى أن تمكَّن لهم أخذُ بيَّاسة - حرسها الله - فحصلوا منها بالجامع الرابط ، والمانع الحائط ، لا يعزب عنه محاول ، ولا يبعد عنهم متناول ؛ فأحلُّوا العباد ، وأخلوا البلاد ، وأخافوا الاغوار والانجاد .

والآن - وفقكم الله - قد استراحت الاندلس من دائها العضال ، واستباححت حمى الكفرة بمرهب القراع والنضال ، وأراحت بنور الايمان ظلمة الكفر والضلال ، وارتاحت بنفائس اليمين والامان في ملابس الحسن والاحسان والافضال . وخاطب الطلبة - أعزَّهم الله - معلمين على الجملة والاجمال ، بتلك الفتوح التي تسنَّت على غاية الاجمال ، على ما شئت سنِيَّات الآمال ، ومبينين بأنَّها - والحمد لله - متَّصلة في غفوانها ، جارية في ميدانها ، مِلء غنائها . وأعلنناكم - وفقكم الله - بما تسنى من هذه المسرَّات المتوَّاثرة ، والخيرات المتظاهرة ، والآيات الظاهرة الباهرة ، لتشيُموا بروق الرحمة ، أين مصابها ، وتستقرَّ في نفوسكم محلَّ هذه النعمة ، ومصابها ؛ فكم تيسَّر في هذه المكتبة العظمى من فتح اندرج على بواهر الفتوح ، ومنح اتَّصل بسنِيَّات المنوح ، ونصر تُصَرَّف في نيله بمدد الملائكة والروح . ألم يكن هذا الكافر الحاسر عَجَل الله بنفسه إلى النار ، وأحلَّه متبوَّأه من دار البوار ، يشمخ بأنفه ، ويعرض تأتّي عطفه ؛ وها هو مجدَّل بحتفه ، ومبدَّل من حياته ونجاته بنفسه وخسفه . هذه - وفقكم الله - آيات بيِّنات ، وبراهين متعيِّنات ، قد سفرت عن مناظرها الرائقة ،

وأفصحت بعبرها الناطقة ، وأنجزت - والحمد لله - مقدمات الوعود
ومتنمات السعود السابقة ، والحمد لله الذي وصل المنحة السنية بكمالها ،
وأطلع هذه الدعوة العلية في مظاهر جمالها وإجمالها ، وجعل العاقبة الحسنى
بمبدأها الأكرم الأسنى ومآلها . والله يجعلكم من الشاكرين لنعمه المتصلة
الامداد ، المشملة الاسعاد ، الجارية على أبعد الغايات والآماد ؛ بمنه
وكرمه . والسلام .

كُتب في العشر الاوّل من شعبان المكرّم سنة ثنتين وخمسين
وخمسمائة .

الرسالة السابعة عشرة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي عقيل عطية بن عطية المذكور ،
يذكر وفود القبائل الذين ببلاد السوس والتماسهم الامر وتوحيدهم وما
انضاف إلى ذلك من الوصول إلى تينملل وزيارة قبر المهدي ابن تومرت :
من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الطلبة
والاشياخ والاعيان والكافة بفلانة وأنظارها - أدام الله كرامتهم بتقواه ،
وأتممهم بموارف نعماء وحماه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .
أمّا بعد فالحمد لله أهل التقوى والمغفرة ، ذي الرحمة الميسرة ،
والمعونة المظهرة المقدره ، مُقيم قواعد هذا الامر العزيز على قواعد الخير

والخير ، ومُديم نضرة النعيم للوجوه الضاحكة المستبشرة ؛ والصلاة على
 محمد نبيّه المؤتى بجوامع الكلم ، وبوالغ الحكم ، المتقرّرة . المجتلى في كشف
 الظلم ، وإنارة القصد الائم ، بمطالعته المشرقة النيرة ؛ وعلى آله وصحبه
 الكرام البررة ، أولى النفوس المتنوّرة ، والقلوب القابلة المثابرة ؛ والرضا
 عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، ذي الوعود المظفرة ، والسعود
 المسفرة ، المبتعث بالبصائر المبصرة ، والسرائر الطاهرة المطهرة .

وهذا كتابنا إليكم - كتبكم الله ممّن أبصر آيات الحقّ المبين تُظهر
 وتُبَرِّز ، وغايات السعد المكين تُخار وتُخَرِّز ، وحرّمات الدين المتين
 تُحَرِّس وتُحَرِّز ، ومقدّمات هذا الامر الميمون الامين تستنجز فتُنَجِّز
 - من حضرة مرّاكش - حرسها الله - وقد كُرم بفضل الله الورد
 والصدر ، ونيل المنح المنتظر والفتح المتدرّج ، وجرى في استنانه ، ملء
 عنانه ، القضاء المسعد والقدر ؛ فاقتضت النفوس - والحمد لله - أحوالها
 السنيّة ، وآمالها الجنيّة ، وجمعت في منال أجرها ، ومآل يسرها ، العمل
 والنيّة ، ونالت بسعادتها المستفادة ، ووفادتها المستجادة ، الامن والامنيّة .
 وكلّ ما يطراً بحمد الله من المنح الباهرة ، والمنن الباطنة والظاهرة ، فمن
 بركات الامام المهديّ - رضي الله عنه - منشأة ومنبعة ، ومن مقاصده
 الشريفة ، ومشاهدته المنيفة ، مشرقة ومطلعة . والحمد لله الذي تيسّر به
 الخير أجمع ، وتحصّل لأوليائه أمره الاعظم وأهله ما يبهر مرآه ومسمعه ؛
 وإليه يحمد المرء ما تقدّم بين يديه ممّا يحظيه وينفعه .

وقد كنّا رأينا - أعزكم الله - أن ننهض على بركة الله وعونه إلى
جهات بلاد الموحدين - أعانهم الله - على قصد الاجتماع بجمعهم ليتجدد
عهدهم بالذكرى ، وتشافهم السنة البشرية ، وتمكّن من نفوسهم
مقاصد الحسنى واليسرى ، وانضاف إلى ذلك من القصود المكرّمة ،
والغايات الميّمة ، ما يُتمنّ به ، ورجي الخير بسببه ، واستحضر العزم
في ابتغائه وطلبه . فسرنا بمن أمرنا بالنهوض من مشيخة الموحدين - أعانهم
الله - وأعيانهم وطلبتهم وحفاظهم لا يقطعون واديا ، ولا ينزلون ناديا ،
إلا وكتب لهم به عمل صالح ، وأمل سانح . واجتمع هنالك ، بمن تجاوز تلك
المسالك ، من قبائل جذميّة ، ومضمودة ، وجنفيّة ، ورجزاجة ،
وحاحة ، كل قبيل منهم في مستقرها ، ومصاف ممرها ، قد أغصت
الاباطح والرّبي ، واستروحت النصر بمناوحة تلك الصّبا ، وقد أعدوا
لقبول الموعظة ، ولأدكار الموقظة ، أسماعا واعية ، وقلوبا راعية ؛ فأخذ
معهم على جهة التذكير والتبصير ، في التعريف بمقاصد هذا الامر المشرق
المنير ، وتقدير ما يسرّ لهم به من مطالب التيسير ، ومذاهب التبشير ، وشمل
جميعهم الخان والامتنان ، رحمةً للكبير ، وشفقةً على الصغير ، ورفقا
بالقوارير ؛ فطار بهم الفرح كل مطار ، وتحصل لنفوسهم كل استبصار
واستبشار . واستمرّ الامر على هذه الصورة المجلّوة ، والسورة المتلّوة ،
منقلةً منقلة ، ومرحلةً مرحلة ، وكلّها تمكث فيها بحسب ما تقتضيه
الحالات المحاولة ، والأُمور المزاولة ؛ والموحدون - أعانهم الله - ينالون في

أثناء ذلك من الخيرات المهمة ، والبركات المكتملة ، ما عظم حسناً ومعنى ،
وبهر حسناً وحسنى .

ولمّا وصلنا أحواز بلد حاحة - عمره الله - تلقينا هنالك جماعة من
قبائل جزولة الكُست - وفقهم الله - وهم يؤمّون هذه الحضرة - حرسها
الله - راغبين في الامان بالايمان ، وطالبين عموم الفضل والامتنان ،
وسُوغوا ما أملوه من المن والالطاف ، وأعلموا بما في الخلاف ، من الهلكة
والتلاف ، وبُين لهم أنّ المؤمن كالنخلة طيبة القطاف ، والكافر كالارزة
مريقة الانعجاف ؛ فنطقت قرائن أحوالهم ، على مطابقة أقوالهم ، بما عندهم
من صدق الرغبة ، وحسن التوبة ، وتمكّن الفئدة إلى أمر الله والابوة ؛
وهم يتذمّمون من إصرارهم ، ويتوسّلون بخلوص إعلانهم وإسرارهم ،
ويصرّحون بأنّ ما سلف من أعمارهم ، ليس من إعمارهم . وكان الاجتماع
بهم على أحسن ما أملوه ، وأيمن ما سألوه ، وتقلّدوا بتقليد البيعة عهد الله
الذي احتملوه ، ثمّ صدروا على بركة الله وقد ظفر بالرحمة آئبهم وتائبهم ،
وشكّرت مواقع النعمة ألسنتهم وحقائبهم . وكانت في هذه الموافقة
- أكرمهم الله - عبرة من العبر ، وآية من آيات الله الكبير ، فإنّها كانت
على غير علمٍ من الجهتين ، ولا ارتباط من الطرفين ، بل كان ذلك بأمر
إلهي ، وتسخير ربّاني . واستمرّ سير الموحّدين - أعزّهم الله - لا تمام
مقصدهم الاتم ، والاهتمام بغرضهم الاهم .

ولمّا وصلنا إلى السوس - عمره الله - تجدد للنفوس - أعزّكم الله -

هنالك من العمل على التقوى والبرّ، ومراقبة حدود الله في العلن والسرّ،
ما استرسل على العموم والخصوص، وتبيّن في مقامات الاخلاص
والخلوص؛ وظهر هنالك من آثار تلك البداية، وأنوار شمس الهداية، ما
صار أوضح في النفس، وأبين للحسّ، من نور الشمس. وكان الوصول
إليها أوّل يوم من شهر رمضان المعظّم من هذا العام المبارك - يَمَنَّهُ اللهُ -
فيا سحَبَ النعمة اسكبي، ويا خيل الرحمة اركبي! فلله ما ظهر هناك
- أظهركم الله - من آيات جليّة، ومقامات سنيّة عليّة، وكرامات
مغاويّة وحسّية.

ولمّا جدّ الموحدون - أعانهم الله - في السير، وتجلّت لهم في البدار
صورة الخيرة والخير، وصلوا الى تارودانت - عمّرها الله - فآلفوا فيها من
قبائل السوس - عمّره الله - جموعاً غشت أديم أرضها، وامتدّت مع
طولها الممتدّ وعرضها، كلّهم ينافس في البركة، ويرغب في الاختصاص
بحظّه من تلك الرحمة المشتركة. فاجتمع بهم قبيلًا بعد قبيل، وجيلًا
إثر جيل؛ وصدروا عن مواقف التسليم وقد نالهم الرحمة على السواء،
وطارت الفرحة بجثّتهم في الهواء؛ وظفر هنالك - أعزّكم الله - من
خلوص أنفسهم بالطاعة، وبلوغهم في العمل بهذا الامر الاكمل إلى غاية
الاستطاعة، ما شهد لهم بالسعادة، وخرق في حقّهم معهود العادة. والحمد
لله الذي يسرّ بركة أمره الأمور، وشرح الصدور، ووصل لأوليائه
العلوّ والظهور، والفرح والسرور.

واستعدت النفوس - أعزكم الله - عند تمام ذلك وكماله ، وبلوغ الجميع غاية مستناله ، من آماله ، لزيارة الامام المهدي - رضي الله عنه - في مطالع نوره ، وموضع ظهوره ، حيث طلعت شمس الدين ، وتبلى أنوار اليقين ، وسطعت آيات الحق المبين . ورجونا - أكرمكم الله - بمشاهدة تلك المشاهد المكرمة ، والمعاهد المعظمة ، تجدداً لهذا الامر الجديد ، وتميناً بذلك المرضي الميمون السعيد ، وتبرُّكاً بلبس المنازل المكرمة من ذلك الصعيد ، وتمكُّناً لمقاصد هذه الدعوة العلية في محال التأصيل والتقيد ؛ فسرنا بمشيئة الله وبركته - رضي الله عنه - متكفلاً بتقريب البعيد ، وتدليل المسلك الاوعر في حالة التصويب والتصعيد . فكأنما رويت الارض ، ليؤدّي ذلك الفرض . ووصلنا على بركة الله إلى إيجليز بمنّة الله فلوحظ ما هنالك من الآثار ، بعين الاكبار ، ورأينا البركة في تلك الانجاد والاغوار ، متّضحة للبصائر والابصار ؛ وغصّ ذلك الجو المشرق ، والافق المحقق ، بما سطع فيه من الاضواء والانوار . ثمّ صعد إلى منتهى العصمة ، ومهبط مليكة الرحمة ؛ فنزل عن الاكوار ، وتبرّك بذلك المسجد المعظم والغار ، ودين بتعظيم ذلك المشهد الكريم في الاعلان والاسرار . وأقنا فيه أياماً تبرُّكاً بفنائه ، وتهمماً ببنائه ، ونُصب على باب الغار المقدّس باب يقية من أهوائه ، ويدفع عنه مضرة أنوائه ؛ ثمّ نظر في إقبائه ، وتغطية أرجائه ، وتسوية أرضه وسماؤه ؛ وتمّ - والحمد لله - على ما

تُوخِّيَ فِيهِ مِنْ حَسَنِهِ وَاسْتَوَائِهِ ، وَظَهَرَ عَلَى جَوَارِحِ الْمُعْتَمِلِينَ فِي إِحْيَائِهِ ،
مَا تَبَيَّنَ مِنْ نُورِهِ وَضِيَائِهِ .

وَاسْتَمَرَّتِ التَّلَاوَةُ فِي الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ ، مَدَّةَ الْإِقَامَةِ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ
الْمَعْظَمِ ، لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَجَهَارًا ، وَاجْتَمَعْنَا هُنَاكَ بِشُيُوخِ هَزْرَةِ
وَأَعْيَانِهِمْ - وَفَقَّهِهِمُ اللَّهَ - وَبُشِّرُوا بِمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ سُؤَالُهُمْ ، وَأَمَّتْهُ أَمَالُهُمْ ؛
فَطَابَتْ قُلُوبُهُمْ وَحَسَنَتْ ظَوَاهِرُهُمْ وَغُيِبُ بِهِمْ ، وَبُذِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفْحِ
الْجَمِيلِ وَالْمَنْحِ الْجَزِيلِ مَسْئُولُهُمْ وَمَطْلُوبُهُمْ . وَوَادَعْنَا تِلْكَ الْمَنَازِلَ الْمَرْفُوعَةَ ،
وَقَدْ أَوْعَتِ النُّفُوسَ الْمُوَدَّعَةَ ، وَصَارَتِ الْقُلُوبُ الْمَشِيعَةَ الْمَشِيعَةَ .

وَاتَّصَلَ السَّيْرُ - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْجِبَالِ الَّتِي يَرْتَدُّ الطَّرْفُ
عَنْ مَدَارِكِهَا ، وَيَسْتَجِدُّ طَالِبُ الْعَصْمَةِ فِي مَسَالِكِهَا . فَلَمْ يَزَلِ السَّيْرُ وَالتَّسْهِيلُ
يَأْخُذُ بِالضَّبْعِ ، وَيُظْهِرُ إِثْرَ ذَلِكَ الْمُرْتَبِعِ وَالرَّبْعِ ، وَيَدُلُّ عَنْ مَسْلِكِهَا
الْأَبْسَطَ ، وَمَأْخُذَهَا الْآخِوْطَ ، عَلَى مَقْتَضَى النَّظَرِ وَالطَّبْعِ . وَعِنْدَ مَا انْتَهَيْنَا
إِلَى آنَسَا - عَمَّرَهَا اللَّهُ - وَهِيَ طَرَفُ بِلَادِ السُّوسِ ، أَلْفِينَا قِبَائِلَ تَيْنَمَلَّلَ
وَهَنْتَاتَةَ ، وَمِنْ انْضَافِ إِلَيْهِمْ مِنْ قِبَائِلِ تِلْكَ الْجِهَاتِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - قَدْ
انْبَسَطَتْ عَلَى بَسِيطِهَا ، وَأَحَاطَتْ بِمَحِيطِهَا ؛ فَقَضُوا لُبَانَاتِهِمْ مِنَ التَّسْلِيمِ
وَالْاجْتِمَاعِ ، وَرَأَوْا أُمْنِيَّاتِهِمْ مِنْ مَدَارِكِ الْإِفْتِدَاءِ وَالْإِبْصَارِ وَالْإِسْمَاعِ . وَأَقَامَ
الْمُوَحَّدُونَ هُنَاكَ مُتَعَرِّفِينَ مِنَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي أُرْسِلَتْ سَمَاءَهَا ، وَوَصَلَتْ
نِعْمَاءَهَا ، وَأَرَّتْ بِنَمُو الْبَرَكَاتِ رَيْعِهَا وَنَمَاءَهَا ، مَا وَسَّعَ الْجَمِيعَ ، وَأَلْزَمَ الصَّنِيعَ ،
وَأَمَرَ جَنَابَهُمُ الْمَرِيعَ ، وَنَظَّمَ بِوَقْدِهِ الرُّهْدَةَ وَالرَّيْعَ . وَكَانَتِ الْبَيْتَةُ - أَعَزَّكُمْ

الله - على أن نعم بالتطوف قبائلُ القبله من صنهاجه وهسكورة وكافّة من بتلك الجهات - حرسها الله - قصداً في إكمال النعمة عليهم ، وإقبال الرحمة إليهم . ولَمَّا رأينا أنَّ فصل الشتاء قد أشرف ، وفصل الحريف قد انقبض وانصرف ، ووقت الاعتمال فيما يستقبل من الاشتغال قد أبد وأزف ، وما كان تُؤخّي من الاجتماع بقبائل الموحدين - أعزّهم الله - قد كُمِل ، وأدرك ما يُتمّ وأُمِل ، ورأينا أنَّ الاحوال بعواقبها تكمل ، وأنَّ الاعمال بخواتمها الشريفة تشرف وتكمل ، رأينا أن نختم هذه السفرة التي سمرت عن العجائب ، وأظفرت بالرغائب الغرائب ، بما هو غاية الاعمال الحسنة ، ونهاية الآمال الممكنة ، من زيارة قبر الامام المهدي - رضي الله عنه - حيث تبوأ شخصه الكريم ، وتروّض نعيمه المقيم ، وتوضّع نوره المبين وأمره العظيم ؛ فسرنا على بركة الله وعونه والنفوس قد حفزها الشوق إلى مقامه ، وسارع بها الحرص إلى معالمة المقدّسة وأعلامه . ولَمَّا نزلنا على مرحلة من آنسا - عمرها الله - وافى وفدُ جزولة وهسكورة وقبائل الكُست من شيوخهم وأعيانهم وأهل الحلّ والعقد منهم وقد طاروا للّحاق ، وثاروا للرحمة والاشفاق ، واستنزلتهم عوارف النعمة من مظاهر الآفاق ، وغوامض الانفاق ، ومسحت أيدي المنّة على ما كان عندهم من الشقاق والنفاق ، ورأوا أنَّ أمر الله لا تمنع منه الجبال الشاخمة ، والاطواد الباذخة ، بل هو مسترسل على الابد والاقرب ، ومستول على الاسهل والاصعب ، وعدّ موعود ، وأمر مشهود ؛ فوصلوا تائبين آثيين ، وعن سبيل

الشقاوة والغباوة بائنين وناكبين ، وللرحمة المستحقة والنعمة المستمنحة سائلين وطالبن ، وفي قبول التوبة من الذنوب وتطهير الحربة من الحرب متضرعين وراغبين .

وورد في أثناء ذلك - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - سائرُ مَنْ بتلك البلادَ كُلِّها من القبائل مثل لَمَنَّة ، وَجَزُوءة ، وَكَافَّة من آوْتِه تلك الاقطار ، وَضَمَّتِه تلك الانظار ، وَحَوْتِه السهول والاوعار . وَتَحَرَّكَ - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - المغرب الاقصى بجملته وَطَمَت عواربه ، وَفَاضَتْ جوانبه ، بِضَجَّة ذلك الفيض الفائض . وَأَعْلَم ذلك الوفا . المتقدِّم ذكره ، المتقرَّر أمره ، أَنَّ الدُّلُوق بسائر تلك البلاد عامرة الناهل ، معلَّمة المجاهل ، ليردوا موارد الصفح والحنان ، ويعتصموا بعروة الاسلام والايمان . وَأَقَام جمعُهم الكثير ، وملأهم الكبير الاثير ، وهم يلقون من الموحِّدين - أَعَزَّهم اللَّهُ - ما أودعهم كنف الاهتبال ، وَصَرَّف اليهم وجه القبول والاقبال ، وَدَرَّفهم غاية المستمنح المستتال ، من سِنِّيَات الآءال ، وَأَسْبَغ عليهم من رياض الجنة ، وَحِيَاض المنة ، وَارِفَات تلك الظلال ؛ وَأَفْهَمُوا في أثناء ذلك من مقاصد الحق المبين ، وَعَقَائِد الدين المتين ، مَا شَرَّح صدورهم ، وَضَاعَف سرورهم . ثُمَّ تَأَكَّدَتْ رغبائهم ، وَتَجَدَّدَتْ طلبائهم ، في تَقَلُّد البيعة وشروطها المتبينة ، وَعَقُودها المتمكنة . فَاجْتَمَعَ بِجَمِيعِهِمْ قَصْدًا في حملهم على المثلى ، وَتَبْصِيرِهِمْ هَذَا الحق الاجلى ، وَتَفْهِيمِهِمْ مَا يُسِّر لهم من هذا الامر الاسنى الاعلى ؛ وَعِنْد مَا تَبَيَّنَتْ لَهُمْ أَحْوَال اليسرى ، وَاتَّضَحَ لَهُمْ أَنَّ مَنْ

كذب بالحسنى ميسر للعسرى ، وتهللت صفحاتهم بالبشرى ، وانهلت
عبراتهم من الذكرى ، ورأوا في التمسك بهذه الدعوة العلية سعادة
الأولى والأخرى . وأخذ معهم - أعزكم الله - في تفهيم غرض هذا
الامر الكريم من الداء الى الله تعالى في السر والجهر ، والعمل على طاعته
في المنشط والمكره والعسر واليسر . وقربت لهم تلك المآخذ حتى صارت
لنفوسهم في غاية البيان ، وأرثهم مقامات السعداء ، ومآلات البعداء ، رأي
العيان ؛ فنثرت ألسنتهم من عقال ، وأتت لكل مقام بمقال ، واندفعت
خطباؤهم تعرب بالأسنة الابانة والاجادة ، فيما تيسر لهم من السعادة ،
وتحصل لهم من الحظوظ المستفادة ، وأعلموا بما اجتمعت عليه قلوبهم من
العمل على الايمان والامانة والعدل والعبادة ؛ وأشهدوا على أنفسهم في الوفاء
بالمهود ، وحفظ المقاصد المكرمة والقصود ، عالم الغيب والشهادة ،
وصرّحوا بتخليصهم من الميتة الجاهلية ، وحصوهم على المطالب الدينية
والدنياوية ، في تلك الوفادة ، وانصرفوا - أعزكم الله - عن ذلك المحفل
العظيم ، والمجلس الكريم ، وقد ظهر عليهم من صدق الانابة ، وفرط
الاجابة ، ما حبب جميعهم ، وملا بالمسرّات بصرهم وسمعهم ؛ وانقلبوا
إلى بلادهم بنعمة الله وفضله متفيئين وارف ظلّه ، آئين بخير ما صدر به
الصادر لأهله ؛ ولم تزل جماعتهم تتصل ، وأعيانهم وسرّواتهم تقتبل ،
وشيوخهم وكبراؤهم تسرع وتستعجل ، يبشر منهم الناهض القاصد ،
والصادر الوارد .

واستمر الامر على هذه الصورة المذكورة إلى أن وصلنا إلى تنسيلات - عمرها الله - فوودع منهم بها جمع كثير ، وبشر كبير ؛ وصاروا بفضل الله عليهم أجمل صدور وأبهاء ، ووصلوا في مضاعف إحسانه ، ومترادف امتنانه ، غاية الشكر ومنهائه . وأعلم سائر من خص بالورود ، من هذه الوفود ، أن كثيراً من شيوخهم عجز عن اللحاق لكبرته ، وقلة استطاعته على السير وقدرته ؛ فخلفوا منهم على ظهر الطرقات من قتل الزمان قيده ، وأضعفت السنون أيده .

وقد كان وصل إلى تنمّل - كرمها الله - بوصول الموحدين إليها ، وورودهم عليها ، جماعة كبيرة من كرائم قومهم وكبرائهم ، وأولي التقدم منهم في مصالح أمورهم ومعاهد آرائهم ، كلهم يرغبون في الاسلام ، ويتوسّلون بحرمة ذلك المقام ، ويرون أنهم قد آثروا السعادة ، على من قدّمته الوفادة ، بالوصول إلى محل الامام ، والحصول من الزيارة المكرّمة ، في تلك الدار المعظمة ، على تظفر بدار السلام . وصدروا - أعزكم الله - وصدورهم منشرحة بالحسنى ، ونفوسهم فرحة بأملها المستدنى ، ووصلهم مرتبطة بهذا الامر الاسمي الاسنى . وقبائل الكُست - سدّدهم الله - قد انبسطت الآن في ظلال الامن والمن ، وحطّت أرجلها عن ظهور تلك القلع والقن ، وتحصّنت بما يُسر لها في أحصن الوقايات وأوقى الجن ، واتّسعت آمالهم في الحرث والزراعة متبركين بالطاعة ، وشاكرين بغاية الاستطاعة . والحمد لله الذي بذل الرحمة لعبيده ، ووصل النعمة بتسديده ،

وأَجْزَلَ المِنَّةِ بِنَصْرِهِ وتَأْيِيدِهِ ، وَكَمَّلَ هذا الطُّورَ الجَدِيدَ ، والدُّورَ السَّعِيدَ ،
بِبَالِغِ الصَّنْعِ وَجَدِيدِهِ ، وَأَلْقَى مَقَالِيدَ الأَمَلِ لِمُرَادِهِ فِي الأَزَلِ وَمُرِيدِهِ ،
وَيَسِّرَ عَوَارِفَ الفَتْحِ المَبِينِ ، بِتَمَكِينِ أَمْرِهِ المَكِينِ ، وَتَمْهِيدِهِ .

وَلَمْ نَزَلْ نَحْنُ - أَعَزَّكُمْ اللهُ - مُذْ وَادَعْنَا تِلْكَ الجِهَاتِ المَذْكُورَةَ بِمَقَرَّةِ
مِنْ آنَسَا - عَمَّرَهَا اللهُ - نَصِلُ السَّيْرِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى تِنْمَلَلٍ - كَرَّمَهَا اللهُ -
فَتَعَرَّفَتِ النُّفُوسُ الْمُؤْمِنَةُ مَنَاهَا ، وَأَبْصَرَتْ سَنَاءَ العَصْمَةِ وَسَنَاهَا ، فِي مَحَلِّهَا
المُقَدَّسِ وَمَعْنَاهَا ، وَرَأَتْ فِي مَتَبَوِّأَتِهَا المَعْظَمِ وَمَثَوَاهَا ، شَخْصَ الكِرَامَةِ
وَمَغْدَاهَا ، وَشَاهَدَتْ بَيْنَ قَبْرِهَ المُنْعَمِ ، وَمَسْجِدِهِ المَكْرَمِ ، رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ
الجَنَّةِ يَسْحَبُ ظِلُّهَا وَيَقْطِفُ جَنَاهَا . وَتَمَّتْ هَذِهِ الزِّيَارَةُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - تَمَاماً
عَلَى الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَانْتَهَاءً إِلَى مَا يَعْزُّ مِنْ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَعَيَّنَ ، وَاغْتِنَاماً لِمَا
يَتَضَحُّ قَصْدُهُ الْجَمِيلَ وَتَبَيَّنَ . وَسَارَ المُوَحِّدُونَ - أَعَزَّهُمُ اللهُ - بَعْدَ المَوَادَعَةِ
الْكَرِيمَةِ ، وَنِيلَ البَرَكَاتِ العَمِيمَةِ ، وَقَدْ تَخَلَّصَتِ النُّفُوسُ مِنَ الشُّوبِ ،
وَاسْتَقْبَلَتِ بِالتَّوْبَةِ النُّصُوحَ قَبْلَ التَّوْبِ ، وَتَنَقَّتْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا
يَتَنَقَّى بِالمَاءِ دَنَسُ الثُّوبِ ، وَاسْتَمَرَ السَّيْرُ - أَعَزَّكُمْ اللهُ - وَقَدْ أُرْسِلَتِ الرِّيحُ
مُبَشِّرَاتٍ بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ ، وَمَسْخَرَاتٍ بِحُكْمِهِ وَحُكْمَتِهِ ، وَجَاءَتِ المُزْنَ
الْفَوَادِي ، كَمَا تَمْشِي البُزْلُ مُثْقَلَةً الهَوَادِي ؛ فَسَحَّتْ فِي الحَوَاضِرِ
وَالْبَوَادِي ، وَجَادَتِ الرِّبُوعَ وَالوَهْدَةَ وَالقَنَّةَ وَالوَادِي . وَوَصَلَ المُوَحِّدُونَ
- أَعَزَّهُمُ اللهُ - إِلَى هَذِهِ الحَضْرَةِ - حَرَسَهَا اللهُ - وَقَدْ نَشَرَتْ بِسَاطِهَا
الْأَخْضَرَ ، وَنَمَقَّتْ بِسَيْطِهَا الْإِنْضَرَ ؛ وَدَخَلُوا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - عَلَى مَا أَمْلَوْهُ

من السلامة ، والكرامة ، وأحلّتهم تلك الأجور المنتظمة ، والمقاصد
المفتنمة ، محلّ الإقامة ، ودار المقامة . وكان الوصول - أعزّكم الله - في
الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم واختتمت السفرة باختتامه ،
وأشرقت الآمال والاعمال بلياليه المشرقة وليلّياته ، وظهرت في تلك
المساعي الجميلة ، والمناحي الجزيلة ، بركة صيامه ، وقيامه .

وخاطبناكم - أعزّكم الله - بهذا الكتاب ، على جهة الاقتضاب
والالماح بهذا العجب العجّاب ، والفتوح التي هي محارة العقول والالباب .
وإلا فالأوصاف مقصورة عن نعتها ، والألسنة معبرة عن عظمها بصمتها ؛
فاستبشروا بما بُشّرتم به من هذه المنح التي أنطقت الجحّاد ، وخرقت
المعتاد . والله يجعلكم ممّن تنعم بنعمها ، وتعرض لنفحات رحماها ، وآتى
نفسه تقواها وزكّاها ، وهو خير من زكّاها . والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته .

كتب في الثامن من شوال سنة إثنين وخمسين وخمسمائة .

الرسالة الثامنة عشرة

وهي من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عيّاش :

أمّا بعد حمد الله الذي عمّ بنوالة ، وخصّ أهل ولايته بقبوله وإقباله ،
والصلاة على محمد عبده ورسوله ، وعلى صحبه الأكرمين وآله ، والرضا عن
الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بإتمام أمر الله وإكماله ، المؤيد

بِالآيَاتِ الْعَصْمِيَّةِ ، وَالْبَيِّنَاتِ الْحَكْمِيَّةِ ، فِي كَافَّةِ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ ؛ فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ
إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ أَعْمَالاً زَاكِيَةً نَامِيَةً ، وَأَمَالاً فِي بُلُوغِ مَرْضَاتِهِ مَسَاعِفَةً
مَوْآتِيَةً - مِنْ حَضْرَةِ مَرَّأَكَشٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَكَوَافِلِ الْعَصْمَةِ لِهَذَا الْأَمْرِ
الْعَزِيزِ تَضَرَّبَ بِقَدَحِهَا الْأَعْلَى ، وَتَوَجَّبَ عَلَى الْإِتِّصَالِ حِظْوَةِ الْإِحْتِصَالِ
لِأَهْلِ كَلِمَةِ اللَّهِ الْعَلِيَا ، وَتَجْمَعُ لَهُمْ حَتْمًا مُقَضِيًا ، وَوَعْدًا مَاتِيًا ، بَيْنَ خَيْرِ الْآخِرَةِ ،
وَخَيْرِ الدُّنْيَا ؛ وَبُثِّتَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ ، تَسْتَوْسِقُ أَحْوَالَ هَذَا الْأَمْرِ الْكَرِيمِ
عَلَى مُقْتَضَى الْأَقْدَارِ الْمُسَاعِدَةِ ، وَتَسْتَنُّ أَطْرَادًا وَاتِّسَاقًا عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ .
وَقَدْ أَنَبَّا كِتَابُكُمْ الْإِثِيرَ بِمَكَيِّفَاتِ الْلَطَافِ تَتَيَسَّرُ لَكُمْ أَسْبَابُهَا ، وَلَا
يُغْبِكُمْ إِشْعَارًا بِالْعَادَةِ إِلَّا مَامُهَا وَانْتِيَابُهَا ، وَلَا يَبْعِدُ عَنْ اسْتِطْلَاعِكُمْ دَنُوهَا
مِنْ وَفْقِ الْأَمَالِ وَاقْتِرَابُهَا ، مِنْ خُضْدِ شَوْكَةِ لَعْدُو ، وَكَسْرِ حَدِّ وَحْدَةٍ
لِذِي كَفُورٍ وَعَتَوٍ ، وَتَعَرُّفٍ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَجَارِي لِسَمَوٍ ، مُجَدِّدٍ لِأَمْرِ اللَّهِ
وِطَائِفَتِهِ وَعِلْوٍ ، وَاسْتِصْحَابِ عَوْنٍ عَلَى أَمْدَادٍ مِنَ الْأَقْوَاتِ ، وَمُرَابِطِ
الْمُسْتَحَقَّاتِ ، تُشَدُّ بِهَا قَوَى الطَّاعَةِ ، وَيَتَوَخَّى بِهَا مَا يَتَوَجَّهُ مِنْ إِقَامَةِ
فُرُوضِ اللَّهِ الْمُمَثِّلَةِ الْمَطَاعَةِ . وَجَمِيعُ مَا أَشْرُتُمْ إِلَيْهِ مُشْكُورٌ مِنْجَاهُ ، مُحَمَّدٌ
مُقَصَّدُهُ وَمَغْزَاهُ ، مُسْتَمِرٌّ عَلَى الْاجْتِهَادِ وَسَبَلِ الْجِهَادِ مَأْتَاهُ . فَاشْكُرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا خَوَّلَكُمْ مِنْ مَنَنِهِ ، وَخَصَّكُمْ بِهِ مِنَ الْمُسَاعَاةِ الْمَبْرُورَةِ فِي إِقَامَةِ سُنَّتِهِ
وَسُنَنِهِ ، وَاحْمَدُوهُ بِوَجِبِ حَمْدِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُؤْوِيَكُمْ مِنْ رُكْنِهِ
الْأَمَثِلِ وَأَمَكْنِهِ ، وَتَمَادُوا عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِكُمْ وَإِقَامَةِ وَضَائِفِ الْبِرِّ ، وَانْشُوا
مَا يَرْضَى اللَّهُ فِي الْجَهْرِ وَالسِّرِّ . وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْجِدْكُمْ بِعَوْنِهِ ، وَيَجْعَلْكُمْ فِي كِفَالَةِ

﴿ للكاتب أبي الحسن بن عيَّاش عن الخليفة عبد المؤمن ﴾ ٩٥

حفظه وصونه ؛ وعليكم بتقوى الله في جميع أحوالكم ، ومراعاة التحفظ في كافة أعمالكم ، والاعتماد على المذاكرة والاتفاق في الكثير والقليل من أشغالكم ؛ ولا يتمكَّن التأويل في أمر من الأمور منكم ولا يغلب التحكُّم في سرٍّ ولا جهر عليكم . ومتى ظهر هناك أمرٌ أو طرأ في شيء غرمٌ فلتعرضوه عن المذاكرة والمشاورة وتفقوا به على الاتفاق والاجتماع ثمَّ تطالعوا به قبل إنفاذه وإفاته في ذلك من الخير والبركة ما تضمَّنته المبشورة من الفائدة ، وجمل العائدة ؛ وبعدها يكون التوكُّل على الله تعالى . والله يوفق أراءكم ويرشد مذاهبكم وأنحاءكم بمنه . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

كُتِبَ في الرابع عشر من رجب الفرد من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

الرسالة التاسعة عشرة

وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية المذكور :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدَّه بمعونته - إلى الطلبة والموحدين الذين باغرناطة - أعزَّهم الله وأدام كرامتهم بتقواه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي على عونه مستند الاعتصام ، وعلى معارج تيسيره منعطف كلِّ مرام ، وبحوله وقوَّته مورِّك كلِّ بدء من الأمور وتمام ، وهو

أهل الشكر والحمد على الاحسان المتتابع والانام؛ والصلاة على محمد عبده
ورسوله موضح سبل السلام والاسلام، والمبتث إلى الاحمر والاسود من
كافة الانام، وعلى آله وصحبه البررة الكرام؛ والرضا عن الامام المعصوم،
المهدي المعلوم، المخصوص بالعلامات الصادقة والاعلام، المبشر من
ظهور أمره العلي، وتعيينه المراد المعني، بما فاضت تباشيره، وسالت
أساريه على صفحات الليالي والايام.

فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم نعرف الآلاء المستجدة، وبركة
المواهب التي هي من بحر عطائه مستمدة - من منزل الموحدين - أظهرهم
الله - بظاهر المهديّة - فتحها الله - ووعد الله لاوليائه قد فضّ الانجاز
ختامه، وبرّز ليايله الخبوءة وأيّامه، وأجرى بأعلى حزبه المفلح قضاياه
الماضية وأحكامه، وأخبر طائفة هذا الامر الكريم وعامري صراطه
المستقيم، من ثمرات هذه الحركات المشهود لها بيامين الاقدار، المستنّة في
مضمار الاختيار، ما بلغ فيه - والحمد لله - من إظهار دينه وتمشية أمره إلى
أفضل مأمول، ووقف منه على دناية الله الباهرة للعقول، المطابقة لمواقع
المطلوب من فضله والمسؤول، والله تعالى في بركات هذا الامر العزيز رحمة
على العباد ممدودة، وإشارة في معنى العموم مقصودة، وإرادة في حياطة
المعرق والمشيّم والمنجد والمتهم موجودة مشهودة، ليأخذ الامر العزيز
بمجامع الاستواء، ويطبق بمطارح الادواء، ظلم الاهواء، ويعتمها تصديقاً
للخبر، وتحقيقاً لوارد الاثر، بالقسط والعدل على حدّ سواء.

وما زلنا - أعزكم الله - وهذه المطالع الشرقية مأم الركاب ، وإليها مرتقى الاسباب ، والجهاد المظفر ينتابها من كل مدخل مبارك وباب ، نلتفت من تلکم الجهة الى العدو الاندلسية - حفظها الله - بما يجب لها من الالتفات ، ويجمع على قصدها أطراف هذه المقاصد والاشتات ، ويجعلها الجهة الميمنة وإن تقسّمت العزائم من جهات ، تمكيناً لاستحداث العزم ، واستئناف الامر الجزم ، الى أن أرسل الله من فضل إنعامه ، وصيب إخطاره وإلهامه ، ما استخير فيه تعالى فصدقت به الاستخارة ، واستقلت به الافكار المدارة ، وأذنت فيه بما انشرح له من الصدر بإيذائها مقدّمة البشارة ، وهو النظر في احتطاط مدينة عتيقة مباركة بجبل طارق - عمره الله - مجمع البحرين ، والقطب الآخذ بأطراف البرّين ، يختصّ بعون الله بهذا الامر العزيز إنشاؤها ، ويكون الى إيجاده اعتزاؤها وانتماؤها ، ويرتكز بفنائها علم هذه الطائفة ولواؤها . وإنّا لنرجو أن أشعة النصر لتلك الجزيرة تثبت من مطلع هذا الشارق والشاهق ، وتلمع في كل مطرح بكل بارق ، وتضمّ الى حزب الله وفيئته كل منافر ومفارق ، ويكون النظر المحتلّ بذراه ، المنعقد بعراه ، مطالاً إن شاء الله على المغارب والمشارق . وقد قويت العزيمة بحول الله على الاشتغال ببنائه ، وعمارة فناءه ، والاخذ في شأنه ، وإعداده على مقتضى المدن المحصّنة المحسنة لأوانه . واستخرنا الله تعالى ووجهنا الشيخ أبا إسحاق برّاز بن محمد والحاجّ يعيش - أكرمهما الله - للاشتغال بذلك على ما وادعناها عليه وذاكرناها به في

كيفية الاشتغال ، وصورة الاعتمال . ولتجمعوا - أعزكم الله - ومن إليكم من الاشياخ الاندلسيين - أكرمهم الله - بهذا الجبل المبارك مع إخوانكم الطلبة الذين بإشبيلية ومن عندهم من أصحابهم والواصلين من قبلنا الذين ذكرنا لكم توجيههما؛ وتنظروا في ذلك المكان بالنظر الحسن الجامع لمصالح المدن ومرافقها وإجادة الاختيار وتوسعة الغناء . وقد خاطبنا الشيخ الاجلّ أبا حفص - أعزّه الله - ليصل الى ذلك المكان إن تمكّن له ؛ وخاطبنا الشيخ القائد أبا محمد عبد الله بن خيار - أكرمه الله - ليصله وتتلاقى هنالك الاراء المذاكرة المباركة . وعند الشيخ أبي إسحاق والحاج يعيش ما ذاكرناهما فيه مما يعتمد عليه إن شاء الله . والله يُعرف اليمن في ذلك والخيرة ، ويجعله عنوان الاقبال وفاتحة النصر بمنّه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أعزكم الله ! خلال النظر في إنفاذ هذا الكتاب اليكم ، سنى الله تعالى ما يصلحكم صحبته من فتح قفصة وما اتصل بفتحها من مخاطبة عرب قابس الذين فروا منها وقت فتحها ، وطلبهم للامان على ما اقتضته المخاطبة إليكم . ونحن قد استخرنا الله تعالى على التوجه الى الغرب والحركة لاستقبال تلکم الجهات ؛ وأخذنا في أهبة ذلك . فاستعدوا له ، وشدوا أنفسكم ، واضبطوا مواضعكم ، فكان بنصر الله الذي وعد به وإتمام أمره لاهله ولا بدّ من دوامه ما دامت السماوات والارض . فلتعرفوا بذلك جميع الموحدين وتبشّروهم به وبمطالعة الفتح لهم إن شاء الله . والسلام .

كُتِبَ فِي الْمَوْفِي عَشْرِينَ مِنْ ذِي قَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

الرسالة العشرون

وهي من إنشاء الكاتب أبي الحكم بن عبد العزيز بن المرخي :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعاونته - إلى الطلبة
والموحدين والاشياخ والاعيان والكافة بقرطبة - أدام الله كرامتهم
بتقواه ، وعرفهم عوارف حسناه - سلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .
أما بعدُ فإنّا نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه
ونعمه ، ونصلي على نبيه المصطفى ورسوله . والحمد لله الذي أيّد هذه الدعوة
العلية ونصرها وأعزّها وأظهرها ، ورفع مقامها وأعلى مظهرها ، ووهب
لطاقفتها المنصورة ، وصحابتها المبرورة ، من إنجاده ، وإسعاده ، ما سهل
مراماتهم ويسرّها ، وساوى في تحقّق إنجاز وعوده ، وتيقّن اتصال نصره
العزيز على أحسن معهوده ، مضمرها ومظهرها ، وكتب في إعلاء دينه
وتمهيد أمره أمدّها الممتدّ وأثرها ، وجعل كلمتها الظاهرة ، وملكتها الغالبة
القاهرة ، وأسماها وأظفرها ، وأراى الفئّة المعاندة ، والأشابة النافرة على
أمر الله الشاردة ، من عزوماتها المظفّرة ، ومحاولتها الميسّرة ، ماراعها وبهرها ؛
وأذلّها وقهرها ، وأداها بعد الاباء والعناد ، الى الاذعان والانقياد ، وصيّرها ؛
والصلاة على محمد رسول الله المبعث وقد أظهرت الجهالة منكرها ، وعبدت
الجهالة طاغوتها وصورها ، واتبعت في خبط غشواها وسحب فضول

أَهْوَأَهَا عَمَائِهَا الْمُضَلَّةَ وَسَدَرَهَا ، فَأَرْهَقَ اللَّهُ بِحَقِّهِ بَاطِلَهَا وَأَخَذَ شَرَّهَا ،
وَأَخَذَ عَنِ النَّارِ وَمَزَالَقِ الْعَثَارِ بِمَجْرَهَا وَبَشَّرَهَا وَأَنْذَرَهَا ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ بَوَّأَتْهُمْ الْقَرَابَةَ مَحَلَّهَا وَخَوَّلَتْهُمْ الصَّحْبَةَ أَثَرَهَا ؛ وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ
الْمَعْصُومِ ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ ، الْمَظْهَرِ لِشَرِيعَةِ جَدِّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَعْدَ مَا
أَخْفَاهَا الضَّلَالُ وَأَضْمَرَهَا ، وَأَشْعَرَهَا بِالْبَاطِلِ مِنْ تَبْدِيلِهِ وَتَغْيِيرِهِ مَا أَشْعَرَهَا ،
فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ يَصْدَعُ بِنُورِ دَاجِيهَا وَيَجْلُو مَعْتَرَكُهَا وَيُوضِحُ سَبِيلَهَا الطَّامِسَةَ
وَيُحْيِي أَثَرَهَا ، وَيُمِيتُ مَدْبَرَهَا ، حَتَّى أَعَادَهَا اللَّهُ عَلَى جَادَّتِهَا اللَّاحِظَةَ الْبَيِّنَةَ
وَقَرَّرَهَا ؛ وَعَنْ مُظَاهَرِهِ وَمُؤَاوَزِهِ ، وَخَلِيفَتِهِ وَصَاحِبِهِ وَنَاصِرِهِ ، الْإِمَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بَثَّ كَلِمَتَهُ الْهَادِيَةَ وَنَشَرَهَا ، وَأَرْقَاهَا فِي مَرَاقِي النَّمَاءِ وَمَدَارِجِ
الْإِكْمَالِ وَالْإِنْهَاءِ مَبِينًا أَغْرَاضَهَا وَمَظْهَرًا غَرَّرَهَا ، وَوَصَّلَهَا إِلَى غَايَتِهَا مِنْ
الْإِرْتِقَاءِ وَالْإِعْلَاءِ فَأَوْضَحَ مَعَالِمَهَا وَأَطْلَعَ نَيْرَهَا .

فَإِنَّ كِتَابَنَا إِلَيْكُمْ - عَرَّفَكُمْ اللَّهُ مِنْ بَشَائِرِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ الْمَتَوَارِدَةِ ،
وَفَتْوحِهِ الْمَتَنَاصِرَةِ الْمُتَعَاظِدَةِ ، مَا يَمَلَأُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَيَعْمُرُ بَوَافِدَ الْمَسَرَّاتِ ،
وَوَارِدَ الْمُبْهَجَاتِ الْمُبَشِّرَاتِ ، أَرْجَاءَكُمْ وَأَصْقَاعَكُمْ ، وَيَجْعَلُ فِي شُكْرِ نِعْمِهِ ،
وَالْتَحَدُّثِ بِلَا ئِهِ الْجُمَّةَ وَقِسْمَهُ ، تَلَاقِيَكُمْ وَاجْتِمَاعَكُمْ - مِنْ دَاخِلِ قَفْصَةٍ -
مُتَّهِدًا لِلَّهِ - وَقَدْ فَرَجَ النَّصْرُ الْعَزِيزُ مَبْهَمَهَا ، وَأَنَارَ الْفَتْحُ الْمُبِينُ مَظْلَمَهَا ،
وَأَعَادَهَا اللَّهُ إِلَى مَلَكَةِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ وَنَظْمِهَا ، وَأَلْهَمَ أَهْلَهَا رَشْدَهُمْ
وَهَدَاهُمْ ، وَصَرَفَهُمْ عَنْ غِيَّهِمُ الَّذِي اسْتَهْوَاهُمْ ، بَعْدَ أَنْ أَمْتَدَّ فِي الضَّلَالَةِ
مَدَاهُمْ ، وَاتَّخَذُوا حَبَلًا وَعَنَادًا لِأَهْلِهِمْ هَوَاهُمْ ؛ فَتَلَفَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ ، وَآوَاهُمْ

✽ للسكاتب أبي الحكم بن المُرْخِي بن الخليفة عبد المؤمن ✽ ١٠١

إلى حرم هذا الامر العزيز وعصمته ، ومدّ عليهم رواق منه وظلّ أَمْنَتِه ،
وانتاشهم وقد أشفوا على جُرف العطب وهوَّته .

وقد علمتم - أعلمكم الله رشادكم - ما كان من المتزّي فيها من الايضاح
في الفتنه والمروق من الطاعة والولوج في غيايات الارتياذ والمعصية ، وأنّه
استدعى من ذؤبان الاعراب وأوباش الاكراد شبّاهه في الضلالة ، ونظائرّه
في النفي والجهالة ؛ فشنّ الغارات بهم ، وقطع السبل معهم ، وتوصّل إلى
السمي في الارض بالفساد بسبيهم ، وتراكصوا جميعاً في ميدان العيث ،
واستبقوا في حلبة الاعتداء ، وأجروا ملء أعينهم بالخلاء ، وغرّهم ممتدّ
الامهال والاملاء ؛ فازدادوا إثماً ، وانهمكوا في استحلال المحارم جرأةً على
الله وبغيا ؛ فتعيّن حسمُ دائهم ، ووجب توجيهُ النظر الى إطفاء نارهم .
وكُنّا - وفقكم الله - عند احتلالنا بإفريقية - حرسها الله - عرّفناكم بموجب
هذه الحركة المباركة ، وأنّها لم يتقدّمها قصدٌ ولا أُعمل فيها فكرٌ ، ولا
مُهد لها تمويلٌ عليها ولا عزمٌ ، وأنّ محرّكها القدرُ المُسعد ، والباعث
عليها لقور الاخذ فيها صنعُ الله المؤازر وعونه المنجد ؛ وأعلمناكم ببعض ما
انطوى فيه من الخيرات المتّصلة والبركات التامّة والارادات الميسّرة ، وما
كان فيها من وصول أشياخ العرب وأعيانهم ، وإيهطاعهم إلى داعي هذا
الامر وبادارهم . وكان من قصدنا فيها وإرادتنا بها النظر في أمر هذه المبدرة
وإزاحة علّتها وتطهير هذه الاصقاع من دونها ، إذ كانت شجاً في صدور
أهلها ، وقدّى في عيون قطّانها ، لكونها أضحت مركز المفسدين ، ومأوى

الملتصّين المتمرّدين . وكُنّا نتحقّق أنّ الدواء الانجع في دائها ، والامرّ
الانفع في محاولتها ، وصولُ جميع الموحّدين - أعزّهم الله - إليها ، ونزولُ
جملتهم عليها . وكان ممّا خدع الفسّاق الذين كانوا بها وغرّهم ، واستقادهم
إلى التماذي على الاصرار واستجرّهم ، حصانةُ بلدهم ، وشهوقُ أسوارهم ،
ووعورةُ موالجهم ، وخرجُ مداخلهم ، وإحاطةُ الصحراء من كلّ ناحية
بهم ، وعدمُ الاقوات في البلاد المجاورة لهم ، وتعذُّرُ جلبها من المواضع
النائية عنهم ، وأنّ كلّ عسكر ينازلهم من جميع هذه الجهات يستقلُّون
بمقاومته ، وينهضون بمدافعته ، وأنّ العساكر الكثيرة والجُمَل العديدة
لا يتهيأ لها المقامُ عليهم ، ولا يمكنها مطاولة حصارهم لكثرة ما تحتاج اليه
من الاقوات ، ونزارة ما يعمّها في طريقها اليهم من المرافق والمياه .
وهيات أن تحصن من هذا الامر العزيز الشواهد ، أو تمنع منه السوابق ،
أو تعصم من استيلائه الاسوارُ والخنادق ، أو تحول دون مرامه الفصح
والسالم ؛ فهو أمر الله العزيز جانبه ، المكبوت مناويه ومجانبه ، المأخوذ
بين القهر والقسر مقاومه ومغالبه . فقدّ منا بين أيدينا طلبه بجاية - وفقهم
الله - مع من كان معهم من عساكر الموحّدين الذين يبجاية وإفريقية
- وفرّها الله - تقدمةً للاعذار ، وأخذاً بالحجة والاستظهار ، لينتهوا من
سنوات الاغترار ، ويثوبوا الى الارعواء والاستبصار ، ويقرعوا بالنجوع
بالطاعة ، والرجوع الى الانتظام في تلك الجماعة ، بابّ المناب والاستغفار ؛
فتقبل توبتهم ، وتقابل بالصفح الجميل أوبتهم . فأبى لهم شيطانهم ، وغلبت

﴿لِلكَاتِبِ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ الْمُرْخِي عَنْ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ﴾ ١٠٣

عليهم شقوتهم ، وتمادوا على بغيهم ، واستمروا على ضلالهم القديم وغيهم .
وَكُنَّا بَعْدَ انْفِصَالِ الطَّلَبَةِ - أَعَزَّهِمُ اللَّهُ - عَنَّا نَهَضْنَا بِجُمْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ
- أَعَانَهُمُ اللَّهُ - نَوْمُ الْقَيَرَوَانِ - كَلَاهَا اللَّهُ - لِيَكُونَ طَرِيقُنَا عَلَيْهَا . وَقَبْلَ
وَصُولِنَا إِلَيْهَا وَافْتِنَا كُتُبُ الطَّلَبَةِ الْمَذْكُورِينَ بِأَنَّ الْآخِرِينَ أَعْمَالًا أَوْقَدُوا
لِلْعَصِيَانِ نَارَهُ ، وَاسْتَشْعَرُوا أَشْعَارَهُ ، وَرَفَعُوا لِلدِّفَاعِ أَعْلَامَهُ وَأَخَذُوا لَهُ
أَوْزَارَهُ . فَاسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي النَّهْوِضِ إِلَيْهِمْ ، وَأَمْضَيْنَا الْعَزَائِمَ الْمُؤَيَّدَةَ
عَلَى الْحُلُولِ بِسَاحَتِهِمُ وَالْإِطْلَالِ عَلَيْهِمْ ؛ وَنَهَضْنَا بِالْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهِمُ اللَّهُ -
وَدَلَائِلُ النِّجَاحِ بَادِيَةً ، وَمُخَايِلُ الْفَتْحِ لَائِحَةً ، وَعَلَامَاتُ الظُّفْرِ مُتَضَحَّةً
ظَاهِرَةً ، وَمَعُونَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِتَسْهِيلِ الْمَطْلَبِ وَإِدْنَاءِ الْمَرَامِ كَفِيلَةً ضَامِنَةً . وَلَمْ
يَعْدِمِ الْمُوَحِّدُونَ - وَفَقَّهِمُ اللَّهُ - فِي طَرِيقِهِمْ مَرْفَقًا ، وَلَا لَقُوا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ -
مِنْ سَفَرِهِمْ نَصْبًا ، وَأَخَذُوا عَلَى طَرُقِ بَعْدِ الْعَهْدِ بِسُلُوكِهَا ، وَاشْتَبَهَتْ عَلَى
عِمْرَةِ هَذِهِ الْأَصْقَاعِ مَنَاهَجُهَا وَسَبْلُهَا ، وَأَلْفَوْا بِهَا مِنَ الْمُرَافِقِ الْوَاسِعَةِ وَالْمِيَاهِ
الْمَعِينَةِ مَا لَمْ يَحْتَسِبْهُ أَحَدٌ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى بَالٍ وَلَا دَارٍ فِي خَلَدٍ ؛ وَتَيَقَّنَ
أُولُو الْأَلْبَابِ وَتَحَقَّقَ أَهْلُ الْإِعْتِبَارِ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مُصْنُوعٌ لَهُ وَمُؤَيَّدٌ
عَزْمُهُ ، وَمُكْتَنَفٌ بِعَوْنِ اللَّهِ مَرَادُهُ وَرُومُهُ ، وَأَنَّ الْغَايَةَ الْإِلَهِِيَّةَ وَالْمَعُونَةَ
الرَّبَّانِيَّةَ تَنْجِدَانِ عَزَائِمَهُ وَتَيْسِّرَانِ أَغْرَاضَهُ وَمَطَالِبَهُ .

وَاسْتَمَرَّ يَسِرُ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ - عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْمَوْصُوفَةِ ،
وَالصُّورَةِ الْمَجْلُوءَةِ ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَيْهَا ، وَأَنَّا خَوَّا بِفَنَائِهَا ؛ فَأَوَّلَ إِشْرَافِهِمْ
عَلَيْهَا ارْتَبَكَ الْأَشْقِيَاءُ فِي مَهَاوِي الْمَعَاصِبِ ، وَأَبْدَوْا صَفْحَةَ الْمَنَاصِبِ الْمَصَالِبِ ،

وكشفوا عن ساق المجاهد المحارب ، ظانينَ أَنَّ هذا الامر العزيز تعزُّه
 سامكاتُ المعقل وطامحاتُ المراقب ؛ ولو أَحصنت البواذخ وأجنتُ ،
 ودفعت الشواخ عن المسند اليها وأَكْنَتُ ، لمنعم هذا الحصن الذي تصاقب
 النجم هضباته ، وتُذِلُّ العصم قذفاً ، وتتلفح بنسج الغمام بوجه
 وشرفاته ، لكن أمر الله لا تردُّ عزماته ، ولا تقاوم بطشاته القاهرة
 وسطواته . واشتغل الموحدون بترتيب نزولهم وتهيئة مروسهم واضطراب
 محلاتهم بأفئدتهم ؛ فلما أصبحوا رجعوا اليهم ونصرُ الله يؤازرهم ، وصنعه
 الكريم يظاهرهم ؛ فنازلوهم أشدَّ نزال ، وصالوا عليهم أعظم مصال ،
 وأروهم من هول المصاع وصدق القتال ، ما قصرهم عن الاسترسال ،
 وصيرهم بعد التبسط والاقدام الى الانقباض والانخزال ؛ فاكمشوا في
 أحجارهم ، ولاذوا بقننهم المنيفة وأسوارهم ، وأجروا طلق شرهم في مضمار
 انخداعهم بمغقلهم واغترارهم .

وكانت حول البلد غروسٌ وبناءات وعُمرت المسالك وضيقت المنافذ
 وأشبت المداخل اليهم والمخارج ؛ فأخذ الموحدون - وفقهم الله - في
 هدمها ، ونظروا في إزالتها وجدُّوا في تعفية رسومها ؛ ونقلوا مضاربهم
 بحيث يسمعون سرارهم ، ويتعرَّفون مع اللحظات أحوالهم ، وأحْدقوا بهم
 أتمَّ إحْداق ، وأحاطوا بمدينتهم إحاطة الاطواق بالاعناق ، وشدُّوا عليهم
 أنشودة الحصار والخنادق ، وسدُّوا دونهم خصاصَ الانقباب والاتفاق ،
 ولم يؤخذوهم منفساً لانسراب ولا مذهباً لارتفاق ، وأشفوا بهم من ضنك

النكال وضيق المجال على شفر الارماق ، ونصبوا عليهم مجانيق بلغت في نكايتهم المبالغ ، وأحلت بهم القواضم والدوامع ، ونهكت أسوارهم ، وهدمت ديارهم ، وعفّت آثارهم ، وأصلّتهم بناعب الحمام ، ووحى الموت الزؤام ، أمّهم الهاوية ونارهم ؛ وهم مع ذلك لا تسعى بهم إلى منجاتهم قدّم ، ولا يهديهم إلى استنزال الايمان ، وتطلّب الغفو والغفران ، تروّع من العصيان ، ولا ندّم ؛ ولا زادهم ما نزل بهم من أمر الله إلاّ لجأاً في تهوّرهم ، وتتابعاً على غمّهم وتحيرهم ، واستيطاءً لمركب الاستئمان إلى قريتهم المحصنة وجدرهم . فرأينا - والمستعان الله - أنّ مقاتلتهم بآلات تملو عليهم ، ويتعجّل معها مرام أخذهم ، أصلح بالموحدين - أعزّهم الله - وأصون لهم وأوفق لما نوّثه من الشخّ بهم ، والاحتياط عليهم ، مع ما في ذلك لهذا الامر من فخامة التناول وعزّة القهر وظهور القوّة وإرهاب العدو . وإن كنّا نتحقّق أنّ وعد الله لامره ناجز ، ونصره لحزبه المفلح لا يحجبه حاجب ولا يحجزه حاجر ، فالنظر في الاسباب لا يناقض هذا العقد المتكّن ، ولا ينافي الثقة باطّراد فتحه لاوليائه على سنّته الانجب ونهجه البين . فأخذ في عمل ما يصلح ذلك من الآلات والاشكال ، وصرف إلى التهمّم بها والمكوف عليها وجه القصد والاشتغال ؛ فتيسّرت - والمحمود الله - في أقرب ما يمكن من الآماد والآجال .

واتفق بين هذا الامر السعيد وبركاته ، وبراهينه الواضحة وآياته ، أنّ جلب النصارى العود الموافق لذلك ولم تجرِ عادتهم بجلبه ، ولا سبق لهم

في غير هذا العام الخروج الى سواحل إفريقيا به ، وما تهيأ من توصيله إلى هذه الصحراء مع عظم أجرامه وتفاوت خشبه ؛ وذلك معدودٌ من خوارق العادات ، ومضافٌ الى ما سلف لهذا الامر العزيز من مظاهره الاقدار ومساعدة السعادات ، صنعٌ من الله كريم ، ومنٌ جسيم يرعون منه سبحانه لا يبرح ولا يريم .

وكان من قصدنا في هذه المحاولات أن يزدجروا ويدكروا ، ويراجعوا عقولهم العارية ويستبصروا ، ويكفوا أعماءهم عليه من الغواية ويقصروا ممن لقت الجهالة على قلوبهم وأعمت الضلالة أبصارهم وأصمّت الغواية أذانهم . فلم يطوروا بجانب التوبة ، ولا يسّروا للفيئة الى أمر الله والابوة ؛ والموحدون في خلال ذلك تتحرّك حفاظهم لغزوهم ، وتملّط سفارهم لآبادتهم ومحوهم . وعند ما قرب كل الآلات وتماّمها ، ودنا اتّساقها على الغرض المقصود منها وانتظامها ، وكاد يحرق جوانح الغزاة - أعانهم الله - احتداماً لآبادتهم واضطراماً ، رأينا أن نكسرّ الاعذار اليهم ، ويزيد تمكيناً وتوكيداً قيام الحجّة عليهم . فأرسلنا اليهم أشياخاً من الموحدين والطلبة والعرب - وفق الله جميعهم - فعرفوهم أنّا نرفع عليهم السيف إن تابوا ، ونبذل لهم الامن إن رجعوا الى الامر العزيز وأنابوا ؛ فعتوا واستكبروا ، وأشروا وبطروا ، وجحدوا نعمة الله عليهم في هذه المنّة العظمى وكفروا ، وفُتحت لهم أبواب الرحمة فنكصوا عن دخولها وقهقروا ؛ فعرف الموحدون - أعزّهم الله - أنّهم عمّوا عن النذارة

﴿لِلْكَاتِبِ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ الْمُرْخِي عَنْ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ﴾ ١٠٧

وصمُّوا ، وتردَّوا برداء جهالتهم واعتمُوا ، واستمروا على عنادهم وأتمُّوا ؛
فازدادت حفاظهم التَّظاء ، ونيَّاتهم خلوصاً في جهادهم ووصفاء ، وعزائمهم
تصميماً على غزوهم ومضاء . فأذنَّا لهم في مناجزتهم ، وحضضناهم على الجِدَّة
في تزلهم واغتنام الأُجور العظيمة في قراعتهم ؛ فنصبوا لهم الحرب مستعينين
بالله ، متوكِّلين عليه ، راجين جزيل ثوابه ، متنجِّزين كريم وعده ، فيمن
حاد عن أمره وعند عن سبيله وأباح محارمه واتَّخذ إلهه هواه . فشاهدوا
من جدِّهم وشدِّهم ما زلزل أقدامهم ، وأذهب جرأتهم وإقدامهم ،
وأظهر نكوصهم وإجحامهم ، وأكذب أملهم في الاحتماء ومرامهم .

وتمادى الشغل في الآلات المباركة إلى أن تمتَّ على المراد وتبيَّات
حسب القصد بها . ثمَّ استُخير الله سبحانه في إدنائها إليهم وتقريبها منهم ؛
فقدَّمت ، ونصرُ الله يقدمها ، وتأَييده يَكْنفها ، وعونه يُمَهِّد وَيُطَرِّق
لها ؛ فانتهت إلى حفيرهم ، واستغلت على أسوارهم ، وتضاءلت لها
منيفات جدرهم ، وصبَّت عليهم سوط عذاب ، ورمَّتهم بالصَّيْلَم الصَّامَّ
والداهية النَّاد ؛ ورمَّاهم الله منها بما لا قَبْلَ لهم به ، ولا استطاعة على مقاومته
ودفعه . واستمرَّت الحال في التوطئة وردم الخندق لها أَيْاماً ، والحربُ
تكلُّمهم ، والحينُ يبرزهم إلى مصارعهم ويقدمهم . وكانوا قد بلغوا في
تتريس الخندق وتحصينه ، ومجاورة الحدِّ في توعيه وتوسيعه ؛ فاشتغل
الموحدون - أعانهم الله - في تسويته وردمه ، وناوشتهم القتال طائفةٌ
منهم لم يتوفُّوا استعدادها ، ولا تكثَّرت بسبب اشتغال الموحدين بالخندق

أعدادها ، فَأَهَبَ اللَّهُ رِيحَ النِّصْرِ لَأَنْصَارِ الْحَقِّ وَحُمَاتِهِ ، وَأُولِيَائِهِ الَّذِينَ آتَيْنَ عَنْ حُرَمَاتِهِ ، الْمُجَاهِدِينَ لَاعْزَازِ أَمْرِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَاتِهِ ؛ فَاقْتَحَمُوا السَّتَارَةَ عَلَيْهِمْ وَدَخَلُوهَا عَنُودًا عَلَى صُدُورِهِمْ وَهَدَمُوا بُرْجًا مِنْ أَبْرَاجِهَا وَمَسَافَةً مُمْتَدَّةً مِنْهَا ؛ وَقَتَلُوا عِنْدَهَا جَمَاعَةً مِنْ جُلَدَائِهِمْ ، وَجَمَلَةً مِنْ نَجَبِ شُجْعَانِهِمْ وَأَشَدِّائِهِمْ ، وَعَضَّتْهُمْ الْحَرْبُ هُنَاكَ بِأَنْيَابِهَا ، وَمَدَّتْ الْخُوفُ عَلَيْهِمْ بِأَسْبَابِهَا ، وَدَخَلَتِ الْمَنِيَا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِهَا وَأَنْقَابِهَا ؛ فَأَذْهَشَهُمْ مَا عَانَوْا مِنْ ذَلِكَ وَهَالَهُمْ ، وَأَوْهَنَ كَيْدَهُمْ وَأَضْعَفَ مَحَالَهُمْ ، وَأَضَاقَ عَنِ الْمَصَابِرَةِ ذُرْعَهُمْ وَقَصَّرَ فِيهَا مَجَالَهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَلَّا وَزَرَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ وَلَا مَنْجَى لَهُمْ ، وَعَلِمُوا أَنََّّهُمْ إِنْ تَأَخَّرُوا فِرَاقَ نَاقَةٍ وَاسْتَأْنَوْا ارْتِدَادَ لَحْظَةٍ ، دَارَتْ بَيْنَهُمُ الدَّائِرَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الْقَاصِمَةُ الْفَاقِرَةُ ، وَدَخَلَ الْمُوَحِّدُونَ الْمَدِينَةَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَبَاحُوهُمْ مِنْ فُورِهِمْ . فَالْقُوا يَدَ الْخُضُوعِ وَالْقِيَادِ ، وَالْظُّوْأَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالْمَتَابِ ، وَبَادَرُوا بِإِرْسَالِ أَشْيَاقِهِمْ وَأَعْيَانِهِمْ وَأَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ بِالطَّاعَةِ ، مُسْتَقْبِلِينَ مِنَ الْعَثَرَةِ ، مُسْتَصَفِّحِينَ عَنْ سَالِفِ الْجَرِيرَةِ وَالزَّلَّةِ ، رَاجِعِينَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ ، مَاذِينَ لَطَبَ الْأَمَانُ أَيْدِيَ الْإِسْتِحْذَاءِ وَالضَّرَاعَةِ ، مُسْتَنْزِلِينَ مِنْ فَضْلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا لَمْ يَزَلْ يَعْهَدُ مِنَ الْعَفْوِ بَعْدَ الْغَلَبِ . فَقَبِلَ مَتَابُهُمْ ، وَوَصَلَتْ بِسَبَبِ التَّجَاوُزِ أَسْبَابُهُمْ ، وَكَانَ إِلَى حَمِيدِ الْعَاقِبَةِ وَسَعِيدِ الْخَاتِمَةِ مَا لَهُمْ وَمَا بِهِمْ ؛ وَبُذِلَ لَهُمْ مِنَ التَّأْمِينِ مَا رَجَوْهُ ، وَبُلَغُوا مِنَ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ مَا أَمْلَوْهُ وَبَغَوْهُ . إِنْ كَانَتْ سَوَابِقُ ذُنُوبِهِمْ ، وَسَوَالِفُ جُرْمِهِمْ وَحَرْبِهِمْ ، تَقْتَضِي رَدَّ رَغْبَاتِهِمْ ، وَإِثَامُهُمْ مِمَّا اكْتَسَبُوا مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، لَكِنْ

﴿للكاتب أبي الحكم بن المُرْخِي عن الخليفة عبد المؤمن﴾ ١٠٩

رحمة الله وسعتهم ، ومغفرته تغمدتهم ، وسابقة الحُسنى هدتهم إلى التوبة ويسرّتهم ، والمنّة المعلومة لهذا الامر العزيز عمّتهم وشملتهم ؛ فأصبحوا للنعمة مستشعرين ، وبما وهبوه من السلامة في الانفس والاهلين مستبشرين ، والله تعالى على ما تداركهم به من إغلاق إيمانهم بحبل القبول وسببه حامدين شاكرين .

وخرج زعيمهم عن البلد صاغرا ، وسارع إلى امثال الامر ضارعا داخرا ، جذلا بما منح من الابقاء عليه في نفسه وأهله ، معترفا بالنعمة في التجاوز عن سالف ذنبه وقبيح فعله . واستولى الموحدون - أعزّهم الله - على المدينة أتمّ استيلاء ، وأجراهم الله تعالى في إظهار رايهم ، وإحراز أمرهم من النصر وغايتهم ، على متعارف الاسماء والاعلاء ، سنّة منه سبحانه لا ينتسخ حكمها ، ولا يتبدّل رسمها ، ولا يعدل عن سمنته الشديد ، وأثره الحميد ، قصدُها وأمّها . فله الحمدُ سبحانه على ما أولاه ، والشكرُ على ما يسّره من إعزاز أمره وسناه .

وكان المنتزي بها قد استهوى جماعة من عظام الفتنة ، واستغوى حثالة من أُرذال العامّة ، قهر بهم سواهم ، واستولى بهم وتسبّب إلى استمالة نفوسهم ، وتوسّل إلى استخلاص نيّاتهم بإباحة المحرمات لهم ورفع الحدود فيها عنهم ، يرتكبون من الكبائر ما شاؤوا ، ويسترسلون من الجرائم والمآثم فيما اشتهاوا وأحبّوا ، ولا وازع يزعمهم ، ولا مانع يمنهم ، ولا قادع يزجرهم ويقادعهم . ففسرّب إليه من أجل ذلك ذُعارُ اللصوص

وَأَبَاقُ الْعَبِيدِ وَأَخَابَتْ أَهْلَ الْحَرَابَةِ وَالشُّرُورَ ، وَجَاؤُوهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ،
وَأَتَوْهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَتَسَلَّوْا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ ؛ فَاتَّخَذَهُمْ جَنْدَهُ وَصَيَّرَهُمْ
بَطَانَتَهُ ، وَوَافَقَ نَشِيرُ مَنْهُمْ طَبَقَهُ فَأَمَرَ بِهِمْ أَمْرُهُ وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ ،
وَثَقَلَتْ بِسَبِيهِمْ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ وَطَائِفَتِهِ ، وَمَلَأَتْ نَفُوسَهُمْ ذَعْرًا وَفَرَقًا هَيْبَتُهُ
وَسَطَوْتُهُ ؛ فَلَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ نَظَرٍ فِيهَا يَنْجِيهِمْ ، وَلَا تَوْصَّلُوا إِلَى إِيرَاعَةِ أَمْرِ
يَقْرَبُهُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَيَدْنِيهِمْ ، لِأَذْكَائِهِ الْعَيُونَ عَلَيْهِمْ ، وَأَخَذَهُ الثَّنَا
دُونَهُمْ ، وَبَثَّ الْأَرْضَادَ فِيهِمْ ، وَبَحَثَهُ عَلَى أَخْبَارِهِمْ ، وَإِصَاخَتَهُ لَأَنْبَاءِهِمْ ؛
فَمَنْ عَثَرَ مِنْهُ عَلَى مَا يَرِيْبُهُ أَوْ سَمِعَ عَنْهُ مَا يَنْكَرُهُ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ وَأَنْهَبَ أَوْبَاشَهُ
مَالَهُ وَنَوَّعَ عَقُوبَتَهُ لَهُمْ بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ ؛ فَقَتِلَ أَوْ طُرِدَ
أَوْ حَبِيسَ . وَتَجَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى أَخْذِ الْوَلِيِّ بَوْلِيَّتِهِ ، وَقَتْلِ الْحَمِيمِ بِحَمِيمِهِ ،
وَتَعَدَّى مَعَاقِبَةَ الرِّجَالِ ، إِلَى التَّنْكِيلِ بِرَبَّاتِ الْحِجَالِ ؛ فَتَحَامَى النَّاسُ شُرَّهُ ،
وَصَدَّهُمْ عَنْ كُلِّ مُحَاوَلَةٍ خَوْفَهُ ، وَاسْتَرْبَى الْإِبْنُ بِأَبِيهِ ، وَلَمْ يُثْنِ إِلَّا خُ إِلَى
أَخِيهِ . وَلَمَّا تَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَنَا ، وَتَحَقَّقَ لَدَيْنَا ، أَمَّنَّا أَمَانًا عَمَّهُمْ فَضْلُهُ ،
وَكَفَّهِمْ كَهْفَهُ ، وَغَمَّرَهُمْ إِحْسَانُهُ ، وَأَوَاهَمُ وَكُنُهُ ؛ فَأَحْرَزُوا السَّلَامَةَ
فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ، وَاسْتَقَرَّتِ الدَّعَةُ وَالْأَمْنَةُ فِي عِرَاصِهِمْ وَمَغَانِيهِمْ .
وَكَانَ الْمُوَحَّدُونَ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ - طَوْلَ مَقَامِهِمْ عَلَيْهَا ، وَمَدَّ حَصْرَهُمْ
لَهَا ، تَتَرَادَفُ الْأَرْفَاقُ عَلَيْهِمْ ، وَتُسَاقُ الْأَرْزَاقُ إِلَيْهِمْ ، وَتَعْتَمِدُهُمُ الْخِيَرَاتُ
مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَتُجْلَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، عَلَى مَا كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةٍ فِي هَذَا
الْعَامِ مِنْ قَلَّةٍ إِصَابَتِهَا وَخَلَّتْ مَخَازِنُهَا ؛ فَوَضَعَ اللَّهُ الْبَرَكَهَ فِيمَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ ، وَأَوْتِي

به نحوهم ؛ فعمَّهم الخيرُ ، وشملهم الرفق واليسرَ عونٌ من الله سبحانه ، وإيجادٌ على تميم مرادهم ، وحفظٌ لعوائده الكريمة عندهم .
وهذا القصر - أكرمكم الله - قديمُ الاشتهار ، معترفٌ بشرفه على هذه البلاد والاقطار ، معروفٌ فضله وشفوفه على سالف الازمان والاعصار ، وله من المزايا والمحاسن ما يربي خبره على الاخبار ، ينبعث من داخله الماء المعين ، وتُحيط بخارجه الضياعُ المغلَّة والبساتين ، ويروق الناظر مرآة المعجب ، ولا يستغرق مفاخره ولا يستوعب ، ووضعه من الانتهاء في الحصانة والتجاوز في المنعة والوثاقة بحيث لا يصحب مصعبه ، ولا يتمهد إلا لهذا الامر العزيز مركبه ، وهو روحُ هذا الاقليم ومعناه ، وقطبه الذي تدور عليه رحاه . وكان أبا القربى وشراً اذ هم يلوذون بداره ، ويسندون فيما يزيغونه من عنادهم ، ويحاولونه من إضرارهم وإفسادهم ، إلى منيع حماه ، وقد قمع الله بأخذه كلَّ متطلعٍ إلى الفتنة وفلَّ شباه . وكان الاشتغال به قد صرفَ النظر إليه ، ووقف المحاولة عليه ؛ وقد تفرَّغ بفضل الله النظر في مصالح هذه الارزاء . وخلا التقويم لاماطة ما ظهر فيها من نواشيء الاعتداء ، وانصرف التسديد لطحر الشوائب عن مشارب أهلها والاقضاء . وبالله نستعينُ فيما نحاوله من إقامة الحق وتمكين الدين وإفاضة المعدلة ونشر الخير وتسكين الدهماء وإصلاح الخلل ؛ وهو المنجد والمعين ، لا ربَّ غيره .
وكُنَّا - وفقكم الله - أعلمناكم أنَّ العرب - أصلحهم الله - يرجى لهم أن يتلافوا زللهم ، ويستدرکوا خطلهم ، بغزو في جزيرة الاندلس - حاطها

الله - يكفر الله خطاياهم ويصلح عملهم . والنظرُ في ذلك متوالٍ ، والاخذُ فيه متصلٌ ، وعونُ الله عليه مرتقبٌ ، ووعدُه الكريم منتجزٌ ، وهو - جَلَّتْ قدرته - مُتَمِّمُ أمره ومُنْجِزُ وعده ، وهو المستعان ، لا ربَّ سواه .

وظهر من نتائج هذه الحركة السعيدة ، وآثارها الحميدة ، أنَّ الله تدارك بها هذه الجهات بعد أن أَشْفَتْ على تلافها ، وقبضتْ عروق النفاق في أوساطها وأطرافها ، وأومضتْ بوارق الفتنة في جميع أرجائها وأكنافها ، وكانت أحوالها تنقل إلينا غير صورها ، وتحكي على غير حقائقها ، ويهون من أمر هذه المدرة ما ليس بهين ، ويضعف من حال غويها ما ليس بضعيف ؛ فكذب الخبرُ الخبرَ ، وشهدت المشاهدة بتحريف النقل وإبانة الحقيقة أنَّ هذه المدينة من الحصانة والامتناع ، والسموق والارتفاع ، بحيث لا تُنال في المدَّة القصيرة ، ولا يتمشى مرامها إلا بمحاولة الصعبة والمطاولة المديدة ، وإنَّ تيسيرها على الوجه المذكور ، والمعنى المرويِّ المأثور ، في هذا الأمد القريب ، لمن بركات هذا الامر العجيب ، وسعوده المطردة ، وعوائد الله الجميلة ، فاشكروا الله تعالى على هذه العطايا الجمَّة ، والآلاء المتتابعة ، وعضُّوا بالنواجذ على التمسك بعروته الدعة بركوب سفينه ، وتملَّوا النعمة بالايواء إلى ركنه ، وتيقَّنوا أنَّه أمره الذي تكفل بعضده وأبى إلا إتمام نوره وإعلاء حزبه . وانشروا هذه الفتوح البيّنة والبشائر المبهجة ، وبشوها في أملائكم ، وتحدَّثوا بها في نواديكم ، وخاطبوا بشرحها جميع جهاتكم ، وأذيعوها في أكنافكم وأرجائكم ،

✽ للكتاب أبي الحكم بن المُرخي عن الخليفة عبد المؤمن ✽ ١١٣

يشارك جميعكم في المسرة ، ويتساهم كلُّكم في شكر الله عليها ، ويتجدد الاخلاص لكافّتم بهذا المسموع (١) .

الرسالة الحادية والعشرون

وهي من إنشاء الكاتب أبي القاسم القالبي ، معلماً بهزيمة عَرَب إفريقيا :

من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الطلبة والشيوخ والاعيان والكافة من الموحدين من أهل فاس - أعزّهم الله بتقواه ، وأدام كرامتهم بحسنه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعدُ فالحمدُ لله الذي تمّم مقاصد أوليائه فيما اعتمدوه من إقامة أمره الواجب ، وأناف بأغراضهم المقصورة على مرضاته على مطامح المطالب ومدارك الرغائب ، وبلّغهم في أعدائهم الذين ولّوا أمر الله وقد استقبلهم جانب الاعراض والادبار ، وبدّوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار ، أماني الظافر الغالب ، ووكل بهم أيّة ولجوا ، وعلى أيّ مدرج درجوا ، من النصر المحالف المُصاحب ، ما يكون لعامة أكنافهم ، وجنات أوساطهم وأطرافهم ، عين الحافظ المُراقب ، ومكّن لهم إنفاذاً لمقدوره ، وإفاضةً لأشعة نوره ، أسباب التقلب في أفناء الامنة وظلال السكون من جانب إلى جانب ، وأحظاهم نعمةً منه وفضلاً وقد فاؤوا بشرف الفتح الجسيم ، واحتقاب الحظّ العميم ، وابتغوا رضوان الله والله ذو

(١) السطور الاخيرة من هذه الرسالة ناقصة في الاصل المنقول عنه .

فضل عظيم ~~مكتسب~~ لاوتي الغانم الاديب ، وجعل أمرهم الذي هو أمره ناظماً إلى قيام الساعة بين أطراف المشارق والمغارب ؛ والصلاة على محمد عبده ورسوله الحاشر العاقب ، الصادع بنوره الثاقب ، لبابة الانتخاب ، وسلالة الانتجاب ، من لوي بن غالب ، المبتعث لتتميم مكارم الاخلاق ، بما حضر من الضرائب المقدسة والمناقب ؛ وعلى آله وصحبه أولي العزم في أمره العاكف الذائب ، والجدّة الثابت اللازب ، والاثرة المشتملة على شرف المناسب وزلف المناصب ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، القائم بأمر الله وقد التفت حجب الغياهب ، وتفرقت سبل المذاهب ، وخُبط من ليل الحيرة في حيث لا مُنفذ لجاء ولا مُخلص لذهاب ، فهدي الله بهداه إلى الواضح اللاحب ، وأنفذ به من هو العاثر وشفى العاطب . وإنا كتبناه إليكم - كتبكم الله ممّن تعرّف آلاءه المستعادة ، وجعل انتظار الفرج بالصبر عبادة ، وبوَأَ بقرارة اليقين لتنجر ما في ضمن الوعد من كل فتح مبين مهاده ، وقابل نعمه التي تجلي قرّة أعين صورتها ، وتشفي ثجج أسمع سورتها ، من الشكر الاحفي ، والحمد الاوفي ، ما يستهب نفحات الزيادة ، ويصل أواصر الالتحام ، ووصائل الانتظام ، بين مبدية منها ومعاده . ونحن نحمد الله على آمال في إظهار أمره وفيت ، وصدور المؤمنين من أعدائه وأعدائهم شفيت ، وأقضاء من مشاريع دينه بهذه الاصقاع طُحرت ونُفيت ، وآثار كفر طمست بمظهر الايمان وعُفيت ، وأرحام حقوق الله تعالى بَلَّتْ بيلالها وقد كانت بفناء العقوق جُفيت ؛ فلا باطل - والحمد

لله - إِلَّا وقد دمنه الحق فدحض ، ولا عرق لظالم إِلَّا وقد سكن بعد ما
نبض ، ولا مبسوط جور إِلَّا وتكشش وتقبض ، ولا مغفل بدائه ،
ومرتقب يوم اهتدائه ، إِلَّا وقد أذهب الله بعصمته ، ومسحة رحمته ، عنه
المرض . كل تقدم إليه النذير ، وأحيل بفتوق مسامعه التذكير ؛ فمن شرح
للايمان صدره ، وأذن بشمس الهداية فجره ، وأتيح له بعد عسره ويسره ،
انخلع من ملابس ذنبه ، واستند إلى ذروة قربه ، وكان على نور من ربه ؛
ومن صم صده ، واشترى الضلالة بهداه ، تبت يداه ، وأرصد له بأخذ
الله الاليم الشديد ، وعقابه الذي ليس على الظالمين ببعيد ، حينه ورداه ،
وأورد ولات حين مصدر موارد لا يتعداها ما لاح ابنا سميز ولا تتعداه .
وقد كننا - أعزكم الله بتقواه - قد منّا مطالعتكم بما سنّاه الله تعالى في
غزو عرب إفريقية من مُسنّي أعرق في الالتواء نسبه ، وتحكم في تأييد
هذا الامر السعيد سببه ، وفق العقول لمعرفة قدره ، والألسن بواجب
شكره ، أعذبه وأعجبه ، واستفرقت الاوصاف وإن أرسلت من لسان
اللّسن ، ومُدت وسائع القول الاعرب الابين ، قرائنه ونسبه ؛ فليعتبر
آياته ، وباهر آياته ، وما اطرد بين حاشيتي بداياته ، ونهاياته ، أحوال من
اللطائف الالهية ، والصنائع الربانية ، لا تنحط رتب عيانها إلى الآثار ،
ولا تتعرض صور شاهدها في معرض الاعتبار ؛ وإنما هي نبذة تهدي
مخايل ، وتقيم لكم إمارات على نصر الله تعالى ودلائل . وكان هذا الفتح
المعظم في حين إعلامكم لم يستوف طلقه بعد ، ولا كمل له من مستصفي

مستحقّه العَقْد ، وأنّهينّا إليكم نبأه وهو في مضماره مسترسل ، وإلى مقتضى
آثاره من كلّ حذب ينسل ، وأحلّناكم فيما وصل على ما سيّصل ؛ والآن
- والله يوزع شكر نعمائه - فقد عقد حباه ، وأغمدت وفيها فلول من
قراع الدارعين ظباه ، واستخلص من قصده المظفر مصطفىاه ومجتاباه ،
وأَمْضى حكم الله إمضاءً جزماً فيمن تحاماه وتأتّاه ، ولا ثنيت الاُزْمَة ، ولا
رفيت الهَمّة . وببلاد إفريقية للقبيل الرياحي المستولي على أقطارها ،
المستعجل في إضرارها ، لا ذكر يسمع ، ولا حديث يرفع ، ولا أثر يتقضى
ويتتبع ؛ ألحقوا بقبيل العدم ، وقلعوا قلع الصنفة وعصبوا عصب السلم ،
وأصبحوا كهشيم التّهَبّتْهُ نفحة ضرم ؛ حيزت عليهم الشايات والانقاب ،
وتبسّط فيهم كيف شاء العقاب . فلم يجدوا إلى مستخلص سبيلا ، ولا
استطاعوا مضياً ولا الى منجاة تعريجاً ولا تحويلاً ، أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا
تقتيلاً ، سنّة الله التي قد خلّت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ؛
حقّت عليهم الصيحة فأصارتهم هبّاً منشورا ، وضربت عليهم الذلّة بكلّ
مضطرب وملتمس من تقرّيبها لآثارهم ، وجوسها بخلال ديارهم ، سداً لا
يخترق وسورا ، وأحالت متون جيادهم وما اعتقدوها منية حين ركوبها
سريّة أرماساً وقبورا ، ووقف بهم حكم السيف والسنان ، على طاعة أو
عصيان ، ولا ثالثة وقد خطرت الجدّهاتان ؛ فمن أبى إلّا النفار ، وكره الله
منه الانبعاث والاستنفار ، فقد قلّد مناط مقلّده ، ومدار مخنّقه السفار ؛ ومن
أخذت السعادة بأردانه ، وأوّته إلى شعب الفوز وإيوانه ، التحف يردة

أمانه، وجرّ إلى منال الحظّ العظيم ملءً عنانه، وقد أخذ من هاتين الخطّتين
بقسط باء به موفورا، وقدّمه يسمي بين يديه إمّا ناراً وإمّا نوراً .
وفي حين هذه المخاطبة - وفقكم الله - وصلت أوائل العساكر
المنصورة، فقصّت من قصصها عبرةً لأولي الالباب، وأطلعت من معاني
هذا الفتح المبارك ما أربى على العجب العجّاب، وأنبأت بما أرسل الله في
جميع بلاد إفريقية من سماء الأمن المنسكب المنساب، وأوسعها من منشر
العدل ومنبسط الفضل ما لا يحتجب عن متطلّبه بحجاب، وأنّها - والحمد
لله - وقد احتثت أصل الكفرة احتثاثاً، وأضحى بها جبل الباطل أنكاثاً،
حسب أمن السائل السالك، وشهادة المنطق اللائك، وأنّ أهلها من
توسّد الآمال، والتورّك على الاقبال، في أدمث الفرس وأمهّد الارائك،
يكاد مشهوداً لا من الذي لم يتصوّر في أوهامهم، ولا عرض قط في
أفهامهم، أن يعتقدوه من بعض الخيال الطارق في مناعمهم . فالحمد لله الذي
بوأ أمره مكاناً عليّاً، ونصب للعالمين صراطاً سريّاً، وجعله بعموم الخير
وشمول البركة مائاً وفيّاً . وطهر هذه الأرجاء من متعاقد الظلم
والكُفر، ووطاة بني السُمر والصُفر، واستقبل بأهلها بمستانف إيمانهم،
ومستجد إيقانهم، أشرف الحياة وأسعد العُمر . وأمّا ما ذكر الواصلون
من العساكر المذكورة عمّا استاقوه من السبايا والغنائم فما غصّ الفضاء
بإقداره، وضاهى مدارار الوكافة المتنّ متطرّ بدّراره . وكيف - وفقكم
الله - بأمة استخلص طريقها وبلادها، واستصفي حلالاً ما أجنّه اذخارها

وَأَكْنَهُ أَعْدَادُهَا ، وَقَدْ تَحَصَّلَتْ هَذِهِ الْإِنْفَالُ الْمُبَارَكَةُ بِأَوَائِلِ هَذِهِ
الْبِلَادِ ، وَانْفَصَلَتْ جَمِيعُ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةٍ هَدِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبَارَكَةً طَيِّبَةً ،
وَرَحْمَةً مِنْ سَمَاءِ إِحْسَانِهِ وَإِفْضَالِهِ صَيِّبَةً .

وَكَانَ فِي هَذَا الْقَبِيلِ الرِّيَاحِيَّ فَخْذٌ مِنْهُمْ يُعْرِفُ بَنِي مُحَمَّدٍ لَا
حِظَّتْهُمْ السَّعَادَةُ بِطَرَفٍ غَيْرِ خَفِيٍّ ، وَاحْتَضَنَتْهُمْ فِي حَجَرِ الْوَقَايَةِ حَفِيٍّ ،
وَكَانَ لَهُمْ مَعَ الْقَدْرِ السَّابِقِ بِمَفَازَاتِهِمْ جَدُّ كَفِيلٍ كَفِيٍّ ؛ فَالْقُوا بِمُقَالِيدِ
الْإِنْقِيَادِ ، وَانْخَرَطُوا فِي سَلَكِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِجَمِيعِ الْإِنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ ، وَرَبَطُوا أَنْفُسَهُمْ مَدَى أَعْمَارِهِمْ عَلَى مَصَافِرَةِ الْغَزْوِ وَمَصَابِرَةِ
الْجِهَادِ ، وَاعْتَدُّوْهَا بِمَا رَأَوْا فِي سَوَاهِمٍ مِنَ الْإِتِّغَاظِ الَّذِي بِهِ سَعَدُوا ،
وَبَاعْتَبَارِهِ أُيَّدُوا ، مِنْ سَدَادِ الرَّأْيِ بِمَا أُيَّدُوا ، نَجْمَةَ الْمُنْتَجِعِ وَبَغِيَةِ الْمُرْتَادِ ؛ وَقَدْ
تَأَثَّرَتْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ الْفَارَّةُ بِمَا شَدَّ مِنْ شُعُوبِهَا مِنَ أَلِيمِ الْعُضِّ ، فَانْتَرَتْ
الْإِنْخَالُ مَعَ الْمُوَحِّدِينَ بِالْقَضِيضِ وَالْقَضِّ ؛ وَقَدْ قَوَّضَتْ خِيَامَهَا ، وَهَجَرَتْ
أَطَامَهَا ، وَقَدِمَتْ بَيْنَ يَدَيْ اسْتِنَانِهَا عَلَى آثَارِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَنْاسِيَّهَا
وَأَنْعَامِهَا ؛ وَهِيَ جَمَلَةٌ وَافِرَةٌ الْعَدَدِ ، مَتَظَاهِرَةٌ الْعُدَدِ ، قَاصِدَةٌ خِدْمَتِهَا عَلَى
هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ آخِرِ الْأَبَدِ . وَمِمَّا تَسَنَّى لَهَا مِنْ تَسَنٍّ لَطِيفٍ ، وَأَدَبٍ
لَهَا مِنْ خَفَايَا التَّسْبِيبِ وَالتَّكْيِيفِ ، أَنَّ عِمَادَ بَيْتِهَا وَزَعِيمَ أَمْرِهَا أَبَا يَعْقُوبَ
يُوسُفَ بْنَ مَالِكٍ - وَفَقَّهُ اللَّهِ - كَانَ قَدْ خَلَصَ بِحُجْلِ هَذَا الْأَمْرِ اعْتِلَاقَهُ ،
وَتَأَكَّدَ بِمُهَوِّدِهِ وَمَوَائِقِهِ عَهْدُهُ وَمِيثَاقُهُ ، وَأَحْظَاهُ بِحُظْوَةِ الْهَجْرَةِ إِلَى
هَذَا الْأَمْرِ بَدَارُهُ وَاسْتِبَاقُهُ ؛ وَلَمْ يَزَلْ عَلَى طَرِيقَةِ سَوِيَّةٍ ، وَمُعَامَلَةِ بَرَّةٍ

تقية ، استحق بها من الرأي الجميل ما سرى منه ففاض على هذا القبيل فتلوم عليهم العمل ، وحرّم على أرجائهم بما سبق من أرجائهم النظر الاجل ، الى أن تغمدتهم بمتلبهم الرحمة ، واكتنفتهم النعمة ، وأخذت بحجرهم عن النار العصمة .

وأما جُشَم بأسرها فذهبت أيضاً مذهب الانتقال ، وأخذت في الاغذاذ الى ما أمرت به والارقال ؛ وتحرّكت بما لها أهلاً ومالاً من الانتقال ؛ وهم بمجلّدات أهل التوحيد مُعسّكرون ، وفي مؤازرتهم التي تحملهم ومواشيمهم على أعدل طرق المطاوعة والمتابعة مستمرون ، وهم عدوّ لا يحمله إلا البساط الفيّاح ، والفضاء المنداح . وكل من هذين الحينين الجُشَميّ والفخذ الحمّديّ من الرياحي فقد عزم وأعزم به على أن تحتطّ إن شاء الله بالمغرب دارهم ، ويبوّأ هنالك قرارهم ، ويقصر على خدمة هذا الامر العزيز جوارهم .

وأما قبائل الأئبيج وزُغبة فوصل أعيانهم يمدّون يد الاستئابة ، ويطلقون السنة الانابة ، ويتعوّذون من حرّم هذا الامر بالامن والمثابة ، وقد وعدوا على النظر فيما عنّ لهم من غرّاتهم ، ونفذوا على إمضاء عزوماتهم ؛ فإن أمضوها نيّة ، وأبدوها طاعة جليّة ، فخطّ لأنفسهم اقتنوه ، وعاجل مكروه كما فعل بأشياعهم من قبل تخطّأهم وتخطّونه ؛ وما سواهم حكم لا يرد عن القوم المجرمين بأسه ، ولا يجهل يومه وأمسه .

وعلى الجملة فقد أظهر الله تعالى من بركة هذه الحركة الميمونة

السعيدة ما لم يكن ينشأ بسماء الوهم والاحساس ، ولا يجري على أساليب القياس ، ولا يتفرغ في قوالب العادات من الاستيلاء على من ملك زمامي البر والبحر بهذه الاقطار ، وكأثر فيها عدد القطار ، واستظهر على شأنه بما زعم من قوى الاستظهار ؛ فكل ما أغنى عنه جمعه ، ولا حماه معتصمه ومنعه . وإن في إبادة من أبيد ، واقتياد من اقتيد لَسِرًا من أمر الله في تسخير هذا الوجود لأمره . ^{روح} وشعاراً بيّنه في هذه الاطراف المسخرة والآيات المرسلّة ما هو لتلك المغارب موفور ، ولآمالها في الانعطاف اليها مخبوء مذخور ، وعلى ما يملأ لحظ التشوق إلى مطالعة نور هذا الامر موقوف مقصور . فاعتبروا - وفقكم الله - بهذه الدلائل اللائحة ، والبراهين الواضحة ، أن هذا الامر العزيز إلى قيام الساعة مداه ، موقوف على تمييز الخبيث من الطيب أولياؤه وعداه ، مجزي كلا قسط ما أخفاه من معتقده وأبداه ، مُستَول على الاقرب والابعد في الله يداه ؛ وقد يُسمّت المغارب تيمناً مباركاً بحمد الله . ووليت وجوه الغزائم شطرها على بركة الله وعونه . فبشراكم اليوم بشراكم ، وما أحلقكم به وأجراكم . فاشرحوا - أعزكم الله - صدوركم ، وأقيموا بهذه البشائر أموركم ، وأشعروا بها جمهوركم ، وأعقدوا بإهدائها جذلكم وسروركم . والله تعالى يجعلكم ممن اعتمد النعم بشكرها ، ووفّأها واجب قدرها ، وارتبط كرائمها بمواصلة ذكرها ، إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كُتِبَ مِنْ فَحْصِ مَتَّيْجَةِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ
الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

الرسالة الثانية والعشرون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي القاسم القالمي المذكور :

الحمد لله الذي قدّم لأوليائه أمره فيما يرومونه من تدويخ العدو
وقهره يوماً على الكافرين عصياً ، وصنع لهم في إبراز الكفرة الى مضاجعهم
وسوقهم على قدم الاعتزاز صنماً عجيباً ، ووعد القائمين بدعوته ، الناصرين
لملته ، فتوحاً آزفةً يفتحونها ، ومغانم كثيرةً يأخذونها ، فعجل من دون ذلك
فتحاً قريباً ؛ وصلى الله على نبيه المصطفى محمد الهادي إلى سبيل السلام
ترغيباً وترهيباً ؛ وعلى آله وصحبه ، ومن لبى دعوته إلى ربه ، سامعاً محيياً ،
سامياً في مقام النصرة ومحلّ الاثارة أعزّ نجيباً ؛ ونسأله الرضا عن الامام
المعصوم ، المهديّ المعلوم ، المجدّد لديه عند ما عاد غريباً كما بدأ غريباً ،
وذهبت به الاهواء المتبعة ، والاضاليل المبتدعة ، تصعيداً وتصويباً ؛ وعن
صاحبه وخليفته الامام أمير المؤمنين مؤازره ، ومُظَاهِرِهِ ، توسيعاً
لأُكْنُافِ الدعوة العلية وترحيباً ، ووارث مقامه الكريم ، وأهلية القيام
بأمره العظيم ، منصوراً ومفتوحاً له ومُصِيباً .

وإنّا كتبناه إليكم - كتبكم الله ممّن أحسن تلقى البشائر ، ووفى
النعمة حقّها من شكر الشاكر ، وجعلكم من الذين أشرقت لهم أنوار الهداية

فائضة على الابصار والبصائر - من حضرة فلانة - حرسها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه وأن تعلموا أن الله في هذا الامر العالي وما ناط به من إظهار الدين ونصر الملة وإعلاء الكلمة أفعلاً خافية وعالمة ، وآثاراً ظاهرة وباطنة ، وأسراراً مجتلية ومحجبة ، ولطائف مشهودة ومتغيبية . فمهما أنسي لعداته في أجل الامهال ، فليساق لأولياء الله الفتح فيهم بالمساق العجيب ، وليترتب لهم حال القطع لدابرهم والاستيصال لشافتهم في أجمل صور الترتيب ، إشارة للعناية ودلالة على الاثرة ، وتنبيهاً على الارتقاء في الاسباب ، وتبصرة وذكرى لأولي الالباب .

وقد كان مقامنا بهذه الجزيرة - مهّدها الله - لتتميم المقصود فيها من إظهار الدين ونصر الملة ومُرابطة في مصابقة العدو - قصمه الله . وفي مُهلة النظر في حسم دائها ، واستباحة أعدائها ، بَلَغْنَا أَنَّ رجلاً من ذممي النصارى - وقهم الله - من أهل آيلة وما أخذ أخذها ومن انضاف إليهم من الإفريرين وغيرهم - كبت الله جميعهم - قاصدون قصد هذه الجهة - كلاًها الله . وقد وقعت الاستفاضة وحصل العلم بأن أهل آيلة حمة النصارى وحمائهم ، ورؤساؤهم وكمائهم ، وجمرتهم المثلّبة ، وحوزتهم المتغلبة ، والشوكة التي لم يحصدها قط حاصد ، والشجرة الملعونة التي لم يقصدها على مدّ الدهر قاصد . وإِنَّهم بما خبا الله فيهم لأولي أمره ، وأولياء نصره ، سَوَّلَتْ لهم أنفسهم الخائنة الخروج إلى الغارة بهذه الجهات - كلاًها الله -

تخيلاً منهم أن جنود الله الموحدين قد تفرقت ذاهبةً وسرحت قافلة ،
وانتهاراً منهم بزعمهم للفرصة قبل احتفال الجنود والاحتشاد لوقت الغزو .
فاستمرُّوا مصمِّين وتهوِّروا مقدِّمين ، وما زالوا يتقدَّمون إلى حتفهم ،
وتنضرب أسداد الغيِّ من بين أيديهم ومن خلفهم ، مغالطين بالجرأة ،
متخمطين بالبسالة ، خارقين لحجاب المهابة ، ناكبين عن سمت الاصابة ،
إلى أن بلغوا هذه البلاد - حماها الله - فأجازوا الوادي الكبير بين قرطبة
وإشبيلية ، واكتسحوا جملاً من الغنم كثيرةً بجهةٍ استجَّة ؛ ثم عطفوا
على الموضع المعروف بالكُنْبانِيَّة من قبلي قرطبة وجعلوا ذلك طريقهم
إلى منْتور .

ولمَّا اتَّصل بنا نباؤهم الذمِّم ، وتوجَّه فيهم الصنع الكريم ، استخَرْنَا
الله تعالى على تمييز العساكر المنصورة ، وتسريبها إليهم مع إخواننا وأشياخ
الموحدين - أعزَّهم الله - فاتَّبِعُوهم مجدِّين واجتمعوا بالشيخ الأجل
أبي حفص - أعزَّه الله - ومن هنالك من الموحدين - أعانهم الله -
وعرفوا بمجرَّد متجدِّد حالهم ، وما انكشف لهم من صور الاحوال في
حلهم وارتحالهم ، واستمدُّوا الاوامر التي عادة الله تعالى إسعاد مُطيعيها ،
وتوفيق المُسند إليها . فأمرُوا بصدق لقاء العدو - قصمه الله - وأخذَه على
بركة الله الذي سبقت كلمته أن ينصر من ينصر دينه ، ويبذل في مجاهدته
إخلاصه وبقينه ؛ فاستمرُّوا في جدِّ الاتِّباع على وجههم الميمون ، ونصرهم
المضمون ، ودرجتْ أَيْامٌ قدر ما يوصل الطالب إلى المطلوب ، ويتمحَّص

بمكروه الكافر وهو غير المرغوب ، إلى أن هتفت البشائر مائلة الاسماع ،
 طالعة من أحسن ثنايا الاطلاع . وورد الفتح الجليل ، والصنع الجميل ،
 ووصل من أعيان الموحدين - أعانهم الله - من شهد اليوم الذي أخذ فيه
 للإسلام بليم النار ، وعرف الكافر لمن عقبى الدار ؛ معهم أعلام الروم
 المنكوسة فيها تماثيلهم وصلبانهم ، واقتراؤهم على الله وطغيانهم ، ورأس
 شيخهم الذميم وشيطانهم الرجيم ، وائر أهل الايمان ، وأشد الكفرة عتوا
 على الرحمان . فذكر الواصلون أن الموحدين - أعانهم الله - اتبعوهم
 معدين ، وأرهقوهم مشمرين في الركن مجدّين ، إلى آخر فخص هلال
 وقد طمع الاعداء بالنجاة ؛ فنهياً هنالك للحاق والادراك ، وتراعى الايمان
 والاشراك ؛ فرأى الكفرة من بأس الله الذي لا يرد ، وجنده الذي لا
 يصد ، ما هاهم وراعهم ، وأنساهم جلادهم ومصاعهم ، وعلى ذلك
 فطمعوا في الدفاع ، وارتفعوا الى اليفاع ، وحملوا حملات قاصرة ، وكرّوا
 كرات خاسرة ، إلى أن زحفت عليهم الكلمة ، وحاقت بهم النقمة ،
 وأخذتهم السيوف المستلحمة ، وانصبت عليهم الجيوش من كل جانب ،
 ورأوا الحياة كأمس الذاهب ؛ وأولياء الله وأنصار الحق أهل طاعة أمره
 قد هبت لهم رياح النصر ، وطلعت عليهم شارات الظفر ، لم ينل منهم
 نيل ، ولم يقم للكفرة في جانبهم ميل ، إلى أن ولى أعداء الله الادبار ،
 وابتدروا الفرار ، وحلّوا عن غنائم كانوا استاقوها وأسارى من المسلمين
 غلّ الله أيديهم ، عن قتلهم وكفاهم تعذيبهم . وتمت على أعداء الله

الهزيمة ، والواقعة العظيمة ، والتقطوا في بقية تلکم الآناء ، وقُتلوا قتل
العناء ، حتَّى صمَّتْ حصاة بدم ، ولم يكد يبقی بین القتلى محطُّ قدم ،
واقْتَصَوْا كذلك تلفظهم الشواھق ، وُثِرَ دِھِم المھاوي وینمُ علیهم اللیل
وهو کاتم ، ویلکم لهم الصبحُ وهو باسم ، ولا تدمُ علیهم غیْطَلَةٌ ملتفّة ،
ولا شجرةٌ محتفّة ، بل یقول الحجرُ : یا مؤمن هذا الکافر خلّنی فاقْتُلْهُ ،
وإلی سواء الجحیم فاعْتُلْهُ ؛ أینما ثقفوا أخذوا وقُتلوا تقتیلاً ، سنّة الله التي
قد خلّت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فالحمدُ لله علی هذا الفتح
العظیم خطره ، الجلیل قدره ، الذي له ما یعده ، وانسیاق ما ینجز الله
وعده ، حمداً یبلغ رضاه ، ویوجب زلفاه ، ویتمري المزیّد من نعماه .

وهذا الفتح - وفّقکم الله وأعانکم - وإن کان عظیماً فی نفسه ، عالیاً
فی جنسه ، فإنّه للفتوح الآزفة مفتاح ، و بین یدی السعی فیها مصباح ؛
وإنّه رائدُ الفتوح المنتظرة ، وعنوانُ الخیرات المیسرة ، ونازلٌ من الفتوح
الآتیة بمحلّ الباکر من الثمرة ، لما أُشرب فیہ أولیاء الله وأنصارُ الحق
وجنودُ الامر وحماةُ الاسلام وأحزابُ الدین من ریح الفتح وجدّوا من
عزّ الغلب ، واستحلّوا من مدامة النصر وتوطأ لهم من طریق الظفر
الروم ، وتذلل لهم من مرکب الروم ، إذ عرفوا ذوقهم ، وساقوا سوقهم ،
ولم یبق لهم فی نفوسهم قدر مقاومة ولا محلّ مراقبة ، ولما خامر الرومُ
- قصمهم الله - من الرعة والروع وانفتح علیهم من أبواب الخطوب
وتوجّه إلیهم من جنود الرعب ، وباؤوا به من ذلّ الغلب ، وسوء المنقلب ،

وفقدوه من منكب الدفاع ، وردء الامتناع ، وفرسان الجلاذ والمصاع .
 فَإِنَّهُمْ بَعْدَ أَوْلَئِكَ اَهْلَكِيَ الْمَطَرَّ حِينَ بَمَنْزِلَةِ الرِّيحِ بَعْدَ السَّنَانِ ، وَالْجَسَدِ بَعْدَ
 الْجَنَانِ . فَهَذَا الْفَتْحُ الْعَظِيمُ قَدْ عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَى وَكَثُرَتْ فِيهِ الْعَوَائِدُ ،
 وَاسْتَمَرَّتْ مِنْهُ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ الْفَوَائِدُ ، فَوْفَوْهُ حَقُّهُ وَاعْطَوْهُ قِسْطَهُ
 شُكْرًا ، وَنَشْرًا ، وَإِشَاعَةً ، وَإِذَاعَةً ، يَمْتَدُّ مَدَاهَا ، وَلَا يَبْلُغُ أَقْصَاهَا ، وَاللَّهُ
 تَعَالَى يَشْفَعُهُ بِأَمْثَالِهِ ، وَيُرْدِفُهُ بِمَنْهَلِ الْفَتْحِ وَمِثَالِهِ وَيَتَوَلَّى تَوْفِيقَهُ - كَمَا يَحِبُّ
 وَيَرْضَاهُ ، وَعَوْنَكُمْ لَمَا يَزِلْفُ لَدَيْهِ فِي أَخْرَاهُ ، بِمَنْهَ ، وَبِمَنْهَ .

الرسالة الثالثة والعشرون

وهي المعروفة برسالة الفصول . وإِنَّهَا مَنْسُوبَةٌ فِي الْمَجْمُوعِ الْمَنْقُولِ عَنْهُ إِلَى
 الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ الْكَاتِبِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَطِيَّةِ الْمَذْكُورِ كَتَبَهَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى أَهْلِ بَجَايَةِ يَوْصِيهِمْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَحِفْظِ الشَّرَائِعِ
 وَإِظْهَارِ الْحَقِّ بِلُزُومِ الْوَاجِبَاتِ (١) :

مَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيْدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُ بِمَعُونَتِهِ - إِلَى الطَّلَبَةِ
 الَّذِينَ بِبَجَايَةِ - أَدَامَ اللَّهُ كِرَامَتَهُمْ ، وَوَصَلَ صَوْنَهُمْ وَحِمَايَتَهُمْ - سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ
 وَنَعْمِهِ ؛ وَنُصَلِّيُّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَمَدَّ بِهِ هَذِهِ

(١) راجع كتاب أخبار المعدي للبيذق الذي أصدرناه سنة ١٩٢٨ (ص ١٢ - ١٧ و ١٣٤ - ١٤٥) .

الدعوة العظيمة ، والكلمة العلية الكريمة ، من الاضواء والانوار ، وقرن
بمزائم أوليائها من الأخذ بحجز العباد من التهافت في النار ، وأحكم بإيمانهم
من معاهد الهدى التي من استمسك بها فقد فاز بعقبى الدار ، وأبان بهم
معالم السنة المستبينة الضوء الهادية المنار ، التي من سلك جددها فقد آمن
من العثار ، ووقف همهم لديه من مراعاة أمور الدين في النائي والداني
من الاقطار ؛ نحمده حمداً من اهتدي إلى أنه الموجود المطلق الذي لا
يتقيد بالامكنة والاعصار ، الواحد الفرد الصمد المنزه عن الشركاء
والانظار ، المتعالي عن صفات التخير والانتقال والعجز والافتقار ، المحيط
بجميع الموجودات إحاطة لا تحدها حدة الازدهان . ولا تلقحها دقائق
الافكار ، لا إله إلا هو لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار .
ونصلي على محمد نبيه المبعث من أكرم نجار ، والمؤيد بالمعجزات التي
دحضت حجب الكفار ، وخرقت مستمر العادة للعلم أنها فعل الواحد
القهار ، وأنت على وفق الدعوى ليتبين بها صدقه على الاضرار ،
وحكمت في كل من لم يؤمن بها كل طريد الشبي ماضي الغرار ؛ وعلى
آله وصحبه السالكين في ذلك السنن والمجرين في ذلك المضمار . ونواصل
الرضا عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله تعالى لما ارتفع
العلم بقبض العلماء الاخيار ، وأعجب كل ذي رأي برأيه من الصم البكم
الرغام الأغمار ، وقامت خطباؤهم بأفانين التضليل وضروب الاغترار ،
وقلبوا الحقائق فظهر من التبديل والتغيير ما أخفى دين الله تعالى الذي

تكفل له بالآظهار ، وانبسط في البسيطة من المناكر ما لا يحتاج إلى إطالة في تعديده مع الوضوح والاشتهار ، فجلى بضياء حكمه ما استولى على آفاقها من الظلم المشتدّة الاعتكار ، وأبان بمعجز علمه من العلم بالله تعالى ورُسُلُه وبما جاءت به رُسُلُه ما كان في طيّ الحفاء والاستتار ، وعلم طرق العلم بها التعليم الذي انتفع به أولو التيقّن والاستبصار ، وصرح عن موارد الدين ما شملها من الشوائب والأكدار ، وأمدّه بالطائفة المنصورة المفتوح لها بصريح الوحي وصحيح الاخبار ، كلُّ دانٍ وشاسع من الامصار ، الوارثين علمه والعاملين به والمتصرفين له ليقى أمره العظيم على الدوام والاستمرار ، إلى قيام الساعة وانقضاء هذه الدار ،

فإنّ كتابنا هذا إليكم - كتب الله لكم كلَّ خير جزيل ، وأعانكم على امتثال أوامر التنزيل ، وجعلهم جارين على حكم الكتاب والسنة في الدقيق من الأمور والجليل - من رباط الفتح - عمره الله - والطائفة المنصورة محفوفة من حفظ الله وكلاءته ، ومكنوفة من صونه وحمايته ، وممنوحة من إظهاره وإعلائه ، ومخصوصة من إرقائه وإسمائه ، وممدّة من إضاءة زندها وإيرائه ، في تسنية مرامها وإسنائه ، بما أنهضنا الله به إلى إحياء معالم السنة وإحكام أماراسها ، وتثبيت أركان الدعوة على وثيق أساسها ، وتطهير الأئمة من أدناسها وأدناسها ، وتعليمها كيف تستضيء بمشكاة الهداية وتغشوا إلى نبراسها ، ليمشوا على السنن اللاجب ، ويتقيّدوا بالشرع المرتّب الراتب ، ويعملوا في أمر دينهم ودنياهم باللازم الواجب ؛ فلا تلبّسوا الهدى

بالضلال ، ولا يشوبون التحقيق بالابطال ، ولا يخلطون العمل بالرفض ، ولا يبعثون الايمان فيقولون : نُؤْمِنُ بَعْضُ وَنَكْفُرُ بَعْضُ ، لِيَتَّخِذُوا بين الرشد والغبي سبيلا ، ولا يروموا في الصحيح الثابت تغييراً وتبديلاً ، إلى أن تخلص قلوبهم من الرئين ، ويكون عندهم العلم والعمل متلازمين ، والباطن والظاهر متطابقين ، والقول والفعل متعارضين ، ولا متناقضين ؛ والله المعين على إكمال هذا المقصد وإتمامه ، والمليء بائتلاف جميع الجهات والاكناف على ما يؤثره من اتصاله وانتظامه .

ولمّا كان هذا الامرُ العظيم إنّما جاء في حين الفترة ، وشمول الحيرة ، وارتفاع العلم وحلول الجهل ، وانبساط الجور وانقباض العدل ، وتملك الهَمَجِ الرَّعاع ، واتّباع الهوى المضلّ والشحّ المطاع ، وقام به الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم - رضي الله عنه - عند ما أزبد بحر الضلال وطمى ، واعتلى سلطان الكفر واستمى ، وتطايّر شرُّ الاشرار وارتقى ، وتفرّقت في أنواع الاباطيل الآراء ، وغيّرت معالم السنّة البدع والاهواء ، والدينُ أجنيُّ غريب ، لا مناسب له ولا قريب ، ولا داعي له ولا مُجيب ، وقد قنع أهلُ الدنيا في معارفهم بمسودّ الصحائف ، مسطوّر الزخارف ، لاماتة المعارف ، وتطمين العوارف ، وجرّ المطارف ، في صون التالذ وجلب الطارف ، فبصّر وعلم ، وثقف وقوم ، وأتقن وأحكم ، ونور ما أظلم ، وأظهر ما استتر وأبهم ، وأنجد في تعليم العلم وأشهم . ثم أَوْرَثَ عِلْمَهُ طائفتَه فبشّوه في البلاد ، وأفاضوا نوره على العباد ، طوراً بالالين

وطوراً بالاشتداد ، وحالاً بالسياسة وحالاً بالجهاد ، وآونة بالمواعظ الحسنة وآونة بالسيوف الحداد ، إلى أن ألقى الناس يد الاستسلام ، وأظهروا الاجابة إلى دعامة الاسلام ؛ فمن آمن منهم بهذا الامر العظيم عن علم و يقين ، وإخلاص مستبين ، فهو يتقيد بقيوده ، ويقف عند حدوده ، ويجري على معروفه ومعهوده ، ويبعدو على ظواهره ، ما أكنه في سرائره ، ويلوح على أساريه ، ما أسره في ضميره ؛ ومن حجه عن الايمان به والاخلاص له حجاب ، وحصل في نفسه من الذي جاء به لبس وارتباب ، فهو باق في أحواله على المذهب الذميم ، وعاكف في أعماله على الرسم القويم ، وطائف بين أطلاله لا يبرح ولا يريم ، ويفتن بما كان ألفه ويهم ، ويزيح في تلك المسارح ما أمكنه ويسيم ، فتراه يتخطى الحدود ويتعداها ، ويهمل الاوامر ولا يرعاها ، ويغشى تلك المألوفات ولا يخشاها ، ويساعد نفسه الامارة بالسوء ولا ينهاها ، ويغفل مآلها فلا يخاف عقباها . ومن كانت هذه حاله فهو ممن لم يؤمن بالله ولا رسوله ولا بما جاءت به الرسل ، ولا بالامام المهدي الذي قامت عليه البراهين واتضحت في أمره السبل ، بل هو متماد على كفره وتجسيمه ، غير منستفع بتقويمه ، ولا مستبصر بتعليمه .

وبحكم بما ناطه الله تعالى بنا من أمور عبادته ، ووسده إلينا من نصر دينه وإنجاده ، وقلدنا إياه من الوقوف على حماية باطنه وظاهره في أغوار العالم وأنجاده ، لم نزل نتعاهد أحوال الانام ، ونصل تصفحها على الليالي

والآيām ، ونقصد هذا المقصد بقوة واعتزام ، ونأخذ في الكشف عنه بمواظبة والتزام ، متبعين في العمل بالعلم أمر الامام المعصوم الذي احتذى فيه حذو جدّه - عليه السلام ، راغبين إليه تعالى في إعظام الاجر وإجزال المثوبة على القيام بهذا المقام . لكنّ الناس مع مواظبتهم بالتذكير ، وملازمتهم بالتنبيه والتبصير ، لم يتركوا تلك الافعال التي رسخت في الصدور ، والملكات التي استقرّت في القلوب ، والحالات التي انطوت على ألفها إحناء الضلوع ، وأبوا إلا ارتطاماً في الغي وارتباكاً ، وانكشافاً في طواعة الشهوات وانهماكاً ، وخلقاً لعذر النهي وانتهاكاً ، وإجراء في مهامة البطالة واستنانا ، وتخليفاً في جوار النواية وطيرانا ، وإغفالاً لما أححق بهم من أمر الله تعالى ونسيانا . فنهضنا إلى معاهدة التفقّد بعزم قرّعت له الظنابيب ، وجري فيه إلى مدّة القصر عن شأوه الجرد السراجيب ، وجعلناه تماهداً عامّاً في البعد والقرب ، ونظراً شاملاً ينتظم حاشيتي الشرق والغرب ، لتأخذ الجهات حقّها من الضبط ، وتترنّ الجنبات بميزان العدل والقسط ، وتستقيم البريّة على قانون الانتظام والربط ، فتكون العهود محفوظة ، وسطوات الله تعالى بمخالفني أمره لمراقبة ملحوظة .

وأبتدي بأوّل مباني الاسلام فأخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو أساس الدين ومبناه ، وروحهُ ومعناه ، والقاعدة التي لا يثبت عملٌ دون تأصيلها ، والرابطة التي لا يقبل دينٌ دون تحصيلها ؛ فلا سبب لمن لم يمتسك بسببه ، وقد بُني وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به ، وهو

إثبات الواحد وبقي ما سواه ، بتقييدات في الشريعة لا يكفي معها إطلاق اللفظ دون تحقيق معناه ؛ وذلك أن يعلم على وجهه وحده ، ليكون عن علم لا عن ضده ، وعن يقين لا عن شك ، وعن إخلاص لا عن شرك ، وأن يقوله مع العمل ، ولا ينكل .

ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ويحفظوه ويفصّوه ، ويلتزموا قراءته ويتعمّدوه . ويؤمر طلبة الحضر ومن في معانهم بقراءة العقائد وحفظها وتعاهدُها على سبيل التفهّم والتبسّن والتنبّه والتبصر . ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي أولها : « اعلم . أرشدنا الله وإياك » وحفظها وتفهمها . وأشمل في هذا الالتزام الرجال والنساء والاحرار والعبيد وكل من توجه عليه التكليف إذ لا يصحّ لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد ؛ فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل ولا بالرسالة ، ومن حصل على مثل هذه الحالة ، فقد تعمّر في أذيال الضلالة ؛ فإن لم يبادر إلى التخلص منها ، والانفصال بالعلم عنها ، فقد وجب عليه حكم الكتاب ولا عنت في إراقة دمه لا محالة .

وآخذوا بإقامة الصلاة التي هي الكتب الموقوف على المؤمنين ، والحكم المثبوت على كل من آمن بهذا الدين ، والنهاية عن الفحشاء والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين ؛ ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فهو محو من ديوان المؤمنين ؛ ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع

من الوظائف والقوانين ، وتاركها ميتٌ في عدد الأحياء ؛ لحشاشة تقضى عند انقضاء أمد الأمهال والاملاء . فخذوا من قبلكم بإقامة الصلاة على ما شرعت ، وأدائها بحسب ما فرضت ؛ وخذوا العوام ومن في الديار بحفظ أم القرآن وسورة معها وما تيسر من القرآن لتمّ صلاتهم ويكمل عملهم ؛ ومن أضاع الصلاة وأهمّلها ولم يبادر إلى أداء ما فرض عليه منها فأجله للحين متاح وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب .

وخذوا بإيتاء الزكاة وبالكشف عن مانعها وتشخيص ممسكها أو النور اليسير منها ؛ فالزكاة حق المال والجهاد وواجب على من منع منها قدر العقال ؛ فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة ؛ فمن منع فريضة واحدة كمن منع الفرائض كلها ؛ ومن منع عقلاً فما فوقه كمن منع الشرع كله .

وأمر بالنظر في الربوب وتميزها والهجوم على بائعيها ومدمني شرابها ومستعمليها ؛ فإراق مسكرها ، ويقطع منكرها ؛ وليعبد إلى من عمل المسكر الحرام عامداً ، وشرّبه مدماً عليه ومُعاهداً ، ولم ترعه الحدود ، ولم تُقيده القيود ، ولم يعظه الاعتبار ، ولم ينفعه الادّكار ؛ فيمحي أثره ، ويحذف خبره ، فالخر أم الكبائر وجماع الأثم وكاسفة شمس العقل ، والبلاغة على كل قبيح من الفعل ، والفاتحة كل مرتج من أبواب العصيان ، وهي رجس من أعمال الشيطان .

وأمر بالكشف عن التلصص والجراية ، والتولج في مكان من الريب

والغواية ، والاجتماع على السير الجاهلية من الملاحية على فنونها وأنواعها
 وضروبها واختلاف آلاتها وما يتبعها من المناكر الناشئة عن أصل الجهالة
 والافعال المنافية للشريعة الصادرة على أهل الزراعة والضلالة من الرجال
 المفسدين ، والغواية المضلين ، ومن النساء المفسدات ، المتفنيات في طرق
 الغوايات ؛ فاكشفوا عن هذه الاصناف وأثيروهم عن مكائدهم ، ونقبوا
 عليهم في مظالمهم ؛ فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة
 باستصحاب حاله ، وتماديه على الاحضار في محل باطله ومحاله ، فيحكم كتاب
 الله - جل اسمه - عليه ، وتطاع سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فيه .
 وليكشف عن الذين يفرمون الناس ما ليس قبلهم ، وبأكلون
 بالباطل أموالهم ، وعن أهل العناد والتعاس والاخلاد ، والتبسط الذين
 إذا دُعوا إلى الجهاد ، ونُودوا إلى الصلاح والرشاد ، صُموا عن النداء ،
 وتلوّموا في إجابة الدعاء ، وألقوا المعاذير المعربة عن العناد ، والناطقة عن
 الضمائر الممتلئة بسوء الاعتقاد ؛ وعن القبائل الباقية على سير الجاهلية من
 الهرج فيما بينهم والقتل والفساد والخبل والانقياد إلى سلطان الجهل
 والخروج عن قانون الحق وضبط الامر ؛ وعن أهل النفاق والتدليس
 الناطقين بما لا يعلمون ، والقائلين ما لا يفعلون . فإذا تعيّنوا على التحقيق
 فاليمنض عليهم حكم الله تعالى الذي أمر به فيهم .

وقد أنفذنا إليكم - وفق الله مقاصدكم ، وعمم بالتقوى معاهدكم -
 نسخة كتاب كريم ، صدرَ عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم - رضي

الله عنه - مشتمل على جوامع الكلم ، ومنطق على رواتع الحكم ، لم يفادز في المعنى الذي تضمنه متردما ، ولم يوجد متأخرا عن الوقوف دون مقتضاه ولا متقدما ، ولم يوسع متربصا في البدار ولا متلوما ، فيه الملاذ والمعاد ، وعليه الاعتماد والاستناد ، وإليه المرجع ، والمفرع . وأنتم تقفون منه على حكم الله تعالى في القوم الذين ذكرهم ممن لا دين له ولا أمانة ولا بهد ولا ميثاق ، المدعين للحق بالاقوال ، مع التماذي على التضييع بالافعال ، وإظهار الاستماع والقبول في الظاهر ، وإتباع الجهل والهوى في الباطن . وتعملون ما جعل العمل عليه في أعداء الدين والعلم وما حكم به فيهم ؛ ولا معدل لنا عن حكم سر البيت المتلو فيه آيات الله والحكمة ، المستخرج الحكم من مشكاة النبوة ومرآة العظمة ، الذي انتظم به الامر على سنن الهدى ، واستقام على نهج التقوى ؛ فمن عانده أو خالفه أو ضاده أو كابره أو عصاه أو ناواه أو جهله وأهمل أمره ، فقد حاق به الردى ؛ فالانقياد لما يقضى به واجب والاستمسك بأمره حتم ، والرجوع إليه في أمر الدين والدنيا فرض لأن قضاءه وأمره هو قضاء ربه وأمره وإرادته وحكمه ، وقد حكم - رضي الله عنه - هذا الحكم فيمن هاجر إليه أول الامر وأتاه عند طمو البحر واتصل به في سلطان المهرج ونزع إليه عند الابتلاء والحنة ، واضطرام نار الفتنة ، لما أنس منهم النفاق وعلم فيهم فساد الباطن وشهد منهم مكابدة الدين ، والدخول فيها من غير يقين ، وفتح باب جهادهم ومحو آثارهم وجعله أهم وأولى من جهاد الكفرة المجسمين .

فكيف فيمن أتى بأخرة عند استواء شمس الهدى على الآفاق ، وإخفاءها خيالات أهل العتو والاستكبار والمروء على الرفاق ، ثم جاء مخافة البيض الرقاق ، وأتى عند بلوغ النفس إلى التراق ، وخاف من يوم عصيب يكشف فيه عن ساق ، فحينئذ أصعب في القياد وأذعن في المساق ، وفيهم من ليس عقده على الصحة والوثاق ، ولا أفعاله مرضية المقصد ولا جارية على الوفاق ؛ فإمضاء هذا الحكم فيهم ، بعد تحقق تلك الاوصاف عليهم ، أدخل في باب الوجوب والاستحقاق .

وإن هذا الامر العظيم ، وإن كان أوسع الأيام عطفاً ، وأناهم رفقاً ولطفاً ، لا يصل من أوجب الدين قطيعته ، ولا يحفظ من رتب الحق إذالته ، ولا يرخي في الطول لمن استن في رعي حمى السنن ، ولا يستمر على المهمل لمن زاغ عن النهج والسنن ؛ فتأملوا ما اشتمل عليه كتاب الامام المعصوم - رضي الله عنه - الذي هو هدى وتبيان ، ونور وبرهان ، واهتدوا بهدي من الهداية مخصوصة ، واعتصموا بحبل من العصمة عليه منقولة منصوبة ؛ فلا مطمع في الهداية إلا منه ، ولا وجه لأخذ العلم ومعرفة الحقيقة الا عنه ومن لدنه . وها نحن نقصد قصده ونتحدثاه ، ونجاهد على إمضاء ما انطوى عليه معناه ؛ وعلى هذا الحكم مضى العمل في المواضع التي نحن بصدد منها بعد أن ميزوا بمشواهم ، وعرف المجرمون بسيماهم ، وتبين كل منهم بما احتقب ، وشهد عليه بما اقترف وبما ارتكب ؛ وقد فضح الله تعالى منهم جماعة تعينوا بصحيح الاعلام ، فأخذوا بالنواصي

والاقدام ، وجرعوا مصقر كأس الحمام ، بشي الذوايل وجد الحسام ، وصُتروا عبرة لأولي الاجتراء على ارتكاب المحارم والاقدام . فامضوا - وفقكم الله - في أقطاركم على هذا النظام ، واحكموا في هذه الاصناف بمثل هذه الاحكام ، واخذوا حذو هذه الافعال في طهر القذى عن طرف الاسلام ؛ فمن تحقق عندكم بترك الصلاة ، ومنع الزكاة ، وإتيان المحرمات ، والانهمال في المحظورات ، من المفسدين والمفسدات ، واستصحاب تلك الاحوال المقررات ، أو واحدة من الافعال المشروحة المبينات ، من غير أخذ لهم بقول ذي هوى وغرض ، ولا بشهادة يتعرّض فيها من الظنة أدنى عرض ، فإذا صحّ التبیین ، وصدق التعيين ، فليؤخذوا بما احتقبوا ، وليُسألوا بما كسبوا ، وليقابلوا عن فعالهم مقابلة من لا تصرفه عن الحق الصوارف ، ولا تعطفه عن امتثال أمر الله العواطف ، بل يمضى في إمضاء الحق بأشدّ الغرائم ، وليعمل فيه عمل من لا يتقي في الله لومة لائم ، إلى إن يستمرّ أمر الله تعالى على إذلالة ، ويبدو محيّا الحق سافراً عن جماله ، ويستقيم البشر على الجدّد المهيّج ، ولا يعدلون عن سبيل الاستقامة على الصراط الشوى في المرعى والمشرع ، والمقصد والمنزع ، بعون الله تعالى . ولتقدّموا طلباً أمناء من قبلكم يعلمون الناس قراءة توحيدهم وحفظه وحفظ أمّ القرآن وما تيسر معها من السور ، يأخذونهم ب مداومة ذلك ومعاهدته وحفظه ؛ وليكونوا من الذين يراقبون ويحافظون ، ولا يراعون في حقوق الله تعالى ولا يداهنون . واخذروا المداهنة

وَحَذَّرُوهَا فَإِنَّهَا صَارِفَةٌ عَنِ الْحَقِّ ، مَزِيغَةٌ عَنْ نَهْجِ الصِّدْقِ . وَلَيْكُنْ جَمِيعُ مَا تَأْتُونَهُ وَتَدْرُونَهُ ، وَتَقْدَمُونَهُ فِي هَذَا الْمَقْصِدِ وَتَوَخَّرُونَهُ ، جَارِيًا عَلَى حُكْمِ الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُسْتَنْدَاً إِلَيْهِ فَقَعْلُهُ هُوَ الَّذِي نَقْتَدِي بِهِ ، وَنَسْتَمْسِكُ بِسَبِيهِ ، وَنَخْضِيهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَنَجْرِيهِ عَلَى رِسْمِهِ ، فَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ وَلَا أَمْنَةَ إِلَّا فِي الْإِمْتِسَاكِ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ - أَعَانَكُمْ اللَّهُ عَلَى مَا تَقْصِدُونَهُ مِنْ ذَلِكَ وَتَتَحَرَّرُونَهُ ، وَوَفَّقَكُمْ فِيمَا تَأْتُونَهُ مِنْ ذَلِكَ وَتَتَوَلَّوْنَهُ ، فَذَلِكَ بِيَدِهِ .

وَلَيْكُنْ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَكْسِرُونَ الدَّعْوَةَ وَلَا يَنْقَادُونَ إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُكْمِ ، وَالْقَبَائِلُ الَّتِي تَعَادِي عَنْ نَصْحِ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، وَوَقَفَ فِي اسْتِخْرَاجِ حَقُوقِ اللَّهِ وَأَبَانَ خَبَايَا أَهْلِ التَّلْبِيسِ حَتَّى أَهَمُّهُمْ يَنْصَبُونَ لَهُمُ الْمَسْكَيدَ . وَلِيُفْضَلَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحُكْمُ فَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَلَيْكُنْ هَذَا الْقَصْدُ عَامًّا شَامِلًا مُنْتَظَمًا لِلْحَاضِرِ وَالْبَادِي ، وَالنَّائِي وَالْدَانِي ، مِنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ وَالْأَحْرَارِ وَالْعَبِيدِ وَسَائِرِ أَصْنَافِ النَّاسِ لَا يَخْتَصُّ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ وَلَا جِهَةً دُونَ أُخْرَى . وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُكُمْ ، وَيَتَوَلَّى بِمَنْعِهِ عَوْنَكُمْ . وَكُتِبَ فِي الثَّلَاثِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

الرسالة الرابعة والعشرون

وهي من إنشاء الكاتب أبي الحسن عبد الملك بن عيَّاش المذكور :

من الأمير يوسف بن أمير المؤمنين - أَيْدَهُمُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ

بمعونته - إلى الشيخ الأجلّ أخينا الأعزّ علينا ، الأكرم لدينا ، أبي سعيد ابن سيّدنا أمير المؤمنين ، والشيخ الأجلّ أبي سعيد يَخْلُفُ بن الحسن - أعزّهم الله وأدام كرامتهم بتقواه - سلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .
 أمّا بعدُ فإنّا نحمدُ إِيْلَكم الله الذي لا إله إلّا هو ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمّد نبيّه المصطفى ورسوله ، ونرضي عن الإمام المصوم ، المهديّ المعلوم ، نجله المرتضى وسيله ، ونوالي الدعاء لسيّدنا أمير المؤمنين القائم بأمره والداعي إلى سبيله . وإنّا كتبناه إِيْلَكم - أعزّكم الله بتقواه ، وأجزل خطبكم من حسنه ، ووصل لكم الانجاء إلى طاعته والعمل بما يقرب منه ويزلف لدينه بمنّه - من حضرة مرّاكش - حرسها الله - ونحنُ نشكره على آلائه ونعمه ، ونستنجزه ما وعد الشاكرين من مواعد إحسانه وفضله .

وقد كنّا - أعزّكم الله - على عزم الحركة مع الموحّدين - أعانهم الله - إلى جهة المرتدّين من صِنْهاجة - آخذهم الله - والتصميم في غزوهم والنهوض إليهم على الثقة بما عند الله لهذا الأمر العزيز من مضمون النصر ومذخور الظهور على من غمّص حقّه وكفر نعمته وصدّ عن سبيله . وخلصنا في ذلك النية المجردة لاقامة الله المقصورة على جهاد عدوّه وحماية دينه وتظهير دعوته . ثمّ وقع الاتفاق بعد إفاضة المذاكرة وإدارتها ، وثبات العزيمة منّا على مشاهدة هذه الحركة المباركة أن يخرج فيها الموحّدون بجمليتهم صحبة أشياخهم وحفّاظهم وأجمعوا على ذلك ؛ فاستخير

الله تعالى عليه وأُنفذ حسبما اتَّفَق عليه . فنفذوا توجُّههم اليمون يوم السبت السابع من الشهر المؤرَّخ به - يَمِّن الله مسعاهم ، وكتب ممشاهم ، وظفَّر مقصدهم في تعمير سبل الجهاد ومغزاهم ، ومكَّنهم على أفضل ما عوَّد من نواصي عداهم ، بَمَنَّة .

وقد كان أشياخُ طَلَبَةِ الموحِّدين - أعزَّهم الله - قبل هذا تذاكروا في مشي أَخينا إِسْمَاعِيل - وفقه الله - إلى إِشبيلية - حرسها الله - صحبةَ عسكريٍّ من الموحِّدين والعرب - وفرَّهم الله - ليكونوا بها مقيمين مع إقامته ، ويتقيَّدون بتقيُّده ومكثه ، ويجدُ لذلك أَهلُ إِشبيلية وجهاتِها من الانس ما تطمئنُّ به نفوسُهم ، وتقرُّ عليه قلوبُهم ، وتنعم به جنابُهم ، وينكفُّ عنهم من إضرار العدوِّ وهجومه على ما اعتاد من البغت والفجاءة ما يرتفع عنهم روعه وتنقطع عنهم عادته ، ويكون بحضور هذا العسكر عندهم وملازمته إِيَّاهم ما يتعجَّل معه الفوْث إن أُحتِيج إلى ذلك . وتذاكروا أشياخُ الموحِّدين بهذا واتَّفَقوا عليه ورغبوا في إِمضائه ورأوا فيه من الخير والتعاون على مصالح هذا الامر ما وقع عزمُهم عليه . فاستُخِر الله تعالى على ذلك وأمضي . وكُنَّا على إِنْقَاضِه حين وقوع المذاكرة ، فَأَزِفَ شهرُ الصوم فَأَرْجَأْنَاهُ إلى انقضاءه تخفيفاً على المسافرين ورققاً بهم ؛ فحين انقضى - قبله الله منا ومنكم - أتى التعويلُ على ذلك . ونحنُ إن شاء الله ننفذه إثر هذه المسكَّاتِ بالعسكر المذكور من الموحِّدين والعرب - عرَّف الله بركة ذلك وأطلع على ثمره المقصود منه والمنوَّة فيه .

وأَعْلَمْنَاكُمْ بِذَلِكَ لِسُرُورِكُمْ بِهِ ، وَمَكَانَتِكُمْ بِقُرْبِهِ وَوُجُودِكُمْ إِلَى الْعَوْنِ مِنْهُ عَلَى أَمْرِكُمْ ، وَالتَّظَاثُرِ عَلَى عِدْوِكُمْ - وَصَلَّ اللَّهُ لَكُمْ أَسْبَابَ الْعَوْنِ ، وَنَظَمَ بِكُمْ وَلَكُمْ مَعَاقِدَ الصَّلَاحِ ، وَأَعَادَ عَلَيْكُمْ بَرَكَتَ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ دِينًا وَدُنْيَا ، وَآخِرَةً وَأَوَّلًا ، بِمَنِّهِ وَبِرَحْمَتِهِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

الرسالة الخامسة والعشرون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الحسن عبد الملك بن عيَّاش المذكور :

من أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُ بِمَعُونَتِهِ - إِلَى أَمِيرِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدٍ - أَمَدَّهُ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ ، وَأَعَزَّهُ بِطَاعَتِهِ وَتَقْوَاهُ - سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ وَنِعَمِهِ ، وَنُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقَامَ لَأَمْرِهِ الَّذِي هُوَ سَفِينَةُ النِّجَاةِ ، وَعَصِمَةَ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، دُعَاةً يَأْخُذُونَ بِالْحُجْزِ عَنِ النَّارِ ؛ وَيَقِيمُونَ لِمَنْ أَضَلَّ السَّبِيلَ ، وَعَدِمَ الدَّلِيلَ ، مِنْ مَعَالِمِ الْهُدَايَةِ إِلَى صِرَاطِهِ الْوَاضِحِ ، وَمَنْهَجِهِ اللَّائِحِ ، أَهْدَى عِلْمَ وَأَرْفَعَ مَنَارَ ؛ وَيَتَقَدَّمُونَ فِي إِبْلَاجِ حُجَّتِهِ ، وَإِبْضَاحِ نَجَّتِهِ ، بِبَوَالِغِ الْإِنْذَارِ وَالْإِعْذَارِ ؛ وَيَصْرَفُونَ بِمَا أَوْدَعُوا مِنْ سِرِّهِ الْمَكْنُونِ ، لَبَنَهُ فِي الظُّهُورِ وَالْبَطُونِ ، وَالسَّهُولِ وَالْحَزُونِ ، وَجَوْهَ الْعَنَايَةِ الْآخِذَةِ بِمَجَامِعِ الْإِقْطَارِ ؛ الْمَوْجَّهَةَ بِالْأَعْرَاضِ عَنِ الْأَعْرَاضِ

إلى ما يقضى بهذه الخليقة ، من ركوب هذه الطريقة ، إلى سعادة هذه الدار ، وسعادة تلك الدار ؛ وصلى الله على محمد عبده ورسوله مشكاة الاضواء والانوار ، ولبابة الاجتباء والاختيار ، المخبوء بمعدن بيته الاشرف ، ونسبه الاشهر الاعرف ، سرُّ هذا النبا السيَّار ، وارث ذلك المقام الذي هبَّتْ تباشيره بأسماع ذوي الاضاحة لمواقع الاستبشار ؛ ورضي الله عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله على أوفى الاعتضاد بتأييد الله وأتمَّ الاستظهار ، الماضي قدماً في التصميم ، وإنفاذ العريم ، على أمر طلق وأبعد مضمار ، المعان في ما دعا إليه ونبه عليه بالعصمة التي لا تضره معها إباءة أباء ولا كفر كُفَّار ؛ وعن خليفته وصاحبه الامام أمير المؤمنين ممشي أمره العزيز على مآله من المراسم المحفوظة والآثار ، ومقيمه على حدوده المكلوثة الملحوظة دون ونية ولا إقصار ، والناصر له بكل معنى تتوجّه إليه داعية الاستبصار .

وإنَّا كتبناه إليكم - أمدكم الله بتوفيقه - من حضرة مرآكش - حرسها الله - ونحن نشكر الله تعالى عوداً بعد بدء وشفعاً بعد وتر ، وتعذيراً بما لا يحصى أمداً ، ولا يكثر عدداً ، إلى أقصى ما يزلف عنده ، ويحضر لدنيه ، ويبلغ غاية رضاه ، على ما ظاهر من نعمته ووالى من إحسانه ، وأرسل من شآبيب فضله ، وأوسع من مننه المعرفة والهداية إلى توحيده والتوحيد إلى الايمان به ، والقيام بحق الدعاء إليه ، والتمسك بشريعة رسوله الذي هو الدين القيم ، والمنهاج البين ، والفسطاط المضروب ، والعلم المنسوب ،

﴿لـكاتب أبي الحسن بن عيَّاش عن يوسف بن عبد المؤمن﴾ ١٤٣

ومعنى الوجود ونشره ، وشرفه المقصود وفخره ، الذي اختاره الله أميناً لتبليغه ، قوياً على أدائه ، مضطهماً بحمله ، جلياً بتبيينه ، حافظاً لآمانته ، مصطفىاه من عباده ، ومختاره من بريته ، عَنِ اجْتِبَائِهِ ، ونكته اختصاصه ، محمد نبيه - صلى الله عليه وسلم - فَبَعَثَهُ به على فَتْرَةٍ من الرُّسُل ، وتراخٍ من الزمن ، وتشعبٍ من الأهواء ، وتبايُنٍ من الآراء ، وخَبْطٍ من العشواء ، وتحكُّمٍ من الجهالة ، وعمومٍ من الضلالة ؛ وكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون ، لا مرشد يُهتدى بناره ، ولا موقد يُعشى إلى ضوء ناره ، ولا دليل يُقتنى مواضع آثاره ؛ فقام - صلى الله عليه وسلم - مؤيداً بالبراهين القاطعة ، والدلائل الباهرة الساطعة ، والمعجزات النازمة لآيات صدقه الجامعة ؛ فصعد بالحق ، ونطق بالصدق ، وجدع أنف الكفر ، وخطم كاهل الشرك وأفصح بالعلانية ، وصرح بالربوبية ، وبَيَّن للناس ما نزل إليه ، فأدَّى من الوحي ما أُلقي عليه ، واستنقذ من الغمى ، وافتكَّ من قيود الجهالة الجهلى ، وحمل على الواضحة البيضاء ، وأوضح بهدايته السُّبُل ، واستسهل في تبليغ أمانته ما شقَّ وثقل ، وختم برسائله ونبوءته الانبياء والرُّسُل ، وأوضح من أمر الله ما استحفظه واستودعَه ، وأنَّه إلى أقصاه كما وعاهُ وجمعه ، وما زالت في ذلك كله كلاءةُ الله الواقعة وعصمته الباقية معه . وأخبر - صلى الله عليه وسلم - بأنباء من الغيب ، فرئتُ بمشاهدة ما بشر منها وأنذر من خواالج الشكِّ والريب .

وَأَبَاناً أَنَّ هَذَا الدِّينَ بَعْدَ كَمَالِهِ ، وَاسْتَوَاءِ نَهْضَتِهِ الْمُؤَيَّدَةِ وَاسْتِقْلَالِهِ ،

والتوفيق التام على مشروع حرامه وحلاله ، سَيَعْتَوِرُهُ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ ،
ويلحقه بعد صحابته - رضوان الله عليهم - التحريف والتحويل ، بما ينشأ فيه
على ما أعلم بوصفه ، وحدث عن كنهه ، من نواشيء البدع وطواريء
المحدثات ، وقلب الأمور وعكس الحقائق وطمس آثار الحق باتباع
الاهواء وإيثار الشهوات ، وعبادة الاطماع والانتقياد إلى بواعث النفوس
الامارة بالسوء المتهاففة على الخطام ، المشغوفة بالزخرف ، الناضرة بالمور
الموراء الى دار الغرور ؛ وَأَنَّ تَمَكُّنَ هَذَا الْفَسَادِ ، وَاسْتَعْجَالَ هَذَا الدَّاءِ
بِالْإِيْمَةِ الْمُضَايِنِ ، الَّذِينَ مَرَقُوا عَنِ الدِّينِ ، وَاتَّبَعُوا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَنَّ الْعِلْمَ عِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَفِعُ ، وَالْجَهْلَ يَمُتُّ ، وَالظُّلْمَ يَشْمَلُ ، وَأَنَّ الدِّينَ يَمُودُ
غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، وَأَنَّ عَوْدَتَهُ بظهور النبأ به والمخبر عنه ، المصطفى من
بيته ، المختار من نسبه ، المؤمل لآحياء سنته ، الامام المعصوم ، المهدي
المعلوم - رضي الله عنه - الذي بشر - صلى الله عليه وسلم - بعلاماته ،
وأخبر عن أماراته ، الشاهدة له الدالة عليه من الاسم والنسب والزمان
والمكان والفعل ، المتبع غير مُخْطِئٍ لآثره ، المقتدي به - عليه السلام - في
مورده ومصدره ؛ فحَاء - رضي الله عنه - على موافقة ما أخبر ، ومشاكلة
ما أنبأ ، قائماً في آخر الزمان وعند شمول الضلالة وتلدُّد الحيرة وتموج الفتنة
وارتفاع العلم ، وستحكام الجهل وفشو الظلم ؛ فظهر به - رضي الله عنه -
لما خصَّه الله من الهداية وعلمه من الحكمة ، وأحلَّه من مقام العصمة ، ونواه
من معقل الامامة ، وخرق له من العادات ، وأجرى على يديه من الآيات ،

ما صدَّق ما نطقت به الآثار ، وتضمَّنته الاخبار ، واحتوت عليه الصحف
وتداولته النُّقْلَة ، ممَّا أعطى القلوب العارفة الطمأنينة ، ومنحها الشَّلج ،
وأراها عين اليقين من ظهور العلم وانبثاث العدل ، والصدوع بالحق
والجهاد لأهل الباطل ، والقتال على أمر الله والنصرة الظاهرة ، والغلبة
القاهرة ، على الاستمرار الدائم ، والعمل المتصل القائم ، دائماً به أمره ما
دامت السموات والارض ، قائمةً به دعوته كما وعد إلى قيام الساعة . قد
حفظ الله مقامه وأمدّه بخليفته وصاحبه الامام أمير المؤمنين الذي مدّه
أطنا به ، ومكَّن أسبابه ، وأفاض أنواره ، ومشى مناجهه الكريمة وآثاره ،
وقام بحق التبیین لأمره والاذاعة لدعوته ، وحمل العباد على سبيله وإيداع
القلوب علمه الذي ورثه - رضي الله عنه - واستحقَّه حصيلاً منه ، وواصل
تمشيته ، وتضمَّن بما أيده الله من التأييد تنميته . فهو - والحمد لله - محفوظ
الجنائب ، مكلوئ النواحي ، معصوم الأرجاء ، موعود بما أراد الله من إكماله
وإتمام نوره بالنصر الذي لا يتوقَّف عنه في حال ، ولا يخطأه في حين ؛ قد
تولَّى من العناية به والكفالة بما قضى له بالاستغناء ، وحكم له بالعزة والاعتلاء ،
آياته بذلك مشهورة ، وآثاره معلومة مأثورة ، ومقاماته مشهودة محضورة ،
وأَيَّامه في صحائف الذكر الباقي مكتوبة مسطورة ، ولا مستقر في أنه
الحقُّ لشبهة ولا جهالة ، ولا موقف لحيرة ولا ضلالة ؛ ولا مطمح لناظر ،
ولا مسرح لحاظر ، إلا تحت هداية بيّنة ودلالة ، ولا يزال النصر له

يستتبّ، والتأييد يطرد ولا يغبّ، باتّباع سُبُلِه وانتحاء طُرُقِه والوفاء بمعهوده، والوقوف عند رسومه وحدوده.

وإنّا - وصل الله توفيقكم بمآلة علينا من هذه المهددة اللازمة والامانة المتقلّدة والحياطة التي حملناها، والرعاية التي كفلناها، والتي نسأل الله - جلّ جلاله - عوناً على القيام بها والنهوض بأعبائها والبلوغ إلى رضا الله عنّا في أداء الامانة فيها - ندعوكم برعاية الله إلى هذا الامر العظيم، ونُهِيبُ بكم إلى السلوك لطريقه الواضح المستقيم، وإلى الاخذ منه الحظّ الوافر المستديم، وأن تكونوا صدراً في حزبه، حازنين شرف المجلس من شعبه، وأن تنظروه بعين الاعتبار، وتأمّلوه تأمّل ذوي الاستبصار، وتجرّدوا تفكّركم في آثار هديه ومدارج سننه ومرامي مقاصده وجمله ما يدعو إليه ويحمل عليه ممّا هو طريقٌ إلى النجاة وسُلّمٌ إلى الفوز وسببٌ إلى سلامة الأبد، ومنال النعيم السرمّد؛ فسَيُقْضَى بكم ذلك إلى التحقيق ووازن الأمور بميزان العدل، وسنبرها بمعيار العقل، والقضاء عليها بمشاهدة الحسن إلى معرفة ما أرذناه لكم من الخير، وبذلناه لكم من النصح، وأمّلناه لكم من توفّر قسطكم في هذا الامر واستفراغ نصيبكم من هذه الدعوة التي لا إيمان لمن لم يؤمن بها، ولا دين لمن لم يدنّ مصداقاً بها، ولا عهد لمن لم يستدّم بها، ولا مستند لمن لم يستند إليها. وإنّ مَنْ أَعْرَضَ عنها أو شكّ فيها ولم يتقلّدّها، ولا استمسك بعصمة وطاعة منها، فقد ردّ ما نطق به الوحي وكذب بما جاءت به الرُّسُل، ولم ينفعه عند الله أن يؤمن ببعض

ويكفر ببعض . وإذا وفقكم الله للتعلُّق والتوثُّق بعُراها ، وخرقتم بنفوذ
البصر والبصيرة حجب القواطع ، وكشفتم مغديات الشواغل ، طالعتم منها
ما يرضيكم ديناً ودنيا ، وشارفتم ما يقربكم إلى الله زلفاً ، وخلصتم إلى ما
يحفظ لكم المنزلة السامية ، والرتبة الزاكية النامية ، في الأولى والأخرى ،
وكنتم في أعوان هذا الامر وأنصاره ، وعدد أشياعه وأوليائه ، وتسرَّبلتم
بثوب العزة بالايمن ، وأخذتم بعصمة أمانة العصمة التامة من كل حدثان ،
ورضيتم لانفسكم بموالاة من تولى الله ورسوله ، ولم يرض متولئ دونه .
وإنه - أعزكم الله - ليربأ بمن كان له إدراك يفصل به بين الحق والباطل ،
والحالي والماعطل ، ويفرق به بين المتضادات ، ويميز به بين المتنافيات ،
أن يميل عن الأولى ، ويفرج عن الاحق الاحدى ، ويفرض عمّا تبدى
له من الحق معترضاً في أحسن المناظر وتجلّى ، وما أحق من قرعت سمعه
الذكرى أن يقول أهلاً ؛ النور جلّ ، والسرّاط مولي ، والكلُّ باتباعه
لئلا تتفرّق به السبل خلق جري ؛ فكونوا ممن أخذ لنفسه من نفسه ،
وأثار ليومه من أمسه ، وانتفع بأعمال ظنه في مكاشفة العواقب وحدثه .
وإذا أرسلتم أرشية أفكاركم ، في قلب أذكركم ، وأطلقتهم أعنة اعتباركم ،
في ميادين ما مرّ على أبصاركم ، تجدون أن من شغل نفسه بمكابدة هذا
الامر ومكابدته ، وقطع مسافة عمره بمخالفته ومعادته ، قد خاب مكدحه
وأخفق مسعاه ، ولم يُجَلِّ بطائل ، ولا حظي بنائل ؛ فإمّا صريع حتوف ،
طعنًا بالرماح وقصاً تحت ظلال السيوف ، وإمّا أخيد حسرة وأسف ،

ووقيد زفرة ولهف ، قد قطعت عنقه المطامع ، وتلاعبت به حياته
اليلامع واليرامع ؛ وإن وراء ذنك يوماً عسيباً ، وهولاً يجعل
الولدان شديباً ، وإن من غلب على دينه ، وافلتت عن إيمانه ، وحجب عن
ربه ، لغبين الصفقة ، خاسر المتجر ، وقلماً سمحت بذلك نفس تبينت
الغنى من الرشد ، وعرفت الجور من القصد .

وقد كان سيدنا أمير المؤمنين - أيد الله أمرهم - في القديم ومنذ
زمن طويل ، خاطبكم بهذه الدعوة وحملكم فيها على منهج النصيحة ، ولم
يكن بلغ الكتاب أجله ، ونحن لأوامره العلية مراعون ، وللمدعاة إلى
دعائهم إليها داعون ، ولرأيه الجليل في هداية الخلق مشيعون مشايعون .
فأقبلوها نصيحة تحرز لكم حظ السناء ، وتوجب لكم رتبة الخاصة من
الاولياء وتقتضى منكم في خير عمركم أفضل المناب في معونة هذا الامر
وأحسن الفناء ، وتجمع عليكم بهذا التلافي الفائت في تلك الاوقات الماضية
والاناء ، وتكونوا على هذه الرتبة كمن أجاب في أول النداء . والله تعالى
يعينكم على تقبل هذه الوصايا ومقابلتها بأحسن التلقي وأنفع الالتفات ،
ويجعلكم ممن تنبه للعظات ، وأذكر بالآيات ، بمنه .

خاطبناكم بهذه المخاطبة دعاء إلى الله ، وإرشاداً إليه ، وتعريفاً بما لا
يسع جهله من الفئدة إلى أمره ، والبدار إلى ما يجب من طاعته ، والاعتلاق
بجمله ، والاستعصام بدينه . وما أطلعناكم إلا على ذخيرة نصيح ونخلة ذكر ،
لا مقصد لها إلا الوفاء بم عهد الله وميثاقه الذي واثق به ومحض النية في

﴿الكاتب أبي الحسن بن عيَّاش عن يوسف بن عبد المؤمن﴾ ١٤٩

صلاح الأئمة وحملها على الجادة وصيورها إلى رضا الله وقبوله . والله ينفع من ذلك بما أريد له وقصد به .

وقد كان الشيخ الاجلُّ أبو حفص - أعزه الله - تحرَّك في هذه السنة بمساكر الموحدين - أعانهم الله - إلى الجزيرة الاندلسية - حماها الله - بنية الجهاد والغزو ؛ فخاطبناه بما رأيناه من هذه المخاطبة إليكم أن يتكَب ذلك الجانب ، ولأن لا يعرضه بقصده وأن يتجلى عنه إلى سواء ريثما يصل كتابكم ، ويستعلم ما عندهم ، من إجابة الدعاء والتلفت إليه ؛ فيكون بدارُ الجواب على حكم ذلك . والله يحملك على ما تتعرفون بركته ، تحتنون عاجلاً وآجلاً ثمرته ، وتحمدون ما له بالاستبصار في أمر الله وبغيته . فذلك بيده ، لا ربُّ سواه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كُتِب بعد صلاة الجمعة من أوَّل يوم من رمضان المعظم سنة أربع وستين وخمسمائة .

الرسالة السادسة والعشرون

وهي من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن محشرة :

من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته - إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والاعيان والكافة بقرطبة - أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأطلع عليهم وفود بشره - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَهَكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ وَنِعَمِهِ ، وَنُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَمْرَ الْعَزِيزَ عَقْبَى الدَّارِ ، وَشَرَفَ الْإِيرَادَ وَالْإِصْدَارَ ، وَأَيَّدَهُ مِنْ نَصْرِهِ وَجَنْدِهِ ، وَمَعُونَتِهِ وَعِضْدِهِ ، بِمَا يَضْمَنُ لَهُ عَادَةُ الْأَعْدَاءِ وَالْإِظْهَارَ ، وَيَبْتَوُّهُ مَبْتَوًّا الصَّدَقَ مِنَ الْإِسْتِيلَاءِ وَالْغَلْبَةِ وَالْإِقْتِهَارِ ، وَخَتَمَ لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ الْمُبَارَكَةِ بِأَنَّهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَالْمُصِيبُونَ وَالْمُفْتَوِّحُونَ لَهُمْ وَعَدًّا يَتَمَشَّى لَهُمْ أَنْتِجَازُهُ مَعَ اتِّصَالِ الْأَعْصَارِ ، وَتَظْهَرُ آيَاتُ اللَّهِ فِيهِ لِأَنْحَةِ لَذَوِي الْإِبْصَارِ وَالْإِسْتِبْصَارِ ، حَتَّى يَنْقَادَ فِي زَمَانِهِ مَصْجَبًا ذُو الشَّرَادِ وَالنَّفَارِ ، وَيَأْوِي إِلَى ذِرَاهِ الْإَمِينِ ، وَرَبُّوهُ ذَاتُ الْقَرَارِ وَالْعَيْنِ ، الصَّعْبُ الْجَامِعُ فِي طَلْقِ الْإِبَابَةِ وَالْإِسْتِكْبَارِ ، وَيَدْخُلُ فِي اللَّهِ مَبَادِرًا إِلَى رَحْمَاهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ تُرْجَى مِنْهُ إِنْابَةُ الْبِدَارِ ؛ فَلْتَقِ عَلَى الشَّهَادَةِ بِأَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ أَلْسِنَةُ الْإِطَاقِينَ بِالْإِقْرَارِ ، وَأَحْوَالُ الصَّامِتِينَ الَّتِي هِيَ أَدْلُ الدَّلَالَاتِ عِنْدَ ذَوِي الْيَقِينِ وَالْإِسْمَاعِ وَالْإِبْصَارِ ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْإَمِينِ الْمُخْتَارِ ، الْمُبْتَعَثِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ آخِذًا بِحَجَرِهِمْ عَنِ النَّارِ ، الْمُبَشِّرَ بِأَنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ يَبْلُغُ مَا زُويَ لَهُ مِنْ مَنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مِنَ الْأَنْجَادِ وَالْأَغْوَارِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ الطَّيِّبِينَ الْإِبْرَارِ ، الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ فِي تَعْزِيزِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَنَصْرِهِ وَإِقَامَةِ أَمْرِهِ أَزْكَى الْأَثَرِ وَالْآثَارِ ؛ وَالرِّضَا عَنْ الْأَمَامِ الْمُعْصُومِ ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ ، الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ مُجَاهِدًا أَهْلَ الْأَعْرَاضِ عَنْهُ وَالْإِدْبَارِ ، الْحَيِّ سُنَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ أَمَاتَهَا أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْجُحْدِ وَالْإِنْكَارِ ، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

مؤيدة بأوضح الانوار ، المالىء الارض قسطاً وعدلاً وقد أُلحد فيها أهل الكفر والاصرار ، وعن صاحبه وخليفته المنصور الناصر لدين الله سيدنا أمير المؤمنين مؤازره في القيام بأمر الله عنه عدم المؤازرين له والانصار ، ومُبَلِّغ دعوته العالیه إلى منتهى أمدّها من الانبساط على البسيطة والانتشار ، ووارث مقامه العظيم المخلد شرفه عالياً باقياً حتّى يرث الله أكنلاً الاعمار .

وكتابنا إليكم - كتب الله لكم من أقسام السعادة ، والبشائر المعادة ، ما يخلص إلى قلوبكم بطيب مسرّاه ويُحْيِيكُمْ وافدُهُ بما يحييُكم به الله - من حضرة تونس - حرسها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكّل عليه والشكر له سبحانه أولاً وآخرأ على ما أولى أولياء أمره من معونة نهجت لهم في جميع محاولاتهم السبيل ، وعرفتهم فيها البركة والتسهيل ، والخيرة التي جمعت لهم النجاح الميسر الجميل ، والصنع الذي خرق العوائد وجاز الامنيّة والتأميل ، والله سبحانه يوزّعنا أن نشكر فضله الجزيل ، ويلهمنا من محامده الجامع البليغ الحفيل ، بمنه .

وقد انتهى إليكم - وفقكم الله - ما سنى في هذه الوجهة الميمونة من الأمور الشريفة والفتوح الجليلة التي جاوزت مدى الافهام ، وفاقت بمبالغ الظنون والالهام ، وقامت أزكى شهيد على مراد الله في هذه الدعوة العزيزة التي هي نظام الاسلام ، والحافضة شمل الخيرات على الانام ، والسامية في مراقي شرفها مدى الليالي والايام ، حتى تبلغ الأُمَّة برحمة الله

سبحانه إلى دار السلام . وأَعْلَمْنَاكُمْ أَيْضاً - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - بما كان من طرف
الموَحِّدين - أَعَزَّهم الله - إلى هذه الجهات الساحليَّة بعد الغزوة المباركة
التي أَعلى الله بها منار الإسلام والايمان ، وأَخزى أهل الشقاق والنفاق
والطغيان ، حرصاً على إزاحة نفوس أهل التوحيد من مشقَّات احتملوها
في طاعة الرحمان ، وإجماماً للسيوف حتى تتبيَّن مواقعها من رؤوس أهل
المروء والعصيان . وخلال ذلك جُمع أشياخُ العَرَب وأعيانُهم والمشارُ إليهم
من رؤسائهم ووجوههم وكُبرائهم من جميع قبائل رِياح - وَفَقَّهم الله -
فذكروا بحقوق هذا الامر العظيم وآلائه الجزيلة ومننه الجسام ، ونُبِّهوا
على ما كان لسلفهم من العرب من كريم السوابق في أوَّل الاسلام ، وأنَّ
الله قد وعد هذه الطائفة المنصورة أن تملك العرب كما بشر به المصطفى -
عليه أفضل الصلاة والسلام ، وحُرِّضوا على أن يكون لهم في نصر هذا
الدين ما كان لسلفهم القديم من الآثار الكرام ، وعُرِّفوا أنَّ الغرض فيهم
إنَّما هو غزوُ الروم الذين بجزيرة الاندلس - مهَّدها الله - فقد طال
استشراؤُهم ، وأَملى الله لهم فزاد عليه اجتراؤُهم ؛ وَنُدِّبوا إلى أن ينفروا
إلى ذلك بقضيتهم وقضيضهم ، نفرة من أنبت عن الوطن ، ونبذ علق المسكن
والسكن ؛ وإن كانت هذه البلاد هي التربة التي مسَّت أَوَّلاً جلودهم ،
وقضوا فيها من الشباب عهودهم ، فالذي يذتقلون إليه من الرباط في سبيل
الله يجمع لهم الخير في الدين والدنيا ، والشرف بالكون في عداد كلمة الله
العُليا ؛ وَبُيِّنَ لهم أنَّهم إذا استقبلوا هذا الغزو السعيد ، والغرض الحميد ،

بنيات متجردة ، وعزائم فيه متجددة ، ونفروا إليه بجملتهم من غير استثناء ، واستصحبوا معهم من تتعلّق به الخواطر من أهل وأبناء ونعم وشاء ، وجعلوا ذلك كلّهم وراءهم حيث ما يرسم لهم من بلاد الاندلس - مهّدها الله - ثمّ صمدوا لعدوّهم ، وتفرّغوا لرواحهم في سبيل الله وغدوّهم ، كانت خواطرهم لغزو أعدائهم أفرغ ، ومصاعبهم لأقرانهم أصدق ، ووطأّتهم على أهل الشرك أثقل ، وطيرانهم لكلّ هيعة يسمعون أسرع ، وإقدامهم في كلّ موطن يقظ للكفار أثبت .

وذاكرنا الجماعة المذكورة في ذلك ذكرى أفضت إلى قلوبهم ، وخلصت إلى نفوسهم ، وتقلّقلت في بواطنهم ؛ فتحرّكت إلى ذلك حفاظهم ، وثارت لنصر دين الله عزائمهم ، وسعت بهم إلى هذا المقصد الميمون نيّاتهم وخواطرهم ، وتلقّى جميعهم ذلك من البدار إليه ، والسرور به ، والوعد بالتشهير فيه ، بما يرجى أنّ الله تعالى سيحقّق أملنا وأملهم في نصر دينه ، وإعزاز كلمته ، وجهاد أعدائه ، وأخذ منّ حادّ الله ورسوله معرضاً عن أمره ، وناصب الإيمان بإشراكه وكفره . ولم ينبق من جموع رياح كلّها ، على اختلاف قبائلها ، وتعدّد عشائرها واتّساع أفخاذها وعمائرها ، إلى من حضر ذلك من أعيانهم ، وذوي حلومهم وأسنانهم ؛ وكلّ أظهر من جميل البدار ، وكريم الاهطاع ، والتأثّر لهذا الغرض الجميل الذي يعود عليكم بكرم المآل وجزيل الثواب ، ما أقرّ العيون ، وشرح الصدور ، وملاء بالشرى القلوب ، وودع جميعهم على الاخذ في الحركة

على هذه الصفة المباركة من التفويض بالرحيل ، والتسليم لهذا الامر العظيم ، والرضا بهذا الغرض الجميل ، وأن يكون رباطهم في سبيل الله عوضاً عن عشواء في الفتنة خبطوها ، وعمياء في الضلالة ركبوها ، وآثار في الفساد والعناد آثروها وارتكبوها .

وقد أخذوا في الحركة بعمون الله على طرق شتى بعضها بالصجاري وبعضها بالسواحل ، كل قبيل منهم اختار أقرب الطرق إلى الموضع الذي منه مبدأ انتقاله ، وأزفقتها بنفسه وأهله وماله ، وأغوذها عليه باليسر والسعة في أحوال ترحاله . ورأينا أن ذلك لهم أوفق ، وبهم أرفق ، حتى لا يزدحموا في المسير ، ولا يتضايقوا مع اتساع هذا الفضاء الحامل منهم للجئاء الفقير . وقد أصحبوا من الطلبة والحفاظ - أكرمهم الله - من يُقيم مُنادهم ، ويحفظ أعدادهم . والله يكرم مقصدهم ، ويجعل التقوى زادهم . وقد سألت بهم الاباطح ، وامتلات بمجموعهم المواهي الفسائح ، وأخذوا في النقلة على ما تحمله المذاهب وتحمله المناسك . وإن جموعهم - وفقهم الله وأكرمكم جميعاً بتقواه - لتكاثر الحصر ومُعَاد الربى ، وتملأ الفيطان والربى ؛ وسيصل منهم على تلکم الجهات ما يرد الطرف حسيراً ، ولا تنتهى إليه الخواطر والاذهان تحصيلًا وتقديرًا ، بحول الله تعالى وهو المستعان .

وكان ممن حضر لهذا المجتمع السعيد ، والخير الجديد ، والذكر المحفوظ بالتوفيق والتسديد ، الشيخ أبو سرحان مسعود بن سلطان بن زمام

- أَكْرَمَهُ اللهُ - فظهر منه في هذه المشاهد الكريمة ، والمذاكرات المباركة ، والمحاضر الشريفة ، التي هي كُلُّها من جملة أعمال الايمان ، وطاعات الرحمان ، من جميل الاقوال والافعال ، التي تَنِي عن صادق العزم في جميع الاحوال ، ما شُكِر فيه منابُه ، وصدق فيه احتسابُه ، ثُمَّ أَخَذَ كما أَخَذَ سائرُ الاشياخ من العَرَب في الرحيل بنفسه وأهله وولده وجملة من تعلَّق به ، واتَّصل بسببه ، من جماعته وقبيله وذوي نسبه ، ومن كان توقَّف بتوقُّفه وتأخَّر بتأخُّره ؛ وتقدَّم من ذلك تقدُّم الموفق السعيد ، والمبارك الرشيد ، وسار في الرعيل الاول مبادراً إلى السعادة ، مسارعاً إلى الامتثال والطاعة ، والجدُّ نصب عينيه واستبصاره ، والجهاد في سبيل الله شغل خواطره وأفكاره . وكلُّ من كان من هؤلاء العَرَب قد أساء الظنَّ بما ركب قبل من جرم ، واكتسب من إثم ، وتوقَّف على داعي الله وقد دعاه إلى ما يُحْيِيه على بصيرة وعلم ؛ فقد بادر الآن بالامتثال ، وفوّض للانتقال ، ورجا ان يختم عمله بالرباط في تلك الجزيرة محتسباً على الله بنفسه ، باذلاً في طاعة مولاه جهده ، مبايعاً بذلك ربّه حتّى يحو ما سلف ، ويستقبل من هذا الخير ما ائتنف ، ويستبشرون ببيعتهم التي بايعوا بها من لا يضيع أجر المؤمنين ، ويرى الله عملهم والمؤمنون ، ومن استخلفه الله على المؤمنين .

وليس يبقى بعد هذه الغزوة المؤيَّدة ، والنيّة المجرّدة ، بهذه البلاد كُلُّها من العرب من يتطلَّع بعدُ إلى استجلابه ، ولا يتشوّف إلى وصوله

إلى البلاد الغربيّة واقترباه ؛ فقد وعبوا في التخليّ عن هذه الاوطان ، وتركوها لمن كان فيها من القطّان ، سوى مَنْ سكن من قبائل سلّيم بجهات إطرابلس وما وراءها مشرقاً ومصحراً إلى بَرْقة والاسكندريّة . وقد وصل منهم قبل هذا جمعٌ ظاهرٌ من أشياخهم وأعيانهم وذو كروا فيما ذُكِرَتْ فيه قبائل رياح إخوانهم ، ووعدوا في ذلك بَعِدَات أعطوا فيها صَفَقَة أيمانهم ؛ وقد خوطبوا ، وكُوتِبوا ، وبُشِّروا ، وأنذروا ؛ وإن سمعهم النذير ، وكفاهم ما وعوه من التأنيس والتبشير ، والتخويف والتحذير ، ووفوا بما عاهدوا عليه الله ، فسَيُحْمَدون لِسَوَاهم ، ويلقَّون مشافهة بشراهم ، ويدخلون مدخل إخوانهم ، ويصلون جبل الله بأيمانهم ، ويفوزون بتصحیح عقائدهم وأديانهم ، ويزدادون بالجهاد في سبيل الله إيماناً مع إيمانهم ؛ وإلّا فمن وراءهم طالبٌ مُدْرِكٌ ، وآخذٌ من جند الله مُهْلِكٌ . ولعلّ الله سيُصلحهم ويهديهم ، ويعصمهم ممّا يرديهم ، ويحشرهم إلى مقام يطهر قلوبهم من سالف اعتدائهم وتعدّيهم ، بحول الله .

ولم يكن في هذه الحركة ، السعيدة المباركة - وفقكم الله - إلّا ما كان الآن من أمر العرب وكف أيديهم عن هذه البلاد ، وصرْفهم إلى ما استنفروا إليه من الجهاد ، وإجابتهم جميعاً بنفوس على الطاعة مقبلة ، ووجوهٍ يبشّر المتاب مهلّلة ، وقلوبٍ على الخير مصفّقة ، ونيّات على إجابة داعي الله متّفقة ، لكبرٍ بذلك دليلاً على أنّ هذا الامر العزيز لا ترتقى إلى فهمه العقول ، ولا تنتهى إليه الحواطر والظنون ، وأنّه مؤيّدٌ

من الله ، بنور ينور به قلب من وفقه لرضاه ، ويسره ليسراه . فقد كانت العرب أولاً وآخرأ لا تنقاد لقائد ، ولا تلين في يد قاهر ، ذهاباً بنفوسها وطاعة لأنفها ، واستكباراً على خالقها ، وإبابة عما تظنه أنه يضع من شرفها . فالآن قلوبهم الآن لهذا الامر العظيم ، حتى أَلَقَتْ إليه مقاليد التفويض والتسليم ، من الانهاء لرسوله - عليه أتم الصلاة والتسليم ، حتى ذَلَّتْ له صعابهم ، وخضعت له رقابهم ؛ فنصروا دين الله حتى استقر في نصابه ، وضربوا على الباطل والكفر من لم يأت الحق من بابه ، وانقادوا مع أمر الله ورسوله وكتابه . ثم ضربوا المبطلين على تأويله حتى دمغوا الباطل فزهق ، وأرهقوا عسراً من كان رهق . ورجوا أن الله يستشرح صدور هؤلاء بنور هذا الامر العزيز حتى ينصروه حديثاً كما نصروه قديماً ، ويتمموا بذلك شرفهم تيمناً ، ومن أوفي بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً .

وعجلنا إليكم - وفقكم الله وأكرمكم بتقواه - هذه البشرى ، لتعلموا أنكم لم تعموا عن الخواطر والافكار ، وأن جهاتكم لا يشغل عنها شيء من شواغل هذه الاقطار ، وأنكم معتمدون أبداً من العناية ، والرعاية ، بما يعود عليكم بتبليغ الاوطار ؛ فبشوها - وفقكم الله - في أصقاعكم ، واجعلوا حديثها في قلوبكم وأسماعكم ، واعقدوا بشكر الله على ما منح بها معاقداً يتركب واجتماعكم . والله يوليكم من رحمته ، ونعمته ، ما يمي به ملائكم ، ويكرم به متبوأكم ، بمنه ، لا رب غيره وهو حسبنا ونم الوكيل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب منتصف شهر شوال سنة ست وسبعين وخمسمائة .

الرسالة السابعة والعشرون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن محشرة المذكور :

من الامير يعقوب بن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين
- أيدهم الله بنصره ، وأمدّهم بمعونته - إلى الطلبة والموحدين والاشياخ
والاعيان والكافة بإغرناطة - أدام الله كرامتهم بتقواه ، وعرفهم
عوارف نعمه ورحمه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعدُ فإنّا نحمد إِيَكُم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على
آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيّه المصطفى ورسوله . والحمد لله الذي
حفظ بهذا الامر العظيم رباط الاسلام ونظامه ، وأحيى بإحيائه رفاته
ورُمامه ، ونصب للمستضيئين بأضوائه ، والمستبصرين في اتباع سننه
اللاحب واقتفائه ، أضواءه الهادية وأعلامه ، واستحفظ أمره العزيز في
الذابين عن حرمانه ، والناهضين بأعبائه وأمانته ، ملقياً إليهم مقاليدَه
وزمامه ، ومُظهرأ بهم مناهجه القويمة وأحكامه ، وجعل إمامتهم الحميدة ،
وإيالتهم المباركة السعيدة ، ملاذ الدين وقوامه ، وظهور الحق وانتظامه ،
وجبّ بتعاضدهم وتوازرهم ، وترافدهم على تمشية أمر الله تعالى
وتظاهرهم ، غارب الهرج وسنامه ، وعمر ببركة مساعيهم ، وسعادة
مآخذهم الموقفة ومناجيتهم ، ربوع الايمان وخيامه ، وضم نثره ونظم
الثامه ؛ والصلاة على محمد نبيّه المصطفى ، ورسوله الاكرم المجتبى ، الذي

﴿ للكتاب أبي الفضل بن مخشرة عن الامير يعقوب المنصور ﴾ ١٥٩

أطفأ الله به احتدام الكفر واضطرامه ، وأزاح بأنواره الباهرة غيب الشوك وظلامه ، وأعلى بخنيئة الحق منار الحق وعمامة ، وجعل بذارته المنجية ، وبثأرته المزلفة إلى الرضوان المذنية ، انقضاء إرساله تعالى واختتامه ، وكمال وحيه سبحانه إلى عباده وتمامه ، ضاعف الله له ولعترته الطيبين ، وصحابته الاكرمين ، صلواته الجمّة وسلامه ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، علم الهدى وإمامه الذي اختاره الله تعالى للهداية واعتماده ، وارتضاه لتجديد شريعة جدّه - عليه السلام - بعد الدثور وأقامه ، وشفى بعلومه الجليلة ، وبراهينه الواضحة القطعية ، أدواء الجهل وأسقامه ، وجلا بأضوائه الساطعة ، وتعليقاته الرافعة الشكوك القاطعة ، دياجير الحالكه وأظلامه ؛ وعن صاحبه وخليفته سيّدنا الامام أمير المؤمنين القائم من الانتهاض بأمر الله مقامه ، والمعمل في إعلاء كلمته وتمكين أمره الحق ودعوته شأنه وحسامه ، المجرد في الوفاء بعهوده ، وانتجاز بشاراته الصادقة ووعوده ، عزمه الكفيل بها واعتزامه ؛ والدعاء لسيّدنا ومولانا الامام أمير المؤمنين بن سيّدنا الخليفة أمير المؤمنين بنصر يسكب السعد غمامه ، ويجزل الجد إقسامه ، ويقتضي الفوز المسعد ، والفضل المعاون المنجد ، استمراره إلى قيام الساعة ودوامه .

وهذا كتابنا إليكم - أسمعكم الله من بشائر هذا الامر العزيز ما يملأ قلوبكم ارتياحا ، ويمر صدوركم انشراحا ، وأوسع أرجاءكم وأكنافكم انبساطاً في ظل الامنة وانفساحا - من حضرة إشبيلية - حرسها الله - ونحن

نستوهِبُ اللهَ عوناً على ما قلّدتنا من أمانته ، وإنهاضاً بما حملنا من نصر دينه وحمايته ، وإنجاداً على ما ننويه ونحاوله وندأبُ فيه من حفظ أمره ورعايته .
والذي نوصيكم به تقوى الله العظيم ، والعمل بطاعته ، والتوكُّلُ عليه وأن توقنوا بأنَّ هذا الامر السعيد محفوظُ المقام ، منصورُ الاعلام ، مسدّدُ النقص والابرار ، مقرونٌ بمقاصده اليمين والنجح على تعاقب الادوار وتناوب الايام ، وأنّه المصيب المنصور المفتوح له الذي لا يضره من عاندَه ولا من خذله مع تقادُمِ الاعصار وتطاوُلِ الاعوام ، بُشْرَى صادعة الدلائل ، وَيُسْرَى صادقة الخايل ، وأمرٌ محروسٌ لا يقدح فيه كيدٌ كائد ولا خذلٌ خاذل ، ولا يحلُّ عقوده المبرمة ، وروابطه المستحكمة على تقوى الله المنتظمة ، حدوثُ حادثٍ ونزولُ نازل ، حتّى ينجز الله له وعده الكريم في الاستيلاء على الاقرب والابعد ، والانتهاء من ذروة الكمال والتمام في مسماها الاعلى الاصعد ، وايداع أمانته العظيمة ، وعهوده الكريمة ، في الاقعد في الاختصاص فالاقعد ، إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، والحمد لله رب العالمين .

وإنّه - وفقكم الله وسدّدكم ، وأعانكم على اتباع أوامره وأنجدكم - لم تزل رغبات الموحدين - أعزّهم الله - وإخوانهم العرب - وفقّتهم الله - تترادف على سيّدنا أمير المؤمنين - أيدهم الله بنصره وأمدّهم بمعاونته - في إرقائنا لهذا المرقى وتقليدنا هذه الامانة العظمى ، والافضاء إلينا بأمره الاعزّ الاسمى ؛ فيقابلهم - أعلى الله أمره ، وأعزّ نصره - من وعده

الكريم بكمال مطلبهم وتمامه ، وآتساقه على مقتضى آمالهم وانتظامه ،
ويعرفهم بأن هذا الامر له وقت يرتقب لعقده فيه وإبرامه . ولما أذن الله
تعالى في دنوة الميقات المنتظر واقترباه ، وأراد سبحانه إنجاز وعده الكريم
لسائليه وطلابه ، وإقرار أمره العظيم في معدنه الحافظ له ونصابه ، ورجع
الموحدون - أعزهم الله - من غزوتهم المبرورة التي أعز الله بها المسلمين
وأدالهم ، وقع المشركين وأذالهم ، وكثرم بإحراز أجرها ، واستخزان
ذخرها ، حالهم ومآلهم ، وبلغهم من نكاية أعدائهم وتدويخ أكنافهم
وأرجائهم ، ما تجاوز أمانيتهم وآمالهم ، تعين الوقت الموعد ، وحضر
الزمن المرسوم له المحدود . وكان بحكم الاحتفال للغزوة المباركة ، وحرص
الكافة على اغتنام أجور المساهمة فيها والمشاركة ، أجمع من الموحدين
- أعانهم الله - ومن انضاف إليهم من الاجناد ، ومن كافة العرب وأعيان
أهل البلاد ، جمع كثير ، وحفل كبير ، يدخل فيما ارتبطوه عليه سائرهم ،
وتنظم فيما عقدوه جماعتهم الذين وراءهم وعشائرهم ؛ فعرف كافيتهم بما
تقدم فيه سؤال الموحدين والعرب - وفقهم الله - ورغباتهم ، وتكررت
في استنجاهه طلبائهم ، وقرعت باب استفتاحه بدائهم ، وانتهت إلى إثارة
واختياره نهاياتهم ، ووقفت عنده قصودهم الميمنة وغاياتهم . فكان منهم
من المبادرة إلى ذلك والاسراع ، والاعناق إلى إجابة داعيه والاهطاع ،
والتلقي لرايته المرفوعة بين الانقياد والانطباع ، ما قضى باستحكام الاصفاق

عليه من الكفّة والاجماع ، ورجبوا في إكمال ذلك لقورهم ، وألحوا في طلب المبايعة لحنهم ، واتفقت عليه آراء كافّتهم وجميعهم .

ولمّا تحقّق منهم خلوص الضمائر ، واستواء البواطن والظواهر ، واستحكام النّيّات فيه والبصائر ، أسعّفوا بمطلوبهم ، ومكّنوا من مرادهم ومحبوبهم ، وأحضروا لأخذ البيعة عليهم أفواجا ، وسلّكوا من الطاعة الصادقة سبلا فجّاجا ، واقتفوا في ذلك من آثار هذا الامر العظيم جواد قاصدة ومنهاجا . وبادر الأعيان من الموحّدين وغيرهم - وفق الله جميعهم - إلى البيعة وسارعوا ، وترادف الناس بعدهم وتتابعوا ، وأعطى الجميع صفقة أيديهم بإخلاص من سرائرهم وبايعوا ؛ والتزموا فروض البيعة بشروطها وقيودها ، ووقفوا عند رسومها المعلومة وحدودها ، وأمضوا على أنفسهم أحكام حقوق الطاعة الصحيحة وعهودها ، وارتضوها بنّيّات صادقة ، وعزائم إلى اغتنام الأجور مسابقة ، وضمائر لكل شوب وريب مبيّنة مفارقة . وبايعونا على ما بويع عليه الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، وخليفته سيّدنا الامام أمير المؤمنين - رضي الله عنهما - وسيّدنا الامام أمير المؤمنين بن سيّدنا الخليفة أمير المؤمنين - أيّده الله بنصره ، وأمدّه بمعاونته - من الايمان والامانة والعدل والعبادة ، والسمع في المنشط والمكروه والطاعة . وظهر على الكفّة من دلائل البشري ، ومخايل السرّة بهذه النعمة الكبرى ، وشكر الله تعالى على ما يسرهم له من اليسرى ، ما حقّق عند كلّ مؤمن ، وأوضح لدى كلّ مسلم موقن ، أنّ هذا الامر

﴿للكاتب أبي الفضل بن مخشرة عن الأمير يعقوب المنصور﴾ ١٦٣

السعيد ممكن له في الارض ، مخدوم الارادة في البسط والقبض ، منصور اللواء ، مؤيد على مر الاوقات والآناء ، إلى يوم الدين والعرض . واتصلت المباينة المذكورة اتصالاً استوعب كافة الموحدين ومن معهم من الاجناد ، وإخوانهم العرب وأعيان أهل البلاد - وفق الله جميعهم .

ورأينا - وبالله التوفيق - أن نعرفوكم بهذا الامر الاعظم الاخطر ، لتأخذوا منه بالحظ الاوفر ، وتنالوا حاجز خيره الانفس ومذخور أجره الاكبر ، وتدخلوا بالانتظام في سلكه مداخل طائفته المفلحة وحزبه المظفر ؛ فلتقوا وافده الاكرم ، بالقبول سماعاً وطاعة ، وانشروا نبأ الافخم ، في جهاتكم وجنباكم إشادة وإشاعة ، وخذوا عهده المؤكد الالزم ، على كافة أهل حواضركم وبواديكم فئة فقة وجماعة جماعة . واستمسكوا بعروته الوثقى وغرزه ، واعتصموا بكهفه الاوفى وحرزه ، واغتنموا الدعة والهدون في كنف أمنه الشامل وعزّه ، إن شاء الله وهو ولي توفيقكم وإرشادكم ، وإعانتكم على طاعته وإنجادكم ، بمنه .

أدام الله كرامتكم بتقواه - استدعت هذه الحالة التي عرفت بها أن يزداد في الخطبة الزيادة التي اشتمل عليها المدرج في طي هذا الكتاب ؛ فضعوها في موضعها منه ، واكتبوا بنسخها إلى جميع جهاتكم إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب في السابع من جمادى الأولى عام ثمانين وخمسمائة .

الرسالة الثامنة والعشرون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن مخشرة المذكور :
 من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أيدهم الله
 بنصره ، وأمدّهم بمعونته - إلى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان
 والكافة بإشبيلية - أدام الله توفيقهم وكرامتهم بتقواه ، وأعانهم على اتباع
 أمره والعمل بما يرضاه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعدُ فإننا نحمد إِيَكُم الله الذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، ونشكره على آلائه
 ونِعَمِهِ ، ونصلي على محمد نبيّه المصطفى ورسوله . والحمد لله الذي شيّد
 بهذا الامر العزيز منار الحق وبناءه ، وتدارك به زمن الإسلام بعد إشفائه
 على الزهاب وذمائه ، وحسم بأمره القائم بالعدل ، الناظم لأشتات الخير
 والفضل ، عللّ الاتّباس وأدواءه ، ووقف على مصالح الأُمّة وتفقّد ما
 يحفظ عليها نظام الدين والنعمة إعادته وإبداءه ؛ والصلاة على محمد نبيّه
 المصطفى ، ورسوله الأكرم المجتبى ، الذي أراح الله به ظلم الكفر وغناه ،
 ونشر في البسيطة أنوار دينه القيم وأضواءه ، ووعد وعُدّ الصدق استحواذ
 مُلْك أُمّته على ما زوي له من المشارق والمغارب واستيلائه ؛ والرضا عن
 الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، الذي رفع الله بظهوره عِلْم الشرع
 ولواءه ، ووفّى الكافة بعِلْمه الواضح ، وهديه المستقيم . الصالح ، مهاوي
 الجهل وأهواءه ، وجدّد به الإسلام بعد الانهاج والاخلاق بهاء الأول

ورواؤه ، وعن صاحبه وخليفته سيدنا الامام أمير المؤمنين المجتري في القيام بأمر الله إجراؤه ، والمُعمل في تمشية دعوته وتتميم بداءته صوارمه وآراءه ، والمخصوص من إحياء الدين وإرقائه مراقي التجديد والتمكين بما يسر له توصيله إلى غاية التمام والكمال وإنهاءه ؛ والدعاء لسيدنا الامام أمير المؤمنين ابن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين بنصر يقيم أعداءه ، وتأيد يصحب عزائمهم وأنهاءه ، وسعد يقتضي دوام أمره علياً ظاهراً إلى قيام الساعة وبقائه . وهذا كتابنا إليكم - كتب الله لكم من إرشاد هذا الامر العزيز ما يسلك سبل الاهتداء ، ويحملكم على محجة الحق السواء ويوضح لكم معالم الاقتداء ، بهدي السلف الصالح والائتساء - من حضرة مرآكش - حرسها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به والتوكل عليه ، وأن توقنوا بأن الله جعل هذا الامر العظيم منجاة من الزلال وعصمة ، ونعمة سابقة على الخلائق ورحمة ، وضياء مزيحاً لكل غيب من الشرك وظلمة ، وهداية آخذة عن النار بحجر الأئمة ، وأن الحق مقرون بعزماته ، والصلاح منتجع من إشاراته ، وخير الدنيا والآخرة متعرف من مقاصده المباركة وإراداته . وإلى ذلكم - وفقكم الله وأعانكم على اكتساب رضاه - فإن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزاً أغفلوا فيه الاجتهاد ، ورتعوا حول حماه رتعاً أوقعهم فيه أو كاد ، وتساحوا فيه تساحاً خرق المتعارف من المأذون فيه والمعتاد ، وحاول اتخاذه وبيعه من لا يتوقف على احترام ، ولا يتخوف بما يكتسب من آثام ، ولا يقف عند

قوله - عليه السلام : ما أسكر كثيره فله الكف منه حرام . ولم يزل الاشتداد في هذا الامر القائم بالحق ، الناظر في مصالح الخلق ، يتناولهم بأبلغ الزجر والقمع ، والاحتساب أبداً يتخوّلهم بآتم القهر والمنع ، والقتل في كل حين يأخذهم بأشد الكف والردع ، والحالة الذميمة يزداد بهم تماديها ، والعادة السيئة المنقومة تحجبهم عن الحقيقة باستمرار تواليها ، ويذهلهم استصحاب الاسترسال ، وتمادي الدهول عن الواجب والاغفال ، عن تدارك زلاتهم وتلافيتها . والذي أطلقه هذا الامر العزيز منه وأجاز فيه مباح البيع والشراء ، ما أنهى طبعه غاية الانهاء ، وصير جرمه في قوام الطلاء ، كما فعل عمر - رضي الله عنه - اقتداء بالخلفاء ، واهتداء بالائمة الصالحاء ، والصحابة البررة الاتقياء ، وأخذاً بقوله - صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم ! » اتباعاً لأمره - عليه السلام - واقتفاء ، ووقوفاً عند المراسم الشرعية وانتهاء ؛ فتعدى الناس ما حدّ لهم وتدرّجوا إلى ما يختاره الله ويرتضيه ، وارتكبوا من اللبس والشبهات في ظلم الاختلاط ودياجيه .

ولما تقرّر عندنا من الالتباس في ذلك ما تقرّر ، وتردّد على أسماينا ما استرسل فيه وتكرّر ، وعلمنا أنّ الذي وسع على الناس من اتّخاذه لم يتبين لهم الحق فيه على وجهه ولن يتحرّر ، وأنّ ذلك ممّا يصعب عليهم بسبب ما تساهلوا فيه ويتعذّر ، رأينا - والله المستعان - أنّ قطعَه بالكليّة أخلق بالاحتياط لدينهم وأجدر ؛ فمن المعصية ألاّ يجدوه ، ومن العون لهم

على تركه أن يعدموه ويفقدوه . فإذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله - عز وجل - فاقطعوه جملةً وتفصيلاً ، ولا توجدوا أحداً إلى بيعه سبيلاً ، واشتدوا في ذلك اشتداداً لا يوسع مستنمحا فيه صدوقاً عن هذا القصد الحميد ولا عدولاً ، وأخلوا الحوانيت التي كان يُباع فيها منه وأفقروها ، وأصرفوها لغير ذلك من المباحات وصَيروها ، والديارُ المعروفة ببيعه أيضاً لا تتركوها على ذلك ولا تقمروها ؛ وأريقوا ما تلقون من مشتبهِه وملتبسه ، وعاقبوا من تجدونه عنده أشدَّ عقوبة على دلسه ؛ وتتبعوا في ذلك أبلغ تتبع وأشدَّه ، ومن وجدتم عنده رائحةً منه كائناً من كان فأقيموا عليه ما رسمه الشرعُ في ذلك وحده ؛ وانظروا في تميم هذا الغرض الجامع بأصلحة الدين والدنيا أصحَّ نظر وأسدَّه ؛ وأشيدوا بذلك في جميع أرجائكم وجهاتكم ، وخاطبوا بنسخ كتابنا هذا سائر نواحيكم وجنابكم ، ومشؤوه بالجدِّ المستوفى ، والاجتهاد البالغ المستقصى ، بما ينفعكم الله به في حياتكم ، وبعد مماتكم . والله يوفقكم من ذلك لما يزلف عنده ، ويمتري عاجلاً وآجلاً إحسانه ورَفَدَه ، بمنه ؛ لا ربَّ غيره .

أدام الله كرامتكم بتقواه - تأمرون الغنمَ هنا لكم بدفع جميع ما تحصل في هذا العام من زكاة الفطر للشيخ الفقيه القاضي أبي المكارم - أكرمه الله بتقواه - يوزعه على الضعفاء والمساكين وفقاً بهم وتوسعةً عليهم ؛ فاعهدوا على ذلك إن شاء الله - عز وجل - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
كُتب عقب شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة .

الرسالة التاسعة والعشرون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن محشرة المذكور :
 من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أيدهم الله
 بنصره ، وأمدّهم بمعونته - إلى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان
 والكافة بإشييلة - أدام الله كرامتهم بتقواه ، وعرفهم عوارف رحماه
 وحسنه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فإننا نحمد إلكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه
 ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله . والحمد لله الذي هدم
 بهذا الامر العزيز أصول الباطل وفروعه ؛ وطمس بأعلامه الواضحة ، وآياته
 البينة اللاتحة ، رسوم الظلال وربوعه ؛ وهزم بأمره القاهر ، وحقه
 الغالب الظاهر ، أحزاب الشيطان وجُوعه ؛ ربدَّ دَجَّاعه الخيث وجُوعه ؛
 واستأصل صباية الكفر البائد كما استأصل يَنْبُوعه ؛ وألحق آخره بأوله ،
 وأصاره الى سوء مصيره ومويله ، مُبْدِئاً ذلّه وخضوعه ؛ مُمَزِّقاً بأيدي
 أوليائه المهتدين ، وأنصاره المؤيدين المسددين ، أديعه ومستيلاً نجيعة ؛
 وختم له في كل محاولة ، بعقبى الدار ، وعرفه في كل معاجلة ومطاوله ،
 عوائد الاعلاء والاظهار ، ممهداً له رحب نصره الاعم ووسيعه ، وممكناً
 في درج النماء ، ومراقى السمو والعلاء ، صعوده وطلوعه ؛ وجعل المصيب
 المنصور المفتوح له مواليه ومطيعه ؛ ووالاه من نصره الاغر وفتحه

الاعلى الابّر؁ جلىله جلىله وبديعه فبديعه؁ وأجرى عوائده الكريمة له على إدلأها؁ وأمرها قبله على أطرادها وأتصالها؁ مكملأ لديه عوارفه ومتمأ صنيعه؁ والصلوة على محمد نبيه المصطفى؁ ورسوله الاكرم المجتبى؁ الذي شئت الله به منظوم شمل الكفر ومجموعه؁ وختم نبوته الخاتمة؁ وشريعته الدائمة؁ رسالته المتقدمة وسروعه؁ وألزم الاحمر والاسود مسنون دينه القيم ومشروعه؁ وجعله وسيلأ له يوم المحشر وشفيعه؁ والرضا عن الامام المعصوم؁ المهدي المعلوم؁ الذي لأم به شعث الاسلام وصدوعه؁ وأبان بهدياته المنقذة من الضلال؁ وإيأله الواضعة الاضر عن الامامة والاغلأل؁ محجوب علم الحقائق وممنوعه؁ وقدر عود الاسلام بدعوته؁ على ما كان عليه في بدأته؁ ورجوعه؁ وعن صاحبه وخليفته سيدنا الامام أمير المؤمنين الذي حالف في القيام بأمر الله سهاده ونافر هجوعه؁ واستلان في جهاد أعدائه؁ وتبليغ أمره العزيز إلى علىة تميمه وإنهائه؁ خشن مستصعبه واستعذب فظيعة؁ وناضل في إعلاء كلمته؁ وتمشية حقه ودعوته؁ حتى هد مشيد الضلال واستباح منيعه؁ والدعاء لسيدنا ومولانا الامام أمير المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين بنصر يوالي له سبحانه موصوله ومشفوعه؁ وسعد يمكن من ملكته؁ ويضع في قبضة قهره وغلبته؁ مناويه وخليعه؁ ويجعل من عاند أمره؁ وخالف في طاعته سره وجهره؁ مجدأ سيفه المالحق ومصروعه؁ ويعرفه من تأييده؁ وتسديده؁ كريمه فكريمه ورفيعة فرفيعة .

وهذا كتابنا إليكم - كتب الله لكم تعرف المسرات والبشائر ،
وأولاكم من فضله وطوبه كل من ظاهر وأمن غامر ، وآواكم من عدل
هذا الامر العظيم ورفقه إلى الركن الارشد والظل الساتر - من حضرة
مرآكش - حرسها الله - ونحن نحمدُ الله تعالى على نعمه التي لا يحصها
العد ، وقسمه التي لا يحيط بها الرسم والجد ، ويقصر في العبارة عنها كل
قول وإن يبلغ فيه المنهى وبذل الجهد ، ونسأله سبحانه توفيقاً إلى القيام
بشكرها يؤتيه التسديد والمضد ، وعوناً على توفيقه الواجب من حقها
يمتري به المزيد من فضله ويستنجز الوعد . والذي نوصيكم به تقوى الله
تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه .

وقد علمتم - وفقكم الله وسددكم ، وأهداكم إلى مصالحكم وأرشدكم ،
وأعانكم على الاعتصام بعروة الطاعة الوثقى وأنجدكم - ما كانت عليه حالة
الكافر الفادر ، اللعين الخائن الخاسر ، بقيّة الخثالة الغاوية وسُور الكفر
الدائر ، شقي ميورقة - لعنه الله - من الانكماش في جزيرته ، والمصانعة
بمخلص علانيته في الطاعة وسريته ، والمغالطة بانعقاد عقيدته عن المشايعة
والموالاتة واستحكام بصيرته ؛ وهو منطو على العداوة لله ورسوله ، ومتنكب
طريق الحق وسواء سبيله ، ومستسرّ بصدوده عن الجادة الواضحة
وعدوله ، مُبرأ للجُسُر في الارتغاء ، مترصدٌ لابتداء ، ما يمكنه من طلب
للفتنة وابتغاء ، متربصٌ لدائرة السوء العائدة عليه فيما رامه من عناد
وانتزاء ، إلى أن استشار شفرة حتفه ، وبحث عن هلكه بظلفه ، وتورط

فيا أحاط به مكره السي من عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه ، وكفر بأنهم
الله فذاق لباس جوعه وخوفه ، ورام السمو إلى منال حكم الله برده
خاسيئاً وصرفه ؛ وتلك عادة الله الكريمة فيمن حاد أمره الذي اجتباه ،
لاحياء دينه ، وارتنضاه ، لتمهيد شرعه وتمكينه ، وحياه ، من نصره المؤزر ،
وفتحة الميسر ، بغزيره ومبينه ؛ فلا ينبذ لما بذته ناجم ولا يعزم على مقاطعته
إلا اكتنفته المعاطب من شماله ويمينه ؛ صنع من الله تعالى جميل أجرى به
عوائده الجميلة له على أطرادها ، وأدامها على متعرفها الكريم ومعتادها ،
وأظهر في كل متناول ، ومقصد مزاول ومحاول ، تضاعف نموها
وازدادها ، والحمد لله على مننه الذي لا يفي الوسع بإحصائها وتعدادها .
ولما عنت للفاسق الفرصة ، اغتم بزعمه انتهازها ، ولما مكنته
الفرّة ، حاول برأيه البائس اقتناصها واحتيازها ، وتطلب من أمانيه
الكاذبة ، وأراجيه الخائبة ، تأتيتها وانتجازها ؛ فكذب الله آماله ، وقلص
أفياه القاصرة وظلاله ، وقدّر في سعيه الخاسر ، تلاشي أمره الدائر ،
واضحلاله ؛ فداخل أوباشاً ممن كان ببجاية ممن رق دينه ، وضعف إيمانه
ويقينه ، وزان على قلبه شيطانه المضلّ وقرينه ؛ فيسروا له تمهد صهواتها ،
وأعانوه على تشتم ذروتها ، ووصلوا بسببه الضعيف أسباب قهرها
وغلبتها . ولما قرّ فيها قراره ، وانتشر بها فساقه وفجّاره ، ووضح له من
أمله الكذوب في تملكها صبحه ونهاره ، تعاوت إليه ذئاب الغارة
وكلابها ، واتصلت به أوغاد الفتنة وأوشابها ، وتجمّع له من أشباهه في

الجهالة ، وأعوانه في الضلالة ، أوزاعٌ تمكّنت بهم أسباب غرّته وامتدّت
أطنابُها ؛ فقوي طمعه في الاستيلاء على ذواتها ، وسوّلت له نفسه الحبشة
الاستحواذ على جهاتها ، والتمكّن من أرجائها وجنّاتها ، وامتدّت أطماعُ
الكافر وآماله ، وغرّه إملاء الله تعالى وإمهاله ، وغطّى على بصيرته العمياء
جهله وضلاله ؛ فتطوّف على الجزائر ومليانة وأشير والقلعة وكرّ منها
إلى بجاية ، وآب الخاسر الكافر وقد خاض هذه الجهات خوض المذلّ ،
واستباح حرمة أهلها ، استباحة المستحلّ ، وعركها عرك الرّحى بثفالها ،
دون مراقبة ذمّة فيهم ولا إلّ ، يأخذ أموالهم بغير حقّها ، ويصرّفها في
غير مستوجبها ومستحقّها ، ويحملهم من كلف المغارم ، ومون الملازم ،
ما لا طاقة لهم بحملها وأوقها ، ينمضي أحكام الجور فيهم ، ويبسط أشياعه
الآخسرون إليهم أيدي تطاولهم وتمدّتهم ، ويسومهم العسف والخسف
يرأوهم ويغاديتهم ، راكباً رأسه في الاغترار ، منخدعاً بما أملي له من مدّة
الانجرار ، غافلاً عن قوله سبحانه : « وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارُ » .
ولمّا استفزّه بما تهيأ له ببجاية وجهاته الغربيّة طمعه ، واستجرّه
حرصه المؤذي وجشعه ، ووعدته التملّك لأقطارها ، والاستيلاء على
بواديها وأمصارها ، ظنّوه الخائبة وخدّعه ، قصد إلى قسنطينة - كلاًها
الله - مؤملاً اختداع أهلها ، ومقدّراً نفوذ حيله في خترها وختلها ،
ومعملاً جهده ، ومصرفاً مكره وكيدّه ، فيما يصل حبله الواهي بحبلها ؛
فألقي بضائر أهلها مستحكمة ، وعقائدهم على التقوى منبرمة ، وقلوبهم

على الطاعة الصحيحة ، والموالة الخالصة الصريحة ، مُلتئمة مُنتظمة .
فخاب بحمد الله سعيه ، وقال رأيُه ، وبدا لأوليائه الأذلين فضيحتُه عليها
وخزيه ؛ فداوم حصرها لزاما ، واستمطر من مساعيه المحققة في خدعتها
جهاما ، وفي كل ذلك يُذيقُه أهلُها - أعانهم الله - جهاما ، ويجرعونه من
المذلة والاهانة كأسا رؤاما ، ويقتلون من شردمته القليلة ، وجماعته القليلة ،
الجل الجمّة فرادى وتواما . وألحّ في الإقامة عليها راضيا بصفقة خساره ،
مُدّرعا أثواب ذلّه وصغاره ، متسرّبا سراويل عاره وشناره ، محتَمِلا لما
نالَه من فلّ غرب أرذاله الاخسرين وأغماره .

وكنّا - وفقكم الله ويسرّكم لما يرضاه - عند ما أنهي إلينا أمرُه ،
وتقرّر لدنينا خدعته ببجاية وغدره ، نظرنا في إغاثة المسلمين الذي تحمّك
فيهم جورُه ، واستطال عليهم قهرُه وقسرُه ، وأخذنا في ذلك بواجب
الاجتهاد ، من التأهب والاستعداد ، والنظر في كل ما يتمكّن به أسباب
الجهاد ، متيقّنين أنّ الله تعالى لمن حادّ أمره وعند عن سبيله بالمرصاد ،
وأنّ معونته الرّبّانيّة ، وتيسيراته الالاهيّة ، تغني عن العدد والاعداد ،
وتقوم مقام الكتائب والاجناد ؛ لكنّا أخذنا في ذلك بمتعّين الحزم جريا
على المعتاد ، واثقين بعون الله وتأييده ، مستنجزين لصادق وعوده ،
متوكلين عليه سبحانه في قريب التناول وبعيده ، متطلبين منه سبحانه
عوائد توفيقه وتسديده ؛ فوجّهنا من الطلبة - أعانهم الله - من نظر في
أمر الأسطول المبارك وإعداده ، وتهيّته بما يصلحه من عدده وأعداده ؛

وَأَمَرْنَاهُمْ بِالْإِنْخِفَازِ فِي ذَلِكَ فِي أَقْرَبِ مَا يُمْكِنُ مِنْ أَوْقَاتِ الزَّمَانِ وَأَمَادِهِ ،
وَجَرَدْنَا مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - عَسْكَرًا مَنْصُورًا ، وَجَمْعًا مَبَارَكًا
مَوْفُورًا ، وَقَدَّمْنَا عَلَيْهِمُ مِنَ الطَّلَبَةِ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - مَنْ أَنْهَضْنَاهُ لِتَدْبِيرِهِ ،
وَعَصَبْنَا بِهِ النَّظَرَ فِي أُمُورِهِ ، وَوَصَّيْنَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلِيلِ أَمْرٍ
وَكَثِيرِهِ ، وَأَمَرْنَاهُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَرَامِ السُّنَّةِ وَحُدُودِهَا ، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى
رَوَابِطِهَا الْمُحْكَمَةِ وَعَهْودِهَا ، وَالتَّقِيدِ بِأَحْكَامِ السِّيَاسَةِ الْمَصْلُحَةِ وَقِيُودِهَا ،
وَأَنْ يَبْذُلُوا الْأَمَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ الْجِهَاتِ حَاضِرِهِمْ وَبَادِيِهِمْ ، وَيَقْدُمُوا
الْإِنْذَارَ وَالْإِعْذَارَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَيَشِيدُوا بِهَا إِشَادَةً يَتَسَاوَى فِي الْعِلْمِ بِهَا
قَاصِيهِمْ وَدَانِيَهُمْ ، إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَأَخْذًا بِالْعَدْلِ وَالرَّفْقِ فِيهِمْ ؛ فَنُفِّذُوا
عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَبِعَمَلِهِ ، وَتَوْفِيقِهِ وَعَوْنِهِ ، وَنَصْرُ اللَّهِ تَعَالَى يَمْضِدُهُمْ ، وَعَوْنُهُ
سَبْجَانُهُ يَنْجِدُهُمْ ، وَتَوْفِيقُهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - يَسُدُّهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ ، وَغَايِلُ
الْتِيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ تَبْشِّرُهُمْ بِنَجَاحِ قَصْدِهِمْ وَتَعْدُهُمْ .

وَفِي خِلَالِ هَذِهِ الْمَحَاوِلَاتِ ، وَأَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَأْخِذِ السَّعِيدَةِ وَالْمَوَالَاتِ ،
طَالَ الْأَمَدُ عَلَى الشَّقِيِّ فَازْدَادَ تَهَوُّرًا وَخَبَالًا ، وَجَهْلًا مَا أَوْقَعَتْهُ الشَّقْوَةُ
فِيهِ أَمَلًا ، لِيَزْدَادَ إِثْمًا وَإِمْهَالًا ؛ فَطَلَبَ الطَّمَنَ وَحَدَهُ وَالْجِهَادَ ، وَطَفِقَ
يَتَحَلَّلُ الْقُرَى وَالْبِلَادَ ، وَيَجُوسُ الرَّبِّيَّ وَالْوَهَادَ ، وَيَعْمُ بِظُلْمِهِ الْبَلَاءَ
وَالْعَنَادَ ، جَزَاءً عَلَى اللَّهِ وَكَفْرًا بِهِ ، وَجُزْيًا عَلَى عَادَتِهِ فِي الْجَوْرِ وَمَذْهَبِهِ ،
وَضَنًّا كَذُوبًا دَلَالًا بِالْفُرُورِ فِي مَطْلَبِهِ . وَكَانَ مِنْ صَنَعِ اللَّهِ لَا أَمْرَهُ الْعَزِيزِ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَفَتْحِهِ الَّذِي لَا يَمْتَرِي إِلَى الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَلَا يَنْتَسِبُ ،

ونصره العزيز الذي لا ينال بمَحْزُول ولا قُوَّة ولا يكتسب ، أن ألقى على قسطنطينة - كلاًها الله - عصا تسياره ، ولجَّ في مضايقته لها وحصاره ، وأطاع في الطمع في مغالبتها أمَّ مُغْريه المُضِلَّ وغرَّاره ، وشغل بها عما كان يستروح إليه من هربه إلى جزيرته المُستباحة وقراره ، حتَّى دهمه أمرُ الله الذي لا ينجو منه هارب ، ولا يَعُزُّه مغالب ، وهو مستغرقٌ في سنة غفلته واغتراره ، باقياً عليها طولَ ليله ونهاره .

واستمرَّ الموحِّدون - أعزَّهم الله - على سيرهم المبرور ، وسعَّيهم الصالح المشكور ، وقصدهم الموقوف على رضا الله تعالى المنصور ، إلى أن وصلوا مليانة أوَّلَ البلاد الشرقيَّة ؛ فألقى أهلها وقبائلها إليهم بالمقاليذ ، ولاذوا بالاعتصام بهذا الامر السعيد ، وتبرَّؤوا إلى الله تعالى من الفرقة الفويَّة والشيطان المريد ، وألَّظُّوا بالمتاب والاستغفار ، واستمطروا من سحب الغفو والاقالة كلَّ مدار ، واعتذروا أنَّهم كانوا في قبضة القهر وربقة الاسار ؛ فقبلوا متابهم ، ووصلوا بأسباب الصفح والقبول أسبابهم ، وخضُّوهم من لزوم جادَّة النجاة ، والتزام الطاعة الصحيحة والموالاتة ، على ما يُصلح حالهم ، ويُسعد مآلهم . وفرَّ الاشقياء الذين كانوا بها على وجوههم ، وساروا مُنْجَرِّين إلى مصارع حتوفهم ؛ فقتَلهم القبائل الذين على طريقهم بكلِّ سبيل ، وأتوا الموحِّدين - أعزَّهم الله - بمن آخره الحينُ منهم في ربة الاسار الخاضع الذليل ، ولم يفلت أحدٌ من عددهم التافه الحقير القليل . واقتدى الرعايا - وفقَّهم الله - بهذا الفعل السديد ،

وَأَشْعَرُوا كُلَّ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ شَعَارَ التَّثْقِيفِ وَالتَّصْفِيدِ ،
وَجَاؤُوا بِهِمْ إِلَى الْمَوْحِدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - مَقُودِينَ بِأَزِمَّةِ الْمَهَانَةِ ، مَسُوقِينَ
بِنَسْوَعِ الْمَذَلَّةِ وَالْإِسْكَانَةِ .

وَكَانَ طَلَبَةُ الْأُسْطُولِ الْمُظْفَرِّ اجْتَمَعُوا بِالْمَوْحِدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ -
بِتَلْهِسَانٍ - كَلَامِهَا اللَّهُ - وَرَسَمُوا لَهُمْ أَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعُهُمْ بِالْجَزَائِرِ - كَلَامِهَا
اللَّهُ ؛ فَسَبَقَتْ الْأَسَاطِيلُ الْمُؤَيَّدَةُ إِلَيْهَا ، وَأَطْلَلَتْ بِبَرَكَاتِ اللَّهِ وَبِعَيْنِ هَذَا
الْأَمْرِ الْعَزِيزِ عَلَيْهَا ؛ فَتَيَسَّرَ لَهُمْ مَرَامُهَا ، وَانْفَرَجَ لِلْحَيْنِ إِهْبَامُهَا ، وَتَجَلَّى
بِأَنْوَارِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْعَلِيَّةِ غَنِيْبُهَا الدَّاجِي وَظِلَامُهَا ؛ وَبَادَرَ أَهْلُهَا إِلَى فَتْحِ
أَبْوَابِهَا ، وَالْقَبْضِ عَلَى مَنْ أَمَكْنَهُمْ مِمَّنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَوْبَاشِ الضَّلَالَةِ
وَأَوْشَابِهَا ، وَبَانَ لِلشَّرْذِمَةِ اللَّاعِنَةِ سُوءُ مَصِيرِهَا وَمَآبِهَا . وَكَانَ مِمَّنْ حَصَلَ فِي
ثِقَافِ الْقَهْرِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ عُنُقِهِ الذَّلِيلَةِ رِبْقَةُ الْأَسْرِ ، ابْنُ عَمِّ الشَّقِيِّ
الْفُؤْيِيِّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ شَيَاطِينِهِ الرَّجَاءِ ، وَجَمَلَةٌ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِهِ الزُّعَمَاءِ
- مَكَّنَ اللَّهُ مِنْ كَافَّتِهِمْ ، وَمَنْ بَاسْتِئْصَالِ شَافَتِهِمْ ، بِمَنِّهِ .

وَعَرَّفَهُمْ أَشْيَاخُ الْجَزَائِرِ وَأَعْيَانُهَا أَنَّ الْأَشْقِيَاءَ الَّذِينَ بِبِجَايَةِ عَازِمُونَ
عَلَى الْبُعْثَةِ بِالْمَوْحِدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - الَّذِينَ عِنْدَهُمْ إِلَى مَيُورَقَةِ - فَتَحَهَا
اللَّهُ - فَسَارِعُوا بِالتَّوَجُّهِ نَحْوَهَا خَوْفًا مِمَّا ذُكِرَ لَهُمْ ، وَمِبَادِرَةً أَنْ يَتِمَّ
الْأَشْقِيَاءُ فِي ذَلِكَ أَمَلَهُمْ ، وَيَعْمَلُوا مَكَائِدَهُمْ فِيهِ وَحِيلَهُمْ ؛ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهَا
أَلْفَوْا أَخُوِي الشَّقِيِّ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا قَدْ أَخَذُوا فِيهَا ظَهْرَ لَهَا بِالْإِجْتِهَادِ ، وَبِالْعَاقِبَةِ
فِي الْإِحْتِيَاطِ وَالْإِسْتِعْدَادِ ؛ فَضَرْبًا أَخْبَيْتَهُمَا بِخَارِجِهَا ، وَرَتَّبًا رَتَّبَهُمَا عَلَى

مواجهتها ، وكتبها كتابها القليلة أثناء أنقائها ومدارجها . وهيأت أن يعصم من أمر الله عاصم ، أو يروم مغالبتها راثم ، أو يعازره معاز أو يقاومه مقاوم ؛ فهو أمر الله المنجد على كل محارب ، المظهر على كل مطالب ومغال ، الموعود بالاستيلاء على ما روي لنبينا - عليه السلام - من المشارق والمغارب . فلما قرب الأسطول المبارك منها تقدّم من طلبته - وفقهم الله - الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي إسحاق - أكرمه الله - فخطب أهل البلد - وفقهم الله - بما بسط نفوسهم ، ومكّن تأسيسهم ، وعرفهم بالغرض الجميل فيهم ، وما كان من بذل الأمان لجمعهم ؛ ورسم لهم أن يدخلوا ديارهم ، ويظهروا في الطاعة آثارهم ؛ فتأبّت إليهم بصائرهم ، واستحكمت على التقوى نياتهم وسرائرهم ، وخلصت في الإيمان والايقان طويّاتهم وضمايرهم ، وألقوا بيد المستسلم المبادر ، وناذبوا الأشقياء الميؤرقين منابذة المباعد المنافر ، وتبرّؤوا إلى الله تعالى وإلى أولياء أمره العزيز من موالاته أمره الغادر الكافر .

وكانت للكفر بجاية شوكة اغترّوا بها ، وخونيلة تحيلوا التمويه على الغزاة - أنجدهم الله - بسببها ؛ فبرز الغزاة - أعانهم الله - إليهم ، واستعانوا بالله سبحانه عليهم ، وناشبوهم القتال أشدّ مناشبة ، ودافعوهم بأنهم المدافعة والمحاربة ، وصدّقوا الله تعالى فيما قابلهم به من مطاعنة ومضاربة ؛ فوالى الفسقة عليهم الدفعات ، وواتروا الحملات الصادقة والشدات ؛ فكان أولياء الله صبراء أنجادا ، كراما عند اللقاء مجادا ، فصدّ قوهم المسكافة

قِرَاعاً وَجِلَاداً ، وَاحْتَسِبُوا جِهَادَهُمْ ذَخِراً عِنْدَ اللَّهِ وَعِتَاداً ؛ فَنَصَرَ اللَّهُ نَاصِرَهُ ، وَقَطَعَ أَوَاخِي الْكُفْرِ وَأَوَاصِرَهُ ؛ وَانْهَزَمَ الْأَشْقِيَاءُ - أَخَابَهُمُ اللَّهُ - لَا يَلُودُونَ عَلَى مَنْ تَأَخَّرَ ، وَلَا يَأْوُونَ لِمَنْ تَعَذَّرَ ، وَلَا يَرْثُونَ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ سِيرِهِمُ الْحَبِيثُ أَوْ قَصْرٌ ، يَرُومُونَ لِلْحَاقِ بِغَوِيَّتِهِمْ ، وَيَأْمَلُونَ الْاجْتِمَاعَ بِشَقِيَّتِهِمْ . وَكَانَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ اللَّثِيمَةُ ، وَالشَّرْذِمَةُ الذَّمِيمَةُ ، أَخْوَا الْفَاسِقِ الْمَذْكُورَانِ ؛ فَقَرَّأَ فِيمَنْ فَرَّ مِنْ أَغْوِيَاءِهِمْ ، وَطَارَا عَلَى وُجُوهِهِمْ مَعَ مَنْ انْهَزَمَ مِنْ أَوْلِيَائِهِمُ الْكُفْرَةَ الْفَجْرَةَ وَأَشْقِيَاءَهُمْ ، وَاللَّهُ يَسْتَأْصِلُ جَمِيعَهُمْ ، وَيَمْحُو بِأَسْيَافِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ تَابِعَهُمْ وَمَتَبِعَهُمْ ، بِمَنْهَ .

وَبَادِرِ الْغُزَاةِ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ - إِلَى الْبَلَدِ فَدَخَلُوهُ ، وَاحْتَوُوا عَلَى مَنْ بَقِيَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرَةِ وَتَمَلَّكُوهُ ، دُونَ عَهْدٍ يَمْنَعُ مِنْهُمْ ، وَلَا عَقْدٍ يَحْجُرُ عَنْهُمْ ، وَسَارِعُوا إِلَى الطَّلَبَةِ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - وَالْمُوحِدِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ - وَفَقَّهُمُ اللَّهُ - فَأَلْفَوْهُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِ السَّلَامَةِ ، مُتَعَرِّفِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ نِعْمَةٍ وَكِرَامَةٍ ، مَخْوَلِينَ مِنْ عَوْنِهِ وَصُونِهِ كُلَّ عَصَةِ مُسْتَصْحَبَةٍ وَكَلَاءَةٍ مُسْتَدَامَةٍ ، وَحَصَلَ فِي أَيْدِي الْمُوحِدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - بِبِجَايَةِ الضَّالِّ الْغَوِيِّ الْمُسَمَّى رَشِيداً عَظِيماً الْأَشْقِيَاءَ وَمَدِيرُ أَمْرِهِمْ ، وَزَعِيمُ طُغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، وَمَوْقِدُ نَارِ فِتْنَتِهِمْ وَشَرِّهِمْ . وَأَلْفَوْا أَسْطُولَ الْخَائِنِ بِجَمْلَتِهِ ، بِجَمِيعِ مَا كَانَ تَأَهَّبَ لَهُ مِنْ أَهْبَةٍ وَعُدَّةٍ ؛ فَفَلَّهُ اللَّهُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَضَاعَفَ قَبْلَهُمْ بِذَلِكَ نِعْمَاءَهُ ، وَعَرَّفَهُمْ مَزِيدَ فَضْلِهِ عِنْدَهُمْ وَنِعْمَاءَهُ .

وَلَمَّا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُمُ اسْتِعَادَةَ بِجَايَةِ وَفَتْحَهَا ، وَأَطْلَعَ تَعَالَى بِأَنْوَارِ هَذَا

الامر العزيز فجرها وصبحها ، بادروا بإعلام الطلبة الغزاة - أعزهم الله -
بهذا النبأ السار ، واستعجلوا بتعريفهم بما منح الله فيه من البشر والसार ؛
فلقيتهم مخاطبتهم بذلك وقد انتهوا إلى أوائل متيجة - مهدها الله -
فطأروا إلينا بخطابهم المذكور ، وأردفوه بكتابهم معلمين بما لقوه في
محاولتهم من التبشير واليسير ، وأوضحوا فيه ما عرّفناكم به من صنع الله
وتسهيله ، وما سناه سبحانه من كريم الفتح وجليله ، ووالاه - جلت قدرته -
من متابع منه وموصوله .

وبقي الحائن الخاسر بجهة قسنطينة - حاطها الله - مسلوباً محروبا ،
مفلولاً منكوبا ، قد أوبقته ذنوبه وجرائره ، وخذله معينه وناصره ،
وأسلمته إلى الحزن المتاح ، والموت المستأصل المحتاح ، أقاربه وعشائره ،
وانبهمت عليه - خزاه الله - أوائل أمدده الدائر وأواخره . وكان قد
أمكن الله منه أسيراً أو قتيلاً ، إذ لا يجد إلى مفر سبيلا ، ولا يستطيع إلى
نجاة تسبباً ووصولاً ؛ والله يعجل به إلى ما أعد له من عذابه ، ويصليه أليم
نكاله وعقابه ، يمينه وكرمه .

وعرّفناكم - أكرمكم الله - بهذه البشائر ، والصنع الكريم الباهر ،
والفتح المتناصر المتظاهر ، لتأخذوا من المسرة فيه بأوفى نصيب ، وتفيضوا
في شكر موليه سبحانه بسهم مصيب ، وتوالوا حمده تعالى على ما أرى
الاعداء من هول ماحق ويوم عصيب . فاستديموا النعمة في ذلك بشكرها ،
ووقفوها واجب التحدث بها ونشرها ، وأشيدوا بها في أرجائكم وأنظاركم ،

وخاطبوا بنسخها إلى بواديكم وأقطارهم ، واستشعروا حمد الله تعالى وشكره في إعلانكم وإسراركم ، ومهدوا بالانقياد لأمر الله تعالى مهّد استيطانكم في ظلّ أمانته وقراركم ؛ والله يوفّقكم من ذلك إلّا يقتضي نجاح إيرادكم وإصداركم ، بمنّه وكرمه ، لا ربّ غيره . والسلام العميم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب في الخامس من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

الرسالة الثلاثون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن محشرة المذكور :
من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أيّدهم الله بنصره ، وأمدّهم بمعونته - إلى الطلبة والموحّدين والاشياخ والكافة بمراكش - أدام الله توفيقهم وكرامتهم بتقواه ، وأوزعهم شكراً يكون كفاء لمن به وأولاه ، وأمتع أسماعكم بمبهجات مسرّات هذا الامر العزيز وبشراه - سلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أمّا بعدُ فإنّا نحمد إِيَكُم الله الذي لا إله إلّا هو ، ونشكره على آلائه ونِعَمه ، ونصلي على سيّدنا محمّد نبيّه المصطفى ورسوله . والحمد لله الذي صدق وعودَه ، ونصر أوليائه وعبيدَه ؛ وأعزّ أنصار الحقّ وجنودَه ؛ وأخزى لعزّة أمره القاهر ، وحزبه المفلح الظاهر ، عدوّ الباطل وعديدَه ؛ وسنّى لأمره العظيم ، من فتحه العميم ، ومنحه الجسيم ، قشيب صنعه

الكريم ، وجديده ؛ وقرن بالتأييد والظفر ، والعون المصاحب والنصر المؤزر ، عزائم وقصوده ؛ وعرفه في كل محاولة ، وأثناء ما يزيغه من مبادرة ومطاوله ، متعالم تيسيره ومعهوده ؛ وكتب يبطشته المبيدة ، وغلبة دعوته المبدئية في نصره الدين المعيدة ، مناويه وعنده ؛ وخضد بما أولاه من إعلاء ، وآتاه من بسطة واستيلاء ، شوكة معانده وأعدم وجوده ؛ وأصلاه في أولاه وأخراه عذاباً ضرماً له وقوده ، وأعد له في سواء الجحيم ، أليم عقابه العظيم ، وشديده ؛ وصيره عبرة للمعتبرين ، وعظة للمدكرين المستبصرين ، يستفيق بها من رام إنكار هذا الامر العزيز وجوده ، ويقوم برهاناً قاطعاً على عناية الله به ، وصلته أسباب التأييد والتمكين بسببه ، فيكفي ترديد المقال فيه وتعديده ؛ ويستيقن المؤمنون الموفقون أن الله تعالى قد أثار سموده ، وأعلى مقاماته وحدوده ، وضاعف لديه طارف إظهاره وتليده ، وقدّر بقاءه منصوراً مظفراً إلى قيام الساعة وخلوده ؛ والصلاة على محمد نبيه المصطفى ، ورسوله الأكرم المجتبي ، الذي أظهر الله برسالته الخيفة تنزيهه وتوحيده ؛ وعرف الكافة بنبوته العامة تقديسه وتمجيده ؛ وخصه بأن يشفعه في المحشر ، ويبعثه يوم العرض الأكبر ، شريف المقام ومحموده ؛ وعمّ بجلته الرافعة للذل ، ودعوته الناسخة للشرائع والنحل ، أبيض البشر وأسوده ، وسيده ومسوده ؛ وعمر بوجوبها وإلزامها ، واطرادها إلى يوم الدين وانتظامها ، تهائم العالم ونجوده ؛ ووعدده وعده الحق بلوغ ملك أمته رواي المعبور المروي له ووهوده ؛ والرضا عن

الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، الذي أقام الله بنوره منار الاسلام وعموده ؛ وجعله محيى شرعه القديم ومُعيدَه ، ومأحيى الظلال ومُبيدَه ، ومُنيل الدين الحق وجوده الاتمّ ومُفيدَه ؛ وقضى أن تظهر دعوتُه العليّة ، وكلمته الهادية المهديّة ، تشريد الباطل وتبديده ، وإعادة الاسلام بعد غربته الثانية وتجريده ؛ وعن خليفته الارضى ، وصاحبه الاتقى الاهدى ، سيّدنا أمير المؤمنين الذي أورثه الله خلافته وعهودَه ؛ واختاره لأن يتمّ تقعيد أمره العليّ وتمهيدَه ؛ فاقتنى آثاره الكريمة وحدوده ، ونهض بأمر الله باذلاً في تمشية حدّه وبالنفا في نصرته مجهوده ، حتّى انتشرت في الآفاق كلمته ، وعمّت هدايته المرشدة ودعوتُه ، قريب المعمر وبعيده ؛ والدعاء لنجله الطاهر ، وفرعه الطيب المحمّد والناصر ، سيّدنا الامام أمير المؤمنين ابن سيّدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين الذي ارتضاه لمقامه وكساه بروده ، وأحلّه من اصطفاؤه واجتنائه سعيد مكانه الارفع وحيدَه ؛ وخباه في تميم أمره ، وتمكينه وشدّ أزره ، رشيد الرأي وسديدَه ، بنصر يصحب راياته المظفّرة وبنوده ، وتوفيق يقتضى إمداده بالمعونة الالهية وتأييده ، ويستنجز له من وعد الله الصادق حاضرَه وعتيده ، ويمتري من عميم فضله ، وجسيم طوّله ، مضاعف إحسانه ومزيدَه ، ويُدِيم إعلاء أمره العزيز وصمودَه ، ما اتّصلت الايام ، وتعاقت الشهور والاعوام ، متراخي الزمن الاطّول ومديدَه .

وهذا كتابنا إليكم - كتب الله لكم من بشائر هذا الامر العزيز أسراً

مسموع ، وقاد إليكم بتواثرها ، وتقاطرها ، خير مجموع ، وعرفكم بورودها ،
ووفودها ، عوارف فضله الاتم غير مقطوع ، ولا ممنوع ، وأوزعكم من
شكر موليا ، وحمد مسببها سبحانه ومُسَنِّها ، ما يثبت لكم في صحف
القبول أرعى عمل صالح ودعاء مرفوع - من منزل الموحدين - أعزهم
الله - بظاهر قابس - حرسها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ،
والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، وللتوكل عليه . ونحن نشكره تعالى على
ما منح من منن ومواهب ، أعادت من الدين بهذه الارزاء كل ذاهب ،
وأحلت الحق في مقاماته العلية المراتب ، واسترجعت ما نهبت يد الناهب
الغاصب ، وجدلت كل معاند لأمر الله ومُنَاصِب ، وأحقت المكر
السّيء بالحارب له والمصالب ، وغادرت المَبَاق المُرَاق كأمنس الذاهب ،
وأغلت الكلمة المهدية في سماء عزها السامية المراقب ، وأظهرت
أولياءها المؤيدين وأنصارها المكافحين عن الدين ، في مظاهر النصر
والتمكن ، كالنجوم الشواقب ، وأجرتهم على معهودهم من النصر
المُراكب ، والفتح المُصاحب ، وعرفتهم في كافة مأخذهم عوارف اليسر
الراهن والعون الراتب .

وإلى ذلكم - وفقكم الله وسدّدكم ، وأعانكم على شكر نعماء وأنجدكم -
فقد علمتم ما كان من الاشقياء الغزيين ، وإخوانهم في الضلالة الميُورقيين ،
من التسحب على أرجاء هذه الجهات الافريقية وأكنافها ، وشنهم
الغارات بأوساطها وأطرافها ، وإجماعهم على اكتساح زروعها في هذا العام

وانتسافها، وما سَوَّلَتْه لهم أمانيتهم الكواذبُ من قطعها بالحراة وإضعافها؛
 فحال بينهم وبين ما أَمَّلَوْه من ذلك المنعُ الإلهيُّ والصدَّةُ، والوصولُ إليها
 في ذلك الوقت الذي كَتَفَه السعدُ، والالوان الذي جرى على تقديره الحزم
 والجدَّة، وخلصَ اللهُ تعالى في إعلاء كلمته، وإطفاء متوقِّد شعله الباطل وحيرته،
 النِّيَّة الصادقة والقصد. وكان من صنع الله العجيب، أن أنشَيْنَا إليها عند
 بلوغ زرعها إلى حال الكمال والطيب؛ فحماء الله من اختطافهم، وصانَه على
 أربابه من اعتدائهم واتلافهم، وصَيَّرَهُ رِزْقاً واسماً لأحزابه المؤيِّدين
 موزناً بجمعهم وائتلافهم؛ وكانت خيبة الأشقياء منه سبباً لتشتُّبهِم
 واختلافهم، وصاروا إلى جوعٍ أشفوا به على تلفهم وانجماهم.

وكان هؤلاء الأشقياء المتمردون، والكفرة المخلعون، من ثوب
 الاسلام المتجردون، والجُنَباء المجرون بالخلاء وهم منفردون، والالواباش
 المتظافرون، على الحراة المتعاقدون، قد استنزَلَهُم الشيطان وأغواهم،
 واستجرَّهم الطمع المهلك واستهواهم، وصوَّر لهم أن لا قانع يقمهم
 فأضلَّهم وأرداهم. ولَمَّا أذن الله تعالى بهلكهم، وقضى بقهرهم على أيدي
 أوليائه المظفرين وعزكمهم، وإراحة هذه الجهات ممَّا دهاها من زورهم
 وإفكهم، عزم الموحِّدون - أعزَّهم الله - على النهوض إليهم إلى محالٍ
 قرارهم، وغزوهم في عقر ديارهم، واستعانوا بالله تعالى على إبادتهم ومحو
 آثارهم؛ فهضوا من تونس - كلاًها الله - ودلائلُ نجاحهم صادقة،
 وأعلامُهم بالفتح والتأييد خافقة، والنفوس بنصر الله وعونه واثقة،

وتيسيراته سبحانه مضافة للرجاء في فضله وموافقة . ولم يكن التفات في هذه الحركة السعيدة إلى عدد وعدة ، ولا استطهار بقوة ولا شدة ، ولا تعويل على ما تسكن إليه النفوس البشرية من ركون إلى ما عند الاجناد ، وأبناء الطعان والجلاد ، من بأس ونجدة ، بل توحد الاتكال فيها على الله وحده ، واستحكمت النية الخالصة في تطلب ما عنده ، وتحققت اليقينية بأن الله سبحانه متم نوره ومنجز وعده ؛ فحقق الله تعالى الظنون ، وأراى من عجائب تسهيلاته الضروب المختلفة والفنون ، وأحل بمن خاد عن أمره العزيز ، وخلع ربقته من الاعتصام بكهف طاعته الحريز ، المحتوف بالمخترمة والمنون ، وأذاقهم الله الحزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

وعند ما أحسّ الاشقياء بحركة أهل التوحيد - أعزهم الله - إليهم ، وإطلال راياتهم المظفرة عليهم ، وأن أخذة الله الرابية قد أئتتهم من ورائهم ، ومن بين أيديهم ، تحرّكوا من مواضعهم مخيلين بزورهم ، منجّرين بحبل غرورهم ، منقادين بربق الصغار إلى مصارع تدميرهم ، وقدروا فكان خفهم بحول الله في تقديرهم ، وتخيّلوا أن كل بيضاء شحمة وكل سوداء تمرّة ، وتوهموا أن تخيلاتهم الكاذبة تنفعهم كل مرة ، وانخدعوا بما أُملي لهم ليزدادوا إثماً من إمهال وتبرة ؛ فسقط العشاء بهم على سرحان ، وقادهم الحين المتاح لهم بأرسان وأسطان ، وعوضوا ممّا قدروه من انتهاب مقرّ الجلاد ومرّ الطعان ، وأعمال ظني القواضب

فيهم وعوامل المُرَّان ؛ وصارت ضروحُ أشلائهم الممزقة ، وأوصالهم
المفرقة ، حواصل الطيور وبطون الذُّؤَبان .

ولمَّا وصل الموحِّدون - أعزَّهم الله - إلى القَيروان - كلاًَّها الله -
رأوا أن يقدِّموا الانذار إليهم ، وقيموا الحجَّة عليهم ، ويسلكوا على سنن
الشرع في تقرير الدعوة إلى الله تعالى وإلى رسوله وبما جاء به لديهم ؛
فكفروا نعمة الرفق بهم وغمطوها ، وازدروا المنَّة بذلك عليهم وسخطوها ،
وجهلوا قدر المنحة الميسرة لهم فلم يتلقَّوها بالقبول ويرتبطوها ، واعتقلوا
الرسول جرياً على عادة كفرهم ، واستمرَّاراً على معهود خيانتهم وغدرهم ،
وذهاباً إلى أخفى حالهم المتبَّرة وأمرهم ، ولم يعلموا أنَّ عصا التوحيد تلقف
ما يكون من سحرهم ، وأنَّ الثقة بوعد الله قد أثلجت صدور المؤمنين
بكينهم وقهرهم ؛ وكانوا عند احتلال الموحِّدين - أعزَّهم الله - بالقَيروان ،
بجبهات وادي ران ، وحلُّوا من هنالك على عادتهم في المخادعة والروغان ،
وقد أعمى بصائرهم وأبصارهم ما غطَّى على قلوبهم من الحين وِران ؛
وكانوا من قبل يُمَوِّهون على أتباعهم بالمبادرة للنزال ، والمساابقة للنضال ،
ويخدعون الضعفاء ببوارق الزور والخبال والخيال ؛ فعرَّدوا تعريد الرِّئال
عن الرِّئال ، وناهوا في جبرة الجزع والهلع بين لابتَي الجنوب والشمال .
ثمَّ قصدوا قفصة - أعادها الله - مخيلين باللقاء عندها ، ومشيعين أنَّهم
يقارعون الموحِّدين - أعانهم الله - إنَّ قصدوا قصدَها ؛ فاقتنى الموحِّدون
- أعزَّهم الله - آثارهم إلى مقربة منها ، وأخذوا على طريق لم يخطر ببال

الاشقياء السلوك عليها ، ولا احتلج في صدورهم اهتداءً إليها ؛ فسقط في أيديهم ، واختلت أراؤهم واضمحلت دعاويهم ، وتوفرت على الهرب إلى قابس - كلاًها الله - همهم الفسلة ودواعيهم ، والاقدار تسوقهم مصارعهم أحت سوق ، وتعوقهم على الفرار بكل عوق ، والشيطان يخيل لهم الاستقلال بما لا قبل لهم به ولا طوق ، حتى انتهى بهم السير إلى حمة مطمطة حيث حمّ جماعهم ، وتصرمت أيامهم ، وتزلزلت أقدامهم ، وملأت الباطح والرّبي أجسامهم المفقرة وهامهم ؛ فألقوا بها حرانهم ، واستصرخوا صعاليك سُلّيم وذؤبانهم ، وكلّ من وافقهم على ضلالتهم من الاعراب وأعانهم ، من أهل الباطل وأعوانهم ؛ واستمطر بغضهم من نصرة بعض جهاما ، وهزّ كلّ منهم عليه سبحانه وإقداما ؛ فعادت بعون الله بسالتهم جُبناً وإقدامهم إجحاما .

واستمرّ بالموحدين - أعزّهم الله - مسيرهم المبارك في اتباعهم إلى مقربة من الحمّة المذكورة فضربوا أبنيتهم ، وباتوا هنالك ليلتهم ، وجدّدوا في جهاد أعداء الله نيّتهم ، وصدّقوا عزمهم ، وأصبحوا على بركة الله وعونه وقد استعدّوا للكافة وتأهّبوا ، واستلموا المصاصة وتلبّسوا ، وترتّبوا ترتباً أقرّ عيون المسلمين وتكتّبوا ، وساروا إلى عدوّهم والتوفيق يسعدّهم ، والعونُ الإلهي يُنجدّهم ، والاستسلام إلى الله تعالى يرشدّهم ويسدّدّهم ، وصرفُ الحول والقوّة إليه سبحانه يعينهم ويؤيّدّهم ؛ وأعداء الله قد أطفأهم الانجرار ، وثبّطهم لهلكتهم الاغترار ،

وصرفهم القدر عما كانوا معولين عليه من الابق والفرار ؛ فاحتلفوا في إظهار جمعهم القليل وترتيب حزبهم الحقير الذليل ، واعتمدوا على ما أرداهم من التويه والتخييل ، وهيات أن تثبت عند الحقائق من خفرات الباطيل ! وعند ما ناوشتهم سرعان الاجناد ، وشاهدوا ما أذهلهم من صدق القراع والجلاد ، وتبينوا ما أجمع أولياء الله عليه من الحرص على الشهادة والرغبة في الجهاد ، تزلزلوا تزلزل الذئب من الأسد ، وأنى تستقر لسطوة الليوث الغلب قلوب النقاد ؛ فلاذوا بالفرار ، واستسلخوا لحكم الشفار ، وتخيّلوا النجاة في تولية الادبار ؛ فأتبعهم أولياء الله يقتلونهم في كل غور ونجد ، ويمجدونهم في كل ربوة ووهْد ، ويصرعونهم حيث ما تيمّوا من منتحى وقصد ، ولاقت ريحهم إعصارا ، وصار نبعهم بزعمهم مرخاً وعفّارا ، وما زادتهم جموعهم المضلّة إلا تبارا ، وعاد ما قدروه من نجاة هلكة وما أمّلوه من ربح خسارا .

واستمرّ الموحدون - أعزّهم الله - على اتباعهم سحابة يومهم وليلتهم ، وسيق العدد الجُم من رؤوس أبطالهم وخيلهم ، والناجون منهم بجريرة الذقن وهم الاقلون يدعون بشورهم وويلهم ، قد أرّتهم الاحوال حقائقها ، وأذهبت عنهم الايام مخارقها ، وأذاقتهم محنها الكريهة وبوائقها ، وعرفتهم مذاهبها في إهلاك من عاند أمر الله وطرائقها . وما لهم بعد هذا الاخذ الوبيل وزر ، ولا عين تبقى لهم بفضل الله ولا أثر ، ولا ضرم يكون لجرابهم بعد هذا الاثخان فيهم ولا شرر . بعون الله

ومنه . والطلب لا يني في أثر من بقي من حثالتهم ، واستيصال من اغترَّ
بجهالتهم ، وانخدع بسرّاب محالّهم وزور ضلالتهم . وأمرُ هذا السُّور
النَّدْر منهم حدٌّ يسير ، وتطهير هذه الارعاء من غيرات أدناسهم بحول
الله غير عسير ؛ فلم تُبقِ هذه الحركة منهم بحول الله إلّا كلّ منحوب
الفؤاد حسير .

وفي صبيحة الليلة التي أذلّ الله في يومها الاشقياء ، وأعزّ فيها الاولياء ،
ومنحهم الظفر عليهم والاستيلاء ، وهو يوم الخميس العاشر من شهر تأريخه ،
وَصَلَ إلى قابس - كلاًها الله - فلحين الاطلال عليها خرج أهلها راغبين
في الامن والامان ، مُعلنين بكلمة التوحيد والايان ، مُتطلبين لعوائد هذا
الامر العظيم في العفو والاحسان ؛ فشمّهم من الرفق والامان ما أقرّ
قراهم ، وعمر بالسكون والهدون ديارهم ، واستقبلوا في ظلّ الدعة
والعدل أيّامهم المستجدة وأعمارهم .

وكان بقابس بنو الشقيّ قراقوش وأهلُه ، وجملَةُ ما قمّشه انتهابُه
وضمّه جبلُه ؛ ومعهم جماعةٌ من أوباشه الذين يعتمد عليهم ، ولا يثقُ بأهلِه
وولده وماله إلّا إليهم ؛ فتحصّنوا بقصبةٍ بها منيعة الجوانب ، سامية
المراقب ، مستصبة على المنازل لها والمُحارب ، وأجمعوا على الاستماتة فيها ؛
فأحدقتْ بهم أجنادُ الله من جميع جهاتها ونواحيها واستنزلوا منها على
الأمّن في رقابهم ، واستقصاء كافّة أموالهم وأسلابهم ، واسترقاق نساءهم
وأبنائهم وعيال من شهد الواقعة من مقتولهم وهرّابهم . وحصل أهلُ

قراقوش وبنوه وماله غنماً لاولياء الله ونفلاً . وملكاً لطائفة الحق وخولاً .
وهذه المدينة العتيقة روح هذه الجهات الافريقية ومعناها ، وقفلها
الذي يحمي حوزتها ويكف عداها ، ومنعتها التي لا يتهياً لمفسد أن
يتخطأها إلى أذيتها ويتعدأها ، وما تمشى للاغزار - أبادهم الله - ما تمشى
إلا بملكها ، ولا توصلوا إلى ما اغترهم إلا بانتشار سلكها . وهي جامعة
مع هذه الفوائد الجمّة ، والمنافع الكاملة المستتمّة محاسن يروق الناظرين
رواؤها وتملأ الاغني بهجتها المؤتقة ولاؤؤها ، يتفجر خلاها الماء
المذب ، ويلتقي بها الركاب والركب ، وتحقق بأرجائها الجنات الالفاف
والحدائق الغلب ، وتجتمع فيها أصناف الثمر المتخير والحب . وقد طهرها
الله بانتظامها في سلك التوحيد ، وإعادتها إلى هذا الامر السعيد ، واستنقاذها
من لصّ الفتنة الغوي وشيطانها المريد . وكان من صنع الله الذي لم يدّر
في خلد ، ولا يسببه إلا التوكل على الواحد الصمد ، أن لم يفقد من
الموحدين - أعزهم الله - أحد ، ولا انتقص لهم بفضل الله عدد ، ومن
خصائص توطد هذا الامر العزيز على الاطوار وتجدد ، وعلامات
تمكّنه مع تعاقب الادوار وتأكّده ، وتما ما وعد به من دوامه إلى يوم
الدين وتمهّده ، أن ذخّر الله قتال الطوائف التي قوتلت في بدء الاسلام ،
وقام عليهم في دعوة أمر الامام ، وهم الفرس المجوس والفسقة أهل
اللاثام ، وفي ذلك بصائر لأولي الاحلام ، واعتبار بيتن لذوي الالباب
المدركة والافهام . .

وَعَرَّفْنَاكُمْ - وَفَّقَكُمْ اللَّهُ - بهذا السرور المتتابع ، والفتح الناضج
لأسباب الخير الجامع ، والظفر المروي لفلل النفوس الناقع ، لتأخذوا من
الخط فيه بأوفر نصيب ، وتضربوا في المشاركة بالابتهاج فالمسرة بسهم
مصيب ، وتشكروا الله تعالى على ما أرى الاعداء من هول ماحق ويوم
عصيب . فاستقبلوا - وَفَّقَكُمْ اللَّهُ - هذه النعم بواجب شكرها ، ووفوها
حق بشها ونشرها ، وافهموا أرجاءكم ونواحيكم بريتها العبق ونثرها ،
وأجبلوا في نواديكم ومحاضركم ، وبين بواديكم وحواضركم ، قداح التحدث
بها وذكرها ، إن شاء الله تعالى ؛ والرب سبحانه يجعلكم من الشاكرين
لنعمه ، المتحدثين بآلائه وقسمه ، المستدعين بحمده سبحانه عوارف
جوده وكرمه ، بمنه وفضله ؛ لا رب غيره . والسلام الكريم عليكم
ورحمة الله تعالى وبركاته .

ونُقِدَ من نفاوة - كلاًها الله - في الثامن عشر من شعبان المكرم
سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

الرسالة الحادية والثلاثون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن مخشرة المذكور :

من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أيدهم الله
بنصره ، وأمدهم بمعونته - إلى الطلبة والموحدين والاشياخ والكافة
بتونس - أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأعانهم على شكر ما منحه من فضله

وآتاه، وتابع لهم السَّرات بترادُف فتوح هذا الامر العزيز وبشراه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ وَنِعَمِهِ ، وَنُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَرَسُولِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَاتَر لِهَذِهِ الدَّعْوَةَ الْعَلِيَّةَ فَتُوْحَهُ السَّنِيَّةَ وَوَالِأَها؛ وَقَرَّبَ لَهَا الْآمَالَ الْقَصِيَّةَ وَأَدْنَاهَا؛ وَتَمَّمَ عِنْدَهَا نِعَمَهُ الْجَمَّةَ وَوَفَّأَهَا؛ وَأَجْزَلَ عَطَايَاهَا مِنْ مَنَحِهِ الْجَسِيمةَ وَسَهَّلَ لَهَا مَرَامَاتِها عَلَى أَفْضَلِ مَا يَتَنَهَأُ مَتَخَيِّرُ أَنْ يَكُونَ وَسَنَاهَا؛ وَقَضَى أَنْ يَكُونَ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ ، وَإِذْلالِ أَتْبَاعِ الْبَاطِلِ وَشِيعَتِهِ ، قَصْدَهَا الْمُحْتَسِبِ وَمَسْعَاهَا؛ وَقَرْنَ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّأْيِيدِ ، وَانْتِظَامِ الْإِغْرَاضِ عَلَى أَتَمِّ مَرَادِ الْمُرِيدِ . مَبَادِي مَأْخَذِها المِئِنَّةَ وَعُقْبَاهَا؛ وَجَمَلَ إِلَى الْمَالِ الْمَيْسَرِ ، وَالْمَصِيرِ الْمُضِلَّ الْمَدْمَرِ ، مَغَبَّةَ مُشَاقِقِها وَعَدَاهَا ، وَأَذَلَ فَتْها الْحَاسِرَةَ بِأَيْدِي أَوْلِيائِهِ الْمُرِيدِينَ وَأَخْزَاهَا ، وَأَوْقَفَهَا عَلَى عَاقِبَةِ هَلِكِها وَرَدَّأَهَا ، وَرَوَّى مِنْ دِمَائِها المُسَالَةَ قِنَاهَا ، وَحَكَمَ فِي طُلُأِها المُذَلَّةَ صَوَارِمَها الْقَضْبَةَ وَظُبَاهَا ، وَكَشَفَ غُمَّاءَ شُرُكِهِمْ وَغِيَابَةَ زُورِهِمْ وَإِفْكَهِمْ بِحَقِّها الْوَاضِعَ وَجَلَّأَهَا ، وَأَرَّاحَ بِنَظَرِها السَّعِيدِ ، وَرَأَيْها الْمُوَفَّقِ السَّعِيدِ ، كَرَّبَ هَذِهِ الْبِلَادَ وَبَارَّأَهَا ، وَأَبْرَأَها مِنْ عِلَلِها الْفَادِحَةِ وَشَفَّأَهَا ، وَنَقَعَ بَزْلالِ الْمَنَنِ ، وَسَلَّسَلَ الْعَذَلَ وَالْأَمْنَ ، غَلَّلَها الْمُبْرَحَةَ وَرَوَّأَهَا؛ وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ، وَرَسُولِهِ الْإِكْرَمِ الْمُجْتَبَى ، مُبْصِرِ الْأُمَمِ مِنْ عَمَّأِها ، وَمُجَلِّي غَنِيهِ الْحَيْزَةِ وَدُجَّأِها ، وَمُرْشِدِ الْكَافَّةَ إِلَى سَبِيلِ هُدَاهَا ،

﴿ للكتاب أبي الفضل بن نخشرة عن الامير يعقوب المنصور ﴾ ١٩٣

ومُعْرِفُهَا بِخَيْبَةٍ مَنْ أَوْبَقَ نَفْسَهُ وَدَسَّاهَا ، وَفَلَاحَ مَنْ طَهَّرَهَا بِالطَّاعَةِ
وَزَكَّاهَا ، وَمُرْهَدَهَا فِي عَاجِلَةٍ قَصِيرٍ مَدَاهَا ، قَلِيلٌ نَدَاهَا ، زِيرٌ جَنَاهَا ،
مُعْتَصِرٌ بِيدِ الْإِسْتِرْجَاعِ وَالْإِنْتِزَاعِ عَطَاهَا النَّزْرَ وَجَدَاهَا ، وَمُرْغَبَهَا فِي
آجِلَةٍ لَا نِفَادَ لِرِزْقِهَا وَلَا انْقِطَاعَ لِحَيَاةِهَا ؛ وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ ،
الْمُهْدِيِّ الْمَعْلُومِ ، الَّذِي أَعَادَ مِلَّتَهُ الْخَنِيفِيَّةَ وَأَحْيَاهَا ، وَأَظْهَرَهَا وَأَبْدَاهَا ،
وَأَوْضَحَهَا بِيضَاءِ نَقِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ حَجَبَهَا الْجَهْلُ وَغَطَّاهَا ، وَصَيَّرَهَا بَيِّنَةً جَلِيَّةً
وَقَدْ كَانَ الضَّلَالُ أَضْمَرَهَا وَأَخْفَاهَا ، وَحَدَّ السَّكَافَةِ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهَا
وَدُنْيَاهَا ، وَدَعَاهَا إِلَى مَا يَحْيِيهَا وَيُنْجِيهَا وَهَدَاهَا ؛ وَعَنْ صَاحِبِهِ الْإِهْدَى ،
وَخَلِيفَتِهِ الْإِعْدِلِ الْإِتْقَى ، سَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقَّ الْبَرِيَّةِ بِخُلَافَتِهِ
الْعَلِيَّةِ وَأَوَّلَاهَا ، وَمُمَشِي كُلِّهِ الْمُهْدِيَّةِ إِلَى غَايَتِهَا الشَّرِيفَةِ وَمُنْتَهَاهَا ، وَمُرْقِيَهَا
فِي دَرَجِ النَّوَاءِ وَالْعِلَاءِ إِلَى أَعْدِ مَرْقَاهَا ، وَأَصْعَدَ مَسَامَاهَا ، وَمُوَدِّيَ تَعْلِيمَاتِهِ
النَّافِعَةِ ، وَمَقَالَاتِهِ النَّاطِمَةَ لِلْخَيْرِ الْجَامِعَةِ ، كَمَا سَمِعَهَا وَرَعَاهَا ، وَالْمُنَاضِلَ بِالْإِدْلَةِ
الْبَاهِرَةِ ، وَالْإِسْنَةَ الْبَاطِرَةِ ، كُلٌّ مِنْ عَانِدِهَا وَأَبَاهَا ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي
نَصَابِهَا الْإِكْرَامِ وَمَعْنَاهَا ، وَاسْتَمَرَّتْ عَلَى نَهْجِهَا الْإِقْوَامِ وَمَعْنَاهَا ، مُلْقِيَةً
أَزْمَتَهَا إِلَى مَنْ يَحْفَظُ حَوْزَتَهَا وَيَحْمِي حَمَاهَا ؛ وَالِدَعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ بَنِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَارِثِ مَقَامَاتِهِ الْكَرِيمَةِ وَعِلَاهَا ،
وَمُشِيدِ أَرْكَانِ مَآثِرِهِ الْعَمِيمَةِ وَمَبْنَاهَا ، بِدَوَامِ سَعُودِهِ الصَّاعِدَةِ وَبَقِيَاهَا ،
وَتَرَادُفِ الْفَتْوحِ الْمُتَنَاسِقَةِ ، لِدَعْوَتِهِ السَّامِيَةِ السَّابِقَةِ ، مُوْفِيًا عَلَى أَوَّلَاهَا
أَخْرَاهَا .

وهذا كتابنا إليكم - عرّفكم الله من فتوح الامر العزيز ونشره ،
 ومحمود مقاماته في نصره الدين وجميل أثره ، ما يفعم أرجاءكم بطيب عونه
 الأرج وعطره ، ويملاً مسامعكم بمتعذب مسموعه الذي لا يَمَلُّ وخبره ،
 ويوزعكم شكرًا يُؤدّي حقوق ما أولاكم من خصائص الاستناد إلى
 طائفته المنصورة وأثره - من منزل الموحدين - أعزّهم الله - بظاهر
 قفصة - فتحها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله ، والعمل بطاعته ،
 والاستماعة به ، والتوكّل عليه ، وأن تُوقنوا بأنّ الله تعالى في طيِّ محاولات
 هذا الامر العزيز أسراراً يُحصّ بها عباده ، ويحقّق رجاء من أخلص
 نيّته في التوكّل عليه واعتقاده ، واحتسب في طاعته ، وابتغاء مرضاته ،
 سعيه وجهاده ، وألقى مستسلماً في يد الرضا بما اختاره الله لأمره العزيز
 زمامه ومقاده ، وعلم أنّ الله - جلّت قدرته - لا يخذل أمره ولا يخلف
 ميعاده ، ليزداد المؤمن إيماناً ، والراضي بالله ربّاً ومحمّداً نبياً تسليماً وإذعاناً ،
 ويشقّ بنجازه ما وعد من إظهار دعوته ، وإعلاء كلمته ، ثقةً لو كشف له
 الغطاء معها ما ازداد إيقاناً ، ولا يطلب على ما ثبت منها في روعه ،
 وانطوت عليه أحناء ضلوعه ، دليلاً وبرهاناً ؛ والله يجعلنا ممّن استدام
 بالشكر الاتمّ ما أنعم به إسراراً وإعلاناً ، بمنه وجوده .

وكانت - وفقكم الله - هذه الحركة المباركة مبنية على التجرد فيها
 لقمع المتدين ، ووقم العابثين والمفسدين ، والقيام لله تعالى بما أوجب من
 حماية الحقّ ونصرة الدين ؛ فسنى الله سبحانه فيها من التيسيرات الحارقة

للعادة ، المربية على أقصى الفتوح ونهاية الارادة ، والمكيفة على أوفى متخير من تأتّي الآمال المصحبة المنقادة ، الجارية على إدلالها في عموم الخير وانتظام السعادة ، وتعرفُ النماء في كلّ حالة وظهور الزيادة ، ما شفى صدور المؤمنين ، وصدق ظنون الموقنين ، وحقق الثقة بربّ العالمين ، وعرف أنّ العاقبة للمتقين المحسنين . ولما من الله تعالى بدمار الاعداء وتبأبهم ، وقضى بقهرهم على أيدي أوليائه المؤيدين وغلابهم ، وصيرهم إلى عاقبة خسرهم وسوء مآبهم ، وأراح هذه الاصقاع من إصاباتهم الجبيثة وأوشابهم ، على ما تقدّم به إليكم خطابنا ، وتضمن شرحه أرسالنا الواردون عليكم وكتابنا ، نهض الموحّدون - أعزّهم الله - من قابس - كلاًّها الله - آخذين على صحرائها ، وقاصدين إلى البلاد الجريدية من ورائها . على طُرُق لا عهد لها بالمساكر ، ولا علم فيها لعامر ، ولا منفذ أمامها لوارد ولا صادر ، بحيث منقطع التراب ، ومتصل القفر اليباب ، ولا ماء ينبع في الارض ولا يستقرُّ من صوب السحاب ، وإن سلكوها لمنّ العجائب العجاب ، وآيات هذا الامر الميسّر الطلاب ، المذكّر ببراهينه الواضحة لأولي الالباب ، المنصور اللواء الممكن الاسباب .

وعند ما شارَفَ الموحّدون - أعزّهم الله - الجهات المذكورة ، جاءت الفتوح تبارى في شدّتها ، وتنظّم لآليء الاقطار الجريدية في عقدها ، وتنجز لاولياء الحق وأنصاره صادق وعدها ؛ واستنقذت نفزاوة وقسطنطية - كلاًّها الله - من وبش الفتنة ووعدها . وألقت بلاد نفزاوة

وَتَوَزَّرَ وَتَقَيَّوسَ وَالْحِمَّةَ وَنَفْطَةَ بِأَزِمَّتِهَا ، وَتَطَلَّبَتْ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ
الْعَلِيَّةِ مَعْلُومَ مَنْتَهَا ، وَاسْتَنْزَلَتْ بِتَحْقِيقِ تَوْبَتِهَا مَتَعَارِفَ رَفَقِهَا وَمَعْمُودَ
رَحْمَتِهَا ، وَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَمْ تُبَدَّلْ دِينُهَا وَلَا فَارَقَتْ إِيْمَانُهَا وَبَقِيَتْ فِي حَالَتِهَا
سَكُونِهَا وَفَتْتِهَا . فَعَمَّهِمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ وَأَمْنُهُ مَا مَهَّدَ أَرْجَاءَهُمْ ،
وَصَدَّقَ فِي فَضْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ رَجَاءَهُمْ ، وَعَرَّفَهُمْ بِبِرْكَةِ مَا أَمَّهِمْ
مِنْ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ وَجَاءَهُمْ . وَثَارُوا بِمَنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِشْقِيَاءِ يَقْتُلُونَ فَرِيقًا
وَيَأْسُرُونَ فَرِيقًا ، وَيُوسِعُونَهُمْ تَشْتِيئًا بِمَجْمُوعِهِمُ اللَّائِيْمَةَ وَتَفْرِيقًا ، وَيُورِدُونَهُمْ
بِإِرْهَاقِ نَفْسِهِمُ الْحَبِيْثَةَ سَعِيرًا لَا يَخْبُو اتِّقَادُهُ وَحَرِيقًا . وَكَلَّمَامَرَّ الْمُوَحِّدُونَ
- أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - بِلَادٍ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ - كَلَّأَهَا اللَّهُ - أَتَوْهُمْ بِالْعَدَدِ
الْجَمِّ مِنْ أَسَارِهِمْ وَبَقَايَاهُمْ ؛ فَتَقَطَّ الرِّقَاقُ طُلَاهُمْ ، وَتَنْظَمُ الصِّعَادُ كَلَامَهُمْ .
وَكَانَتْ بَتَوَزَّرَ مِنْهُمْ جَمَلَةٌ ذَمِيْمَةٌ فَادَّرَعَ بَعْضُهُمْ جَنَحَ الظَّلَامِ وَفَرُّوا
مِنَ الْحَمَامِ إِلَى الْحَمَامِ ، وَتَوَغَّلُوا فِي الصَّحَرَاءِ الْمُهْلِكَةِ كَشَارِدِ الْإِنْعَامِ ؛ وَاللَّهُ
يَعْبَلُ لَهُمْ وَلَمْ يَأْمُهَلْهُ إِلَّا جَلَّ مِنْ حُثَالَتِهِمْ بَوَادِرِ الْإِنْتِقَامِ ، وَيَجْرَعُهُمْ كَمَا
يَجُودُ بِأَيْدِي أَوْلِيَاءِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ أَكْؤُسَ الْمَوْتِ الزَّوَامِ ، بِمَنْتِهِ وَجُودِهِ .
وَتَرَكَوْا جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَكَافَّةَ مَا تَأَثَّلُوهُ مِنْ أَثَانِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ ،
وَنَفَلَ الْمُوَحِّدِينَ عَامَّةً أَسْلَابَهُمْ وَأَنْفَالَهُمْ ، وَمَلَكَهُمْ رَقَّ أَهْلِيَهُمْ وَبَنِيَهُمْ
وَعِيَالَهُمْ ؛ وَأَجَلَّتْ بِهِمُ الْغَيْرُ مَثَلَاتُهَا ، وَأَرَثَهُمُ الْعَبَرُ عَجَائِبُهَا الْغَرِيبَةَ وَأَيَاتُهَا ،
وَنَفَسَ مَهْلَهُمُ الْقَدْرَ إِلَى انْتِزَاعِ أَرْوَاحِ الْحَبِيْثَةِ لِأَجْلِهَا الْمَكْتُوبِ وَمِيقَاتِهَا ،
بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ .

وهذه البلاد الجريدية لم يكن الوصفُ يعربُ عن صِفَتِها ، ولا
يؤدِّي كنهَ صورتِها ، ولا يطلع السامع على ما يجتليه المعائن من حقيقتها ،
وغاية كلِّ عبارة وإن بالغت التقصير على تبين جليتها ، فحققت المشاهدة
أنَّها إقليمٌ متَّسعُ الأكفاف ، رحبُ الأوساط والأطراف ، كثيرُ المنافع
والمرافق والالطاف ، جمُّ الحقائق الغلب والجَنَّات الالفاف ، وكلُّ مدينة
منه مستقلةٌ بذاتها ، مكفَّيةٌ بأقواتها ، مستغنيةٌ عن غيرها بما جمعت من
ضروب غلاتها ، محتاجٌ إليها لما يُجلب منها من أنواع فوائدها وصنوف
ثمراتها . وتوزر - حاطها الله - حاضرةُ هذا الإقليم العظيم وقطبه ،
وروحه وقلبه ، ومركز دائرته الذي عليه يستدير محيطه وبلاستناد إليه
يتمهد رجبُه ؛ وقد توطَّدت بعوده إلى هذا الأمر العظيم أقطاره ،
وعُمِّرت بالامنة والهدنة دياره ، وطُهرت أدناس الكفر من أرجائه
ومُحيت آثاره ، بحول الله وقوَّته ، وجوده ومنته .

واستمرَّ بالموحدين - أعزَّهم الله - سيرُهم المبارك من توزر - حاطها
الله - إلى قفصة - أعادها الله ؛ فآلفوا بها جملةً ذميمةً من أشقياء الأغزاز
وأتباعهم قد رانَ على قلوبهم هواهم ، واستغواهم الشيطانُ واستهواهم ،
وسوَّل لهم مغالبةَ الغُلاب فوعدهم غروراً ومناهم ؛ فأظهروا ما عندهم
من الامتناع ، واستشعروا شعار المصارمة والدفاع ، واغترُّوا بجدراتهم
السامية الارتفاع ؛ وهيات أن تعزَّ هذا الأمر العزيز شامخات البواذخ
وطامحات القلاع ! فعزم الموجدون - أعزَّهم الله - على مُنازلة هذا المعقل

وحصره ، واستعانوا بالله تعالى على أمره ، وسألوه سبحانه معهود تسهيله كما عوَّده ويُسرِّه . ومرامه بحول الله أيسرُ مُحاول وأقربُ مُتناول ، وأذنى مَروم وأنَّهَلُ مُزاوَل ، بحول الله وقوَّته .

وفي يوم الحلول به وصل خطابُ قراقوش وأرساله راغباً في التوحيد خاضعاً ، مادّاً يد الاستكانة إلى هذا الامر السعيد ضارعا ، مُعلِّماً أَنَّهُ إِن قُبِلَتْ توبته ، وأُجِيبَتْ رغبته ، جاء إلى الموحدين - أعزَّهم الله - مُطيعاً سامعاً . ووصلت في غده أرسالُ أبي زِيَّان ومخاطبته مُعرِّفاً بركونه إلى هضبة هذا الامر العظيم وركنه ، واعتلاقه بذمَّة أمانه وأمنه ، وإيوائه إلى كهفه الارقي وحضنه ؛ وهو زعيمٌ من زعماء الاغزاز يُضاهي قراقوش في قدره ، ويُقاسمه في أمره . وكان قد انتبذ عنه أَنْفَةً من مُشاركته ، وعزماً على مُصارمته ومُتارُكته ؛ واستبدَّ بطرابطلس - كلاًها الله - ونواحيها ، وأظهر دعوة التوحيد فيها ، وصارت - والحمد لله - هذه البلاد كُلُّها إلى معهودها من الطاعة ، والانتظام في سلك الجماعة ، والفيئة إلى ملكة هذه الدعوة العلية المُطاعة ، وأفأقت ممَّا خامرها من الادواء ، وأفلست من سقم الفتنة المُفضِّل ودائها العياء . وكل المقصود لها من تمهيد الاكناف وتوطيد الارجاء ، وتأمين الجهات وسكون الدهماء ، بفضل الله ذي المن والآلاء .

وعرَّفناكم - وفقكم الله - بهذه الفتوح الجمَّة التي عظمت قدراً ، وأعجزت حمداً وشكراً ، وخرقت العوائد تسهلاً غريباً ويُسرّاً ، لتضربوا

﴿للكاتب أبي الفضل بن محشرة عن الأمير يعقوب المنصور﴾ ١٩٩

بقداح المساهمة فيها ، وتذيعوها في أداني جهاتكم وأقاصيها ، وتجددوا حمد
مُخَوِّلها - جَلَّتْ قدرته - ومولَّيها ، وتقوموا بالواجب من شكر مُسَبِّها
سبحانه ومُسَنِّها ؛ والله تعالى يُعينكم من ذلك على ما يتكفل لكم بتضاعف
نعمه عليكم وتواليها ، بمنّهِ وجوده ، لا ربَّ غيره . والسلام عليكم ورحمة
الله تعالى وبركاته .

كُتِبَ في الثاني من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

الرسالة الثانية والثلاثون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن محشرة المذكور :

من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أَيْدِهِمُ اللهُ
بنصره ، وأمدَّهم بمعونته - إلى الطَّلَبَةِ والمُوحِدِينَ والأشْيَاحِ والأَعْيَانِ
والكَافَّةِ بِمَرَاكَشَ - أَدَامَ اللهُ توفيقهم وكرامتهم بتقواه ، ووالى عليهم من
فتوح هذا الامر العظيم وبشراه ، ما يُرَبِّي على أولاه أُخْرَاهُ ، وتكرم مغبَّته
وتحسن عقباه - سلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، ونشكره على آلائه
ونعمه ، ونصلي على مُحَمَّدٍ نبيِّه المصطفى ورسوله . والحمد لله الَّذِي فَرَّجَ
لهذا الامر العزيز مُبْهِمَاتِ الْمَغَالِقِ ، ودَكَكَ لُوطَاتِهِ وَسُطُوتِهِ ،
مُسْتَمْعِرَاتِ الشَّوَاهِقِ ، واستنزل العزَّةَ ورهبته ، من اعتصم بِشَمِّ البَوَاذِخِ
وطامحات الحَوَاقِ ، وحكم بِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ ، واستيلاء أمره المؤيَّد ومملكته ،

على من ترفّل في اليّفاع المنع أو توغّل في اليد السّماق ، وحكم صوارمه
البتار في طلى كلّ مازق ، وروى مُنصّله الظّميّ وأسّله الحرّان من
علّق كلّ مُناقق ، وأحلّ بمن عاند أمره العظيم ، وخالف نهجه القويم ،
مُجحفات البوائق ، ومستأصلات المواحق ، وقضى لدعوته المهديّة ، وإياله
المظفّرة العليّة ، في إله السابق وَوَعْدِهِ الحقّ الصادق ، أن يبلغ ملكها
الثابت القواعد ، وأمرها المحكم المعاهد ، ماروي لبنينا - صلّى الله عليه وسلّم -
من المغارب والمشارق ؛ والصلاة على محمد نبيّه المصطفى ، ورسوله الاكرم
المجتبى ، الذي أذهب الله بنوره كلّ مظلم من الكفر غاسق ، وجعل شرعه
الحينيّ ، ودينه الواضح الجليّ ، آخر ماحٍ للشرك ماحق ، وألزم ملّته الخاتمة
لللّيل ، وشريعته الناسخة للاديان والنحل ، كافّة الخلائق ، ودعا الاحمر
والاسود إلى ما يُحييهم ويُنجيهم من توحيد الباري الخالق ، وتمجيد الواحد
الصمد الرازق ؛ وعلى آله وصحبه الكرام البرّة الاصادق ؛ والرضا عن
الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، مُبِيد المخارق ومُعِيد الحقائق ، ومتلافي
رَمَق الدين الزاهق ، والمُحيي من شريعة جدّه - عليه السلام - ما أَمَاتَهُ
كلُّ جاهل مائق ، ومُصيرها بعد الدروس والطموس إلى أصلها الراسخ
وفرعها الباسق ، ومُبدِئها عِصّة جديدة تلوح في جماها الرائق ، وكماها
الفائق ، لكلّ موفق ناظر بعين البصيرة إليها رامق ؛ وعن خليفته
الاهدي ، وصاحبه الاكرم الارضى ، سيّدنا أمير المؤمنين ممّشي أمره
العزير على نهجه الواضح الطرائق ، ومبلّغه إلى غاياته الشريفة المبادي

﴿ للكتاب أبي الفضل بن مخشرة عن الامير يعقوب المنصور ﴾ ٢٠١

واللواحق ، والحائض لاسمائه وإعلائه نجم المضائق وغمرات المآزق ،
والمناضل دونه أعلام المهارق ، وبهم الفيالق ، بكل دليل قاطع وغصب
فالق ، حتى خرسست هزة الشقاشق ، ببرهانه الباهر الفارق ، وانحسست
علل العلائق ؛ بسنانه الباتر الحارق ، وانقاد لحقه الواضح كل جامع ورجع
إلى جماعته الدينية كل مفارق ، وخلص أمره العزيز من شوب الشوائب
وعوق العوائق ، والدعاء لسيدنا الامام أمير المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير
المؤمنين ، وارث مقاماته السوامق ، وماثره البواسق السوابق ، ومتقبله
في كريم الضرائب وعظيم الخلائق ، بنصر مؤازر وسعد مرافق ، وفتح
مصاحب وظفر موافق ، وجد يقضى بتأييد لوائه الحافق ، على كل خارج
عن طاعته ناعق ، ما اطرد بزوغ البازغ ودرور الشارق .

وهذا كتابنا إليكم - أسمعكم الله من تواتر البشائر ، وتقاطر فتوح
هذا الامر الظاهر الظافر ، ما تستغرق بالسرّة به أوقاتكم ، وترتفع
بالشكر لمسنّيه أصواتكم ، ويطول لمولّيه سبحانه تضرّعكم في إدامته
وإخباتكم ، ويعيد عليكم من السكون والهدون ما تؤهل به حلالكم
وأبياتكم ، ويطيب معه في ظلّ الامنة ومهاد الدعة عيشكم الارغد
وحياتكم - من قفصة - مهدها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ،
والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكّل عليه . ونحن نحمد الله تعالى على
ما عرّف أولياء دينه وحماة دينه من إظهار وإعلاء ، وتسديد مذاهب
وتأبيد آراء ، وتيسير مآرب وتيمين أنحاء ، وقهر مناوين وكبت أعداء ،

وإِصْحَابِ أَمْرِهِ الْعَزِيزِ الْإِنْجَادِ وَالْإِسْعَادِ ، أَيْةِ سَلَكِ ، وَإِشْعَارِهِ التَّوْفِيقِ
وَالْإِرْشَادِ ، فِيمَا أَخَذَ أَوْ تَرَكَ ، وَاقْتِرَانِ التَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ بِمُحَاوَلَاتِهِ وَالنَّجْحِ
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - يَضْمَنُ النِّيلَ لِمَطَالِبِهِ وَالذَّرَكَ .

وَإِلَى ذَلِكُمْ - وَفَّقَ اللَّهُ مَقْصِدَكُمْ ، وَيَمُنُّ فِي طَاعَتِهِ مَصَادِرَكُمْ وَمَوَارِدَكُمْ -
فَقَدْ تَقَدَّمَتْ مُخَاطَبَتُنَا إِلَيْكُمْ بِنَبَذٍ مِمَّا سَنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ
السَّمِيدَةِ وَيَسَّرَهُ ، وَقَضَى بِهِ مِنْ قَهْرِ أَعْدَائِهِ وَقَدَّرَهُ ، وَأَبْدَاهُ سُبْحَانَهُ مِنْ
عَنَائِهِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَأَظْهَرَهُ ، وَعَقَّبَ - وَفَّقَكُمْ اللَّهُ - تَلَكُمُ الْفَتْوحِ
الْعَظِيمَةِ ، وَالْمُنُوحِ الْجَسِيمَةِ ، وَالْمَوَارِفِ الْجَمَّةِ ، وَالْمَوَاهِبِ الْكَرِيمَةِ ، فَتَحَ
هَذَا الْإِبْلَقَ الْفَرْدَ ، وَالْمَرْقَبَ الْمُتَجَاوِزَ فِي الْحِصَانَةِ كُلِّ حَدٍّ ، وَالْعَلَمَ الْبَاذِخَ
وَالْحَصَمَ الْأَلَدَ ، الْمُدَافِعَ مِنْ رَامِ نَزَالِهِ ، وَحَاوَلَ قِتَالَهُ ، بِالْأَسْنَةِ لَدَّ . وَكَانَ
فِيهِ عَلَى مَا أَعْلَمْنَاكُمْ بِهِ ضُرُوبٌ مِنَ الْفَسَقَةِ وَأَصْنَافٍ ، وَأَوْبَاشَ جَمْعَتِهِمْ
الْفِتْنَةِ وَأَخْيَافَ ، وَأَغْمَارَ اسْتَجَرَّهِمُ الطُّغْيَانُ وَأَحْلَافَ ، وَلِصُوصَ نَظْمِهِمْ
عَلَى الْحِرَابَةِ ، وَصَرَّفَهُمْ عَنِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ، الشَّقَاقِ وَالْخِلَافِ ؛ فَرَكَبُوا فِي
الْعَصِيَانِ رُؤُوسَهُمْ ، وَبَذَلُوا فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ نَفُوسَهُمْ ، وَلَمْ يَفَارِقُوا وَقَدْ
أَرَثَهُمُ الْحَقَائِقُ وَجُوهَهَا ، وَحَذَّرَتْهُمْ الْإِيَّامُ صُرُوفَهَا ، تَلْبِيسَهُمْ وَتَدْلِيسَهُمْ ؛
وَتَتَابَعُوا عَلَى الْهَوَى فِي مَسَاقِطِ الرَّدَى ، وَهَدُّوا فَاسْتَجَبُوا الْعَمَى عَلَى
الْهُدَى ، وَتَجَاوَزُوا فِي الْإِنْخِدَاعِ بِجَدَرَاتِهِمُ الْمُنِيفَةَ ، وَالِاسْتِنَامَةَ إِلَى خَنَادِقِهِمُ
الْمُطِيفَةَ ، كُلَّ غَايَةٍ وَمَدَى ؛ فَسَلِكَ مَعَهُمْ عَلَى مَنَاجِجِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ فِي
إِقَامَةِ الْحُجَّةِ ، وَالِدَعَاءِ إِلَى سِوَاءِ الْحُجَّةِ ، وَبُذِلَ لَهُمْ مِنَ الْعَفْوِ وَالتَّأْمِينِ ،

في النفوس والاموال والاهلين ، ما تسكن إليه نفوس المؤمنين ، وتطمئنُ به قلوبُ الموقنين ، وتنشرح له صدورُ الباخعين بالطاعة المذعنين ؛ فأصمَّهم العينُ وأعماهم ، وغرَّهم أملهم الكذوب واستهواهم ، وغلب للشهوة الغالبة عليهم على عقولهم هواهم . فلجؤا في طغيانهم ، واستمروا على خذلانهم ؛ فآلقوا بمقاليدهم وأشطانهم ، إلى مغويهم المضلّ وشيطانهم . فرفهنّا الموحّدين - أعزّهم الله - عن قتالهم ، ورَبَّانًا بهم عن مصاعهم ونزالهم ، ورأينا أنّ محاربتهم بالآلات المتخذة أبلغ في نكائيتهم وإذلالهم ، وأسرع في إبادتهم بعون الله واستئصالهم ، وأخذ فيما يُتمهد مقام الموحّدين - أعزّهم الله - من تأمين المذاهب ، وتسكين المسالك والمسارب ، وحسم كلّ ما يتوقّعه كلّ جاء وذهب ، من العوائق في طريقه والنوائب . فدرّت (١) من كلّ الجهات والجوانب ، وكثرت الاقوات والمرافق بسبق السابق وجلب الجالب ، ولم يعدم الموحّدون - أعزّهم الله - عيشة واسعة ، وخيرات متتابعة ، وأحوالاً نازمة لكلّ خير جامعة ؛ وضاعف الله أجور صومهم وإفطارهم ، وعدّوا مدّة رباطهم أفضلّ ماضٍ من أعمارهم ، واحتسبوها عند الله تعالى أزكى أعمالهم وأنفع أذخارهم . وشرّع في إقامة الآلات المذكورة على اختلاف ضروبها وأشكالها ، وبولغ في تمام أوصافها وكماها ، وتوخّي فيها أن تكون على أحسن ما عهد من أحوالها ؛ فاجتمع منها فوق ما كان الظنّ يقضي بوجدانه ، وتُعجّل في أسرع

(١) هنا وقع قطع نحو نصف سطر في الاصل المنقول عنه .

أوقاته وأعجل أحيانه ، وتهيأ المراد منه على معهود هذا الامر السعيد في
تيسير مقامه وإمكانه . ونحن نتخيل في خلال محاولتها أن ينوب للمردة
ثائب استبصار ، ويزرعهم وازع إقلاع على الغواية وإقصار ، ويصرفهم عن
الارتباك في الضلالة ، والتمادي على الجهالة ، صارف ازدجار وادكار ،
فيسمعهم العفو الرحب المحلّ الفسيح المضمار ، ويروي ظمأهم الصفح
الشامل بكل دعة هطلاء وواكف مدار ؛ فران على قلوبهم ما أرواهم
من الإهمال والاغترار ؛ أفن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقد من في النار ؛
وما ازدادوا إلا ضلالاً وخبلاً ، وتمادياً في الغي واسترسالاً ، وإضاعة
لحظوظهم الدنيئة والدنياوية وإهمالاً ؛ ووعد الله يأبى إلا أن يوبقهم بما
كسبوا ، ويذيقهم وبال ما حملوا من الاوزار واحتقبا ؛ وظنوا أنهم مانعتهم
حصونهم من الله فاتاهم (١)

وفي أثناء ذلك شرع في العمل بالآلات المذكورة فنصبت إليهم
مجانيق ، ينهد من جنادها النيق ، ولا يبيل كلمها ولا يستفيق ، فيذهب
بها كل يوم منهم ومن أسوارهم طائفة منهم أو فريق ، ويصب عليهم منها
عذاب وأصب وحريق ، وتصيبهم منها صواعق لا تستطيع نفوسهم
المحروبة ، وقلوبهم المنحوبة ، صبراً على إحمال بلائها المهلك ولا تطيق .
واستمرت مدة على نكاتها فيهم ، وقتل مقاتلتهم وهذم مبانيهم ، وأحرق
بهم أذاها الملازم من جميع أرجائهم ونواحيهم ، حتى ألحقت بالارض

(١) بت نحو كلمتين أو ثلاثة بسبب القطع المذكور .

مسافات من جدارهم ، وثلمت فرجاً جمّاً في أسوارهم ، وهدمت عدداً من أبراجهم الشاهقة وديارهم ، وأذنتهم بقبابهم وأشعرتهم بدمارهم . وكان لها من عظيم الاثر وكريم الغناء ، ما لم يُعهد في سالف الازمان والآناء ، ولا تيسّر ببركة الامر المطرّد التجدد والنماء ، الدالّ بتصرّف حالاته ، وتطور مأخذه في جزئياته وكتلياته ، على ما لله تعالى به من الاعتناء ، وأنه المؤيّد الغزائم المسدّد الآراء ، المظفر الاحزاب المنصور اللواء .

ولما تُتم بعض الآلات المباركة وكُتِل ، ووُشِح بضروب الاسلحة وجلّ ، وسُتِر بأنواع الخيس الواقعة وظلّل ، قُرب إليهم اُردم حفيهم وتسهيل الطرق إلى هلكهم وتدميرهم ؛ فللفور تمكّن الموحّدون - أعزّهم الله - من خندقهم وسورهم ، وأذهب الله ما كان في ظنهم أُنهم لا يُرامون وتقديرهم ، وهناك أذاقهم المنون ، مرّاً نكالها ، وعرفتهم الحرب الزبون ، عرّك الرحي بثفالها ، وأرّسهم عين اليقين ، حقيقة اصطلامها واستئصالها ، وعرفتهم وخيم مراتعهم في الضلالة وذميم مآلها . وأذني البرج المبارك إليهم يسير إثناء ، فأطلّ على أرجاءهم إطلال الفتخاء ، وخات عليهم فرغاً فوقهم سقف السماء ، ورُموا منه بالموت الزوام والداهية الدهياء ، وكان وإياهم كالبازي المصّرصر فوق نبات الماء ، وتيقنوا بمرآه أن لا طمع لهم في حياة ولا أمل في بقاء ، وأنه يستأصل ما أسارت المجانيق فيهم من دمق وغادرت من دماء ؛ وتهياً للموحّدين - أعزّهم الله - بمكانة توطئته ردم الخندق على اعتدال واستواء ، وجازوا إلى ستارهم

وضرّموا النار بأعلى بُرج ابن زواج ، وهو بمنزلة الاكليل من المدينة والتاج ؛ فاضطرم في جوانحهم من نيران الجزع والهلع كلُّ متوقّد وهاج ، وتعجّل الفتح الميسّر فيهم بفضل الله وباج ، وعند ما تحقّقوا أنّ أخذة الله الرابعة أحاط بهم سرادقها ، وأخذت بمخضّتهم مخاضها ، وطرقتهم بالحوادث النكر والمنايا الحمر طوارقها ، وأظلمت بالازمات الشديدة ، والمهلكات المبيدة ، رواعدها المتلفة وصواعقها ، وأنّ هضبتهم المنيعه قد ملكت عليهم أسوارها وخنادقها ، مدّوا أعناق الاستكانة والخضوع ، وأبدّوا صفحات الانابة والنخوع ، ولاذوا بالآوبة إلى الطاعة والرجوع . وكثُر في سؤال قبول متابهم استصراخهم وتداعيمهم ، وأهلّ بالاسترجام والاستصفاح داعيهم ومناديتهم ، واستنزلوا رحمة هذا الامر العزيز برفع أصواتهم وبسط أيديهم ، متحقّقين أنّ عفوه الواسع أعظم من ذنب مُذنبهم وجناية جانيهم ؛ فشمّلتهم عفوه الذي لا يضيق عن مستقبل تائب مجالّه ، وعمّتهم صفحه الذي لا يتعدّر على مستقبل آتٍ منالّه ، وغمرهم منه الذي لا تتقلّص لمُسْتَفِيٍّ زاعب أفيأوه وظلاله . وبذل لهم من الامان الاتمّ ما أقرّ بجسومهم أرواحهم الداهية ، وردّ عليهم عقولهم الطائشة وألبابهم الغاوية ، وعرفّهم أنّ شيمة هذه الدعوة العلية الاحسان والاسجاح وإن كانت المدركة الغالية .

واندرَج هذا التأمين على الاغزاز وأتباعهم وجميعهم وجميع أهل قفصة وكافّتهم وعامة من كان معهم من قبائلهم وأهل باديتهم ، واستثنى

❖ لكاتب أبي الفضل بن مخشرة عن الأمير يعقوب المنصور ❖ ٢٠٧

المرتدّون المارقون ، والضالّون الميُورقيون ، وكانوا قد اعتقدوا معهم
وارتبطوا ، وانتظموا جميعاً في سلك التآلف والتعصّب وانخرطوا ،
وادّكروا تأمينهم معهم فيما رغبوا فيه وأُشْرطوا ؛ فزوجوا بأن لا أمان لهم
إلاّ بإسلامهم ، وأنّ رحمة هذا الامر العظيم لا تنالهم لعظيم اجترامهم ؛
وأنّ حكم الله الحقّ فيهم تمزيقُ أوصالهم وتضريبُ هامهم . فلما رأوا عين
اليقين أسلّوهم وتبرّهوا منهم ، واغتنموا سلامة حشاشتهم بالافراج عنهم .
وكانوا عدداً كثيراً ، وجمّاً غفيراً ، وجمعاً كبيراً ؛ فغزاهم الموحّدون
- أعزّهم الله - غزواً شفى صدورهم ، وأذهب غيظَ قلوبهم وأعظم
أجورهم ، وضاعف جذلهم وأكّد جبورهم . وعاد إلى ملك الموحّدين
- أعزّهم الله - هذا المعقل الاشبّ ، وقفل هذه البلاد المتنع المستنعب ،
وجامحها الذي لا ينقاد لرائض ولا يصحب ، قد سمّت جدراته ، واحتمت
عن المحاربين جهاته ، وحادثت البروج أبراجه الباذخة وشرفاته ، أربى في
الاباء على كلّ حصن ، وحوى من ضروب الحصانة كلّ معنى لا تؤدّيه
العبارة وفنّ ، إذا شاء فيه شارب مدّ كفه فيغترف الماء الزلال من المزن ؛
ولولا بركة هذا الامر الذي لا يماند ما ذلّ جامحه ، ولا تطأطأ طامحه ،
ولا حوّت المتوقّلين بأذرائه والمتنعين بجنباته السامية وأرجائه ، أجارعه
السهلة وأباطحه ؛ وطال ما اتّخذ الناس سور هذه المدينة وخذقها عُجبا ،
واستمرّ اغترار قاطنها بها سنين متطاولة وحُقباً ، وظنّ الجميع من ساكنيها
وحاضريها ، على تقادّم الايام وتماديها ، أنّ طالبيها لن يستطيع لها طلباً ،

ولا يبلغ من قهرها أملاً ولا ينال من غلبتها أرباً ؛ فأظهر الله فيها من كرامات أمره العزيز ما صير الثقة بمنعمها غروراً ، والحديث عن حصانتها كذباً وزوراً ، وحقَّق أنَّ هذه الدعوة المهدية لا تلقى دون مرادها موانع وإن عظمت ولا حجباً ؛ وكان في أخذها من انخراق العوائد ما غداً أمراً موجباً ، لثبوت إيمان من ضعف يقينه وسدبها . وأيقن أولو البصائر والابصار ، أنَّ حركات هذا الامر العزيز لا تخلو من اعتبار ، ولا تنفك من تنبه واستبصار ، وأنَّها مع تناوب الادوار ، وتعاقب الاطوار ، غير عرية عن إيقاظ العقلاء وإدراك .

وبتملكها تمت هذه الحركة المباركة تماماً على الذي أحسن ، وظهر عظيم صنع الله فيها لاوليائه المؤيدين وتبين ، وتحقق كل مؤمن لطيف عناية الله بهم وتيقن . ولم يبق في هذه الجهات كلها من الاغزاز من ينفخ للفتنة في ضررم ، ولا من يستقبل للسمي إليها على قدم ، إذ أذهبت هذه الغزوة المباركة يوم الفتح الاعظم أنجادهم وأعيانهم ، وتملكت بقابس وقفصة أشدائهم وشجعانهم ؛ فصار جماهيرهم وأهل البسالة والنجدة منهم ، خول الموحدين - أعزهم الله - وعبدانهم ؛ واجتمع منهم عندهم جملة وافرة ، وجماعة ظاهرة ، وأعداد جمّة متكاثرة . وأذهب الله كل ما كان بهذه البلاد من أثر الفتن وغين ، وأبطل ما كان عويها المرید يخدع به الضعفاء من شبهة ومين ، وتبين برهان الحق الباهر ، وصبحه الظاهر ، **نكل** ذي قلب وعين ؛ ومهد التقويم تأمينها وعدل منادها ،

﴿ للكتاب أبي الفضل بن مخشرة عن الأمير يعقوب المنصور ﴾ ٢٠٩

وطرح عن كواهلها ما أثقلها من الحزن وآذاها ، وصيرها إلى معبودها من الهدنة والدعة وأعادها . وظهر من إخوانكم الموحدين - أعزهم الله - من الاقدام على أعدائهم ، والمبادرة إلى مصاعهم ولقائهم ، والتعطش إلى إرهاب نفوسهم وإراقة دمائهم ، ما حملهم عليه خلوص السرائر ، وصحة العقائد والضائر ، واستواء البواطن في طاعة الله تعالى والظواهر . والله تعالى يذخر لهم أجور احتسابهم ، وينفعهم بما قدّموه في هذه الغزوة المباركة من رابح اكتسابهم ، ويُنجزهم ثمرة مساعيهم الناجحة ، وأعمالهم الصالحة ، في حالهم ومآبهم ، بمنه وكرمه .

وعرفناكم - وفقكم الله - بهذه البشائر ، والفتوح العظيمة الاوائل والاواخر ، لتأخذوا من السرّة بها بقسم وافر ، وتوالوا حمد الله تعالى على فضله الشامل ومنه الفامر ، وتستوزعوه سبحانه شكر عوارفه المستفرقة تحمداً الحامد وشكراً الشاكر ، ونعمه التي لا يفي بإحصائها عدُّ العاد وحصر الحاصر . والله تعالى يجعلكم ممن استدام بالشكر الاتم دون إحسانه السابغ وجوده المتواتر ، بمنه ، لا رب غيره .

وكانت - وفقكم الله - أسوار هذه البلاد لهفة على ساكنيها ، وفتنة لعامريها وقاطنيها ، وسبباً لمخنتهم بكل ناعق يروم الانتزاء والامتناع فيها ؛ فربّ نعمة في طيّها نغم ، وراحة ينشأ عنها ألم ملازم وسقم ، وحالة تُظنّ وجوداً وهي في الحقيقة عدم . فأجمع رأي الموحدين - أعزهم الله - على إراحتهم من شرّها ، وإزاحة مكروها عنها وعنهم وضرّها ، وتصييرها في

تمهيد أحوال هديتها ، وتوطيد أسباب معيشتها ، كَسَوَاهَا من البلاد
 وغيرها ؛ فاقتسموا سورَها بالقبائل ، وصَيَّرُوهُ في يومٍ أو بعض يومٍ
 كَرَجَافٍ من الرمل سائل . وإنَّ من أعظم العِبرِ ، وآياتِ هذا الامر
 الكريم الكُبرِ ، أن يسر هدمه في المدَّة المذكورة وما كان يظنُّ ذلك به
 في أمد متناول ؛ والله تعالى يحوط الكافَّة بنظر هذا الامر الشامل
 الكامل . لا ربَّ غيره . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .
 كُتِبَ في الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

الرسالة الثالثة والثلاثون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن مَحْشَرَة المذكور :
 من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أيدهم الله
 بنصره ، وأمدَّهم بمعونته - إلى الطَّلَبَةِ والمُوحِّدين والاشياخ والاعيان
 والكافَّة بمِزَّاكش - أدام الله توفيقهم بتقواه ، وأوزعهم شكر ما منحه
 من فضله وآتاه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ
 وَنِعَمِهِ ؛ وَنُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَرَسُولِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ بِهَذَا
 الْأَمْرِ الْعَزِيزِ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَدَعَائِمَهُ ، وَأَبَانَ بِإِظْهَارِهِ مَنَاجِيهَ وَمِرَاسِمَهُ ،
 وَعَنَى بِهَدَايَتِهِ النِّيرَةِ ، وَدَعْوَتِهِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمُظْفَرَةِ ، رُسُومَ الضَّلَالِ وَمَعَالِمَهُ ،
 وَقَرْنَ بِتَأْيِيدِهِ الْمُنْتَظَّاهِ ، وَتَسْدِيدِهِ الْمُنْجَزِ الْمُؤَاذَرَ ، مُنَاجِيَهُ وَعِزَّائِمَهُ ،

وتحكم في أفئدة الملحدين ، وطلى الفسقة المرتدين ، مناصله وصوارمه ،
وهدى بأيدي أوليائه الموحدين ، وأشياعه المناضلين في سبيله المجاهدين ،
مباني الكفر وقوائمه ، وقطع بهم علائقه وشكائمه ، وقصّ بنصرهم آية
سلكوا وتأيدهم فيما أخذوا أو تركوا خوافي الشرك وقوادمه ، وسكن
بهذه الحركة التقويّة مرتجّ بحر الفتن بهذه الأرجاء الافريقيّة ومتلاطمه ،
وأطفأ من سعيها المحترمة ، ونيرانها الملتبهة الملتطمة ، ما أرثت الضلالة
وقوده وأججت الغواية جاحمه ، وأوطأ بسباسبها اللقاح ، وفراقدها
التي أنفت التجاوز والطاح ، سنابك عرمرمه اللّهام ومناسمه ، وجعل
الجحافل والمقائب ، والقبائل الجمّة والكتائب ، أنفاله ومغانمه ، ونظم في
حبل مقاده ، وعلى طوع إثارة وحكم مراده ، كرامة الابطال ، وآساد النزال ،
وضراغمه ، وأفاء على أحزابه المفلحين ، وأوليائه المؤيدين المنجحين ،
عجائب النفل وعظائمه ، ونعمه الحمر ونمائمه ، وذخر لهم أجوره
وأجزل عندهم غنائمه ؛ والصلاة على محمد نبيه المصطفى ، ورسوله الاكرم
المجتبى ، الذي أراح الله به سحاب الكفر وغمائمه ، وأذهب بنبوءته الخاتمة
لانبوءات وشريعته الناسخة للعلل والديانات ، قوادح الشرك وقواصمه ،
وأضاء بأنوار حنيفيته السمحة القياد ، ونذارته المصلحة المبدأ والمعاد ، مسودّ
غنيب العمى وفاحمه ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ،
الذي نظم الله به من روابط العقائد والضائر ، ما حلّ الضلال مناظمه ،
وطهر بهديه عن نواظر القلوب والبصائر ، متكاثف زين الهوى ومتراكمه ،

وجلّى بأضوائه المهدية ، وعلومه الواضحة جليلة ، مدّ لهم ظلام الجهل وعاتمته ؛ وعن صاحبه الاهدى ، وخليفته الاعدل الارضى ، سيّدنا أمير المؤمنين الذي شاركه في نسبه الكريم وقاسمه ، وعاونه في تمشية أمر الله تعالى وساهمه ، وأعمل في إعلاء كلمته وتمهيد أمره ودعوته قواضيه ولهاذمه ؛ والدعاء لسيّدنا الامام أمير المؤمنين بن سيّدنا الخليفة أمير المؤمنين الممنوح من الانتهاض بخلافته ، والوفاء بعظيم أمانته ، خصائص الارتضاء وكرامته ، بنصر تمرّ له السعود المساعدة ، والحدود السامية الصاعدة ، متصلة ودائمة ، وتأيد لا يزال يكبت مقاومه ، ويرغم مراغمه ، ويستنجز له من وعد الله الصادق ما يعرفه تصاحب الفتح المبين في كل مروم وتلازمه .

وإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من مسرّات هذا الامر العزيز ما تملأ بشراه أسمعكم ، وتعمّر ذكراه أصقاعكم ، ويجعل على بثّ منحه ونشرها ، وذكر نعمه التي لا يحصّيها العدّ وشكرها ، انتظامكم أبداً واجتماعكم - من منزل أبي سعيد - يثمنه الله - ونحن نحمد الله تعالى على ما يسّر من محاولات هذه الغزوة السعيدة وسهّل ، وتمّم من أرغابها الحميدة وكمل ، وأولى من عوارفه الجسيمة فيها وأجل ، حمداً يكون كفاء لما خوّل من إحسانه الاتمّ وأجزل . والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكّل عليه .

وكانت - وفقكم الله - هذه الحركة السعيدة التي آلت بها أمور هذه الأرجاء خير ما لها ، وأقرّت لها قدوم الكفر بعد تخطّطها وصياها ،

وأذاقت زعماء الكفرة ، وصناديد الفسقة الفجرة ، وبال أمرها وصائب
نكالها ، واسترجعت من البلاد المفتصة ، والاقطار المنتهبة المستلبة ،
ما امتدت الايدي الظالمة إلى اختلاسها واغتيالها ، على ما أغفلناكم به من
التجرد فيها لنصرة الدين وحمايته ، وإزهاق الباطل وإبادته ، وإحياء الاسلام
الذاهب بهذه الاصقاع وإعادة ، وتحقيق التوكل فيها على إيجاد الله
وإعانتة ، والتمقة بما وعد سبحانه من تبرأ من الحول والقوة إليه من عضده
وكفائته ، وإرشاده في كل مقصد وهدايته ؛ فسنى - جلّت قدرته - فيها
من لطفه الخفي ، وصنعه الجلي ، وفتح السني ، من حيث لا يحتسب لأمره
العلي ، ما تواترت به مخاطبتنا إليكم ، وأوردناه على معنى الاقتضاب عليكم ،
وعرفناكم بما ولاه سبحانه من فتوح تناسق ورودها ، وتلاحقت
وفودها ، وتلاحقت على التيسير والتسهيل قلائدُها وعقودها . وأبلغنا
لكم نبذ مما كان فيه من الخوارق التي لا شبيه لها ، والحقائق المنبهة لمن
تدبرها وتأملها ، على أن هذه الطائفة المباركة هي المنصورة المصيبة
المفتوح لها التي لا يضرها من خالفها ولا من خذلها . وإن من أعجب
العجائب وأعرب الغرائب ، وأبدع الأمور التي لم يُعهد مثلها في العصور
الدواهب ، ولا تعلق بها لبعدها أمل أمل ورغبة راغب ، أن كانت
الجحافل المجردة في هذه الغزوة السعيدة بعض المغانم ، والعساكر الجمّة
مقودة بشكائم الغلبة والخزائم ، وأهل البسالة والنجدة ، والحماسة المشهورة
والشدة ، مسوقين في ربق الخضوع والنخوع كالحنود النواعم ؛ وما ذلك

إِلَّا يَسِرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ أَرْغَمَ لَهُ بِهِ شَمَّ الْمَعَاطِيسِ ، وَأَذَلَّ لِرَهْبَتِهِ وَهَيْبَتِهِ كُلَّ جَاوِحٍ شَامِسٍ ، وَاسْتَنْزَلَ بِعِزَّتِهِ وَسُطُوتهِ مَنْ اعْتَصَمَ بِشَمِّ الْبَوَاذِخِ وَنَازَحَاتِ الْبَسَابِيسِ .

وَكُنَّا - وَفَّقَكُمُ اللَّهُ - قَدْ عَرَّفْنَاكُمْ بِمَنْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ بِقَابِيسٍ - كَلَاهَا اللَّهُ - مِنْ الْأَغْزَازِ وَمَنْ اسْتَنْزَلَ مِنْهُمْ بِقَفْصَةٍ - حَاطَهَا اللَّهُ - وَهُمْ مَعْنَى مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِهَذِهِ الْجِهَاتِ وَأَعْيَانُهُمْ ، وَجَاهِيرُهُمْ وَفِرْسَانُهُمْ ، وَأَشَدُّ أَوْهُمْ الْمُشْهُودُونَ وَشُجْعَانُهُمْ ؛ وَقَدْ انْتَضَمَ كُلُّ الْعَفْوِ رِئِيسَهُمْ وَمَرْؤُسَهُمْ ، وَمَلِكُ غَامِرِ الْإِحْسَانِ ، وَشَامِلِ الْإِمْتِنَانِ ، قُلُوبِهِمْ وَاسْتَحَقَّ نَفُوسَهُمْ ، وَظَهَرَ مِنْ تَوْحِيدِهِمْ وَمَتَابِهِمْ ، وَرَجُوعِهِمْ عَنِ الْغَوَايَةِ وَإِيَابِهِمْ ، مَا يَسْتَدْرِكُونَ بِهِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي خِدْمَةِ الْأَمْرِ السَّعِيدِ صَلَاحَ حَالِهِمْ وَمَأْجِبِهِمْ . وَقَدْ اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ كِتَابَةٌ جَائِزَةٌ ، وَفِيْلَقُ شَهْبَاءٍ ، وَجَعْفَلُ نَجْبَاءٍ ، تَرْتَمِصُ مِنْهُ الْإِبَاطِحُ وَيَفْضُلُ مِنْهُ الْفَضَاءُ ، وَحَصَلُوا فِي مَلَكَةِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ بِكَافَّةِ أَسْوَاحِهِمْ ، وَجَمِيعِ مَنْ مَعَهُمْ وَمَا عِنْدَهُمْ مِنْ بَنِيهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَكُلُّ مَنْهُ قَدْ اسْتَعْبَدَهُ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَاسْتَرْقَّه ، وَاسْتَوْجِبَهُ بِالْغَلْبَةِ الْقَاهِرَةِ وَاسْتَحَقَّه ، وَمَنْحَهُ بَعْدَ الْمَلِكِ ، وَالْإِشْفَاءَ عَلَى الْهَلِكِ ، حَيَاتَهُ وَعَتَّقَهُ ؛ وَقَدْ قَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - غَنَمًا يَرُوقُ أَهْلَ الْمَغَارِبِ مَنْظَرُهُ ، وَمَرَأًى يَقْصُرُ عَنْ مَشَاهِدَةٍ خَبْرُهُ ، وَدَلِيلًا عَلَى عَظِيمِ الْمُنَّةِ فِي التَّمَكِينِ مِنْ نَوَاصِيهِمْ ، وَكَرِيمِ الْمُنْحَةِ فِي اسْتِزَالِهِمْ مِنْ صِيَاصِيهِمْ ، لَا يُطْلَبُ بَعْدَ عَيْنِهِ أَثَرُهُ ، وَأَنَّهَا لَفَتْوحٌ خَرَقَتْ الْمَعْتَادَ ، وَتَجَاوَزَتْ الْأَمَلَ وَالْمَرَادَ ، وَأَرَبَى

﴿للكاتب أبي الفضل بن مخشرة عن الأمير يعقوب المنصور﴾ ٢١٥

ميسرها العجيب ، ومسهلها الغريب ، على ما يتمنى مخير أن يكون وزاد .
والحمد لله على نعمه المتواترة الاطواد ، حمداً يمتري التضاعف من فضله
والازدياد ، ويتجاوز في ترداد ذكرها ، وتعداد شكرها ، الغايات البعيدة
والآماد ، بمنه ، لا رب غيره .

ولما أجمع الله مقاصد هذه الحركة الميمونة التي رفع منارها ، وحسن
بفضله ورحمته آثارها ، ووقف على إعلاء دينه وتمهيد أمره وتمكينه إيرادها
وإصدارها ، وكان فتح قفصة - مهدها الله - لبنة تمامها ، ومسكة ختامها ،
وأقصى رومها ونهاية إقدامها ، ولم يبق للفتنة بهذه الجنبات من عين ولا
أثر ، ولا لغواتها الشقاة استقلال فيها بورد ولا صدر ، وكل تمهيدها
بعون الله وتوطيدها على أوفى بغية وأتم وطر ، رأينا - والله المستعان -
أن من كمال النعمة على أهل هذه الأرجاء ، وتمام ما يراد لهم من اطراد
الامنة وسكون الدهماء ، وتمشي تسديد أحوالها على ما يعود عليهم بانسباط
الامل وامتداد الرجاء ، أن يتلوم بها إلى استحصاد زروعها التي آذنت
بكمال الرفع والنماء ، وحملهم الامر الشامل ، والرأي الكامل ، على البلوغ
إلى غاية الاستكثار منها والانتفاء ، وازدعاع جميع محراثهم على الاستيعاب
والاستيفاء . وعيننا لهم في خلال ذلك من الطلبة - أعزهم الله - من
رجونا استضلاعه بما أسندنا إليه من أمورهم ، وانتهاضه بما نطنا به من
مصالح كافتهم وجمهورهم ، وقد رزنا اكتفاه بما قلدناه من النظر الشامل
لمواسطهم وثغورهم .

ثُمَّ اسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - لِمُطَالَعَةِ
أَحْوَالِهَا . وَتَرْتِيبِ أَشْغَالِهَا . فَكَانَ مِنْ بَرَكَهٖ قَصْدُهَا وَعَيْنُ احْتِلَالِهَا أَنْ
أَرَّتْ السَّعَادَةَ لِقِبَائِلِ عَنُوفٍ وَالشَّرِيدَ مِنْ سُلَيْمٍ - وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ - مَحْيَاهَا ،
وَأَنْشَقَّتْهُمْ رَائِحَتَهَا الْعَبْقَةَ وَرِيَّاهَا ، وَسَفَرَتْ لَهُمْ عَنْ نُورِهَا الْبَاهِرِ وَسَنَاهَا ؛
فَمَشَوْا مُسْتَبْصِرِينَ إِلَى أَضْوَائِهَا ، وَهَدَوْا مُسْتَرْشِدِينَ بِهَدْيِهَا الْمُنْجِي مِنْ
مَدَاحِضِ الْفِتَنِ وَأَهْوَائِهَا ، وَانْخَرَطُوا مُسْلِمِينَ مُسْتَسْلِمِينَ فِي سَلَكِ طَائِفَةِ
هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْعَلِيَّةِ وَأَوْلِيَائِهَا . فَكَانَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَدْ حُفِّمَ ، وَأُورِيَ
بَعْدَ الصَّلُودِ وَالْإِكْبَاءِ قَدْ حُفِّمَ ، وَبَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَائِقُ فَجَرَّهُمُ الْمُسْتَنِيرُ
وَصَبَّحُهُمْ ، وَلُقُّوا مِنْ قَبُولِ هَذَا الْأَمْرِ الْغَزِيرِ وَإِقْبَالِهِ ، وَتَأْمِينِهِ الشَّامِلِ
وَإِجْمَالِهِ ، مَا اسْتَمَرَّتْ بِهِ عَوَائِدُهُ الْكَرِيمَةُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِجِبَالِهِ ، وَآوَى إِلَى
رُكْنِهِ وَاسْتَنْدَ إِلَى ظِلَالِهِ . وَهَاتَانِ الْقَبِيلَتَانِ - وَفَقَّحَهُمُ اللَّهُ - صَدْرُ سُلَيْمٍ
وَكَاهِلُهُمْ ، وَأَسْنَنَتُهُمُ الْمَذْرُوبَةُ وَعَوَامِلُهُمْ ، وَمَقْدُّمُوهُمْ عَلَى قَدِيمِ الْإِيَّامِ
وَأَوَائِلُهُمْ ؛ وَبَانِقِيَادِهَا بِحَوْلِ اللَّهِ يَنْقَادُ أَبْيُهُمْ وَيَسْتَبْصِرُ جَاهِلُهُمْ ، بِعَيْنِ
اللَّهِ وَفَضْلِهِ .

وَمَا زَلْنَا - وَفَقَّحَهُمُ اللَّهُ - وَهَذِهِ الْآفَاقُ الْإِفْرِيقِيَّةُ مُطَالَعُ الْعِزْمَاتِ
الْمُؤَيَّدَةِ ، وَمَأْمُ الْمُقَاصِدِ الْمِيْمَنَةِ الْمُسَدَّدَةِ ، وَمَجَالُ الْفِكْرِ الْمُعَانَةِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ
الْمُنْجِدَةِ - نَلْتَفِتُ إِلَى تَلَكُمُ الْأَرْجَاءِ ، وَنَصْرِفُ إِلَيْهَا جَانِبًا مِنَ التَّهَمُّمِ وَالْإِعْتِنَاءِ ،
لِتَأْخُذَ كُلُّ جِهَةٍ بِقِسْطِهَا مِنَ النَّظَرِ النَّافِعِ ، وَالتَّقْوَى الْعَامَّةِ الْجَامِعِ ، عَلَى
سِوَاءٍ ؛ فَعِنْدَ مَا أَبْرَأَ اللَّهُ تَعَالَى سَقَمَ هَذِهِ الْبِلَادِ وَاعْتَلَّالِهَا ، وَرَأَبَ ثَاءَهَا

وأصلح اختلالها ، وأباد أعداءها ومحق أقتالها ، تمين النظر لسواها ،
ووجب تسديد الغزائم إلى غير مرماها ، واستدعت الاحوال المحاولة ،
والمصالح المزاولة ، أن يعمّ الالتفات الكريم أقصى بلاد أهل التوحيد
- بسطها الله - وأدناها ؛ فاستخرنا الله على أن تعمل إلى الجهات الغربية
المطية ، ويقرب بصلة التأويب بالاسناد خرقها النطية ، وتطوى بأيدي
السبق العناجيج ، والمضمر الهاليج ، شقتها البعيدة ومداهها القصي .
فاستبشروا - أعزكم الله - بقدم إخوانكم الموحدين ، واشكروا الله
تعالى على ما ذخّر لهم من نصره الدين ، وحمّده سبحانه على إعلاء كلمته ،
وإظهار دعوته ، بأيدي أنصار الحق وأوليائه المؤيدين ؛ فقد أحرزوا
- والحمد لله - من أجر هذه الغزوة السعيدة وفخرها كل خصل ، وتقابوا
في تضاعفها من رحمته سبحانه في أسبغ من غامر وطّول ، وانقلبوا والله
المشكور بعمّة منه - جلّت قدرته - وفضل . واعلموا - وفقكم الله - أنهم
وإن آبوا إلى ديارهم ، وعادوا إلى محال سكناهم ومواطن استقرارهم ، فإن
صدورهم معمورة بنية الجهاد ، في جهارهم وإسراهم ، وعزماهم مصروفة
إلى التأهب له والاستعداد ، في إيرادهم وإصدارهم ، وأجورهم بيمين الله
موفورة على ما ينوونه من حسبتهم في سبيله تعالى وإيتجارهم ؛ والرب يبلغ
الامل في مكافئة أعدائه ، والمناخلة لأعزاز دينه وإعلائه ، وإظهار أمره
على كل معاند وجاحد وإسمائه ، بمنه وفضله .

وعرفناكم - وفقكم الله - بهذه الموارد الجمّة ، والمواهب المستكملة

المستتمّة ، لتأخذوا بحظكم من المشاركة فيها ، وتضربوا بسهمكم في شكر موليها - جلّت قدرته - ومُسَنِّها ، وتعتبروا بما أظهر الله فيها من آياته ، وعرف من عنايته ، وأنجح من مقاصد هذا الامر العزيز ومراماته ، وأبداه سبحانه من إعلاء مقامه وإبانه كراماته ؛ فأقدروها حق قدرها ، وأشيدوا في جميع نواحيكم بواجب حمدها وشكرها ، وخاطبوا بها إلى كافّة جناتكم معلمين ببشّائها ونشرها . والله يُعينكم من موالاة حمده ، على ما يجزل حظوظكم من رفته ، ويهديكم إلى اتباع سبيل رضاه وانتهاج قصده ، بكرمه وجوده ومجده ؛ لا ربّ غيره . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب في العاشر من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

الرسالة الرابعة والثلاثون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن مخشرة المذكور :

من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أيدهم الله بنصره ، وأمدّهم بمعونته - إلى الطلّبة والموحّدين والاعياز والاشياخ والكافّة بسبّته - أدام الله توفيقهم وكرامتهم بتقواه ، ويسّر لما يحظي برحمته ويذني من رضاه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعدُ فإنّا نحمد إِيَكُم الله الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه وننعمه ، ونصلّي على محمّد نبيّه المصطفى ورسوله . والحمد لله الذي أرغم لهذا الامر العزيز شَمَّ المعاطس ، وألان بأيّده قباج الجالّح الشامس ،

وأخضع لعزته وسطوته كلَّ جيد متطاوّل وأخشع كلَّ لحظ مشاوس ،
وحكم بظهور أمره ، واستيلاء غلبته وقهره ، على ما توقّل في الشّم الشواخ
وتوغّل في البيد البسابس ، ويسرّ له من الفتوح الحارقة للعادة ، المقودة
بزمامي البركة والسعادة ، ما تجاوز تقدير المقدّر وقياس القأس ؛ والصلاة
على محمد نبيّه المصطفى ، ورسوله الاكرم المجتبى ، المختار من أشرف المحاد
وأطيب المغارس ، المسكت بفُرقانه المعجز ، وبيانه الموجز ، كلّ نافس ،
والماحي بنور نبوّته الخاتمة لليل ، وشريعته الناسخة للاديان والنحل ،
مظلمات الغياهب ومُدلّهَمات الخنادس ؛ والرضا عن الامام المعصوم ،
المهديّ المعلوم ، الذي أحى الله به من مراسم الاسلام كلّ دارس ، وأبان
بظهوره من معالم الايمان ، ومناهج التوحيد والايقان ، كلّ طاسم طامس ،
وختم بأن لا نجاة في العاجلة ، ولا مفاز في الآجلة ، لتوقّف عن طاعته
متقاعس ؛ وعن خليفته سيّدنا الامامين أميرَي المؤمنين المخصوصين
من تمشية أمره ، وصلة عضده ونصره ، بالمقامات العلية النفاّس ، المحبّون
من الانتهاض بخلافته ، والقيام بعهوده وأمانته ، بالكرامات الموقوفة
عليها الحبائس ، المظهرين لكلمته العالية ، ودعوته المستمرة إلى قيام الساعة
الباقية ، في أشرف الرؤاء وأفخر الملابس .

وإنّا كتبناه إليكم - أسمعكم الله من بشر هذا الامر العزيز ما يفهم
أرجاءكم طيبه ، ويقوم بأكنافكم خطيبه ، ويتمهد لكم في ضلالة غُضِر
العيش الارغد وطيبه - من حضرة إشبيلية - حرسها الله تعالى - والذي

نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، واليقن بأن الله تعالى في محاولات هذا الامر العزيز أسراراً يُسلم المؤمنون لها ، وينتج السعداء الموفقون مناهجها اللاحقة وسبلها ، ويتحقق الصادقون الموقنون أن الخيرة التامة ، والمصلحة العامة ، لا تعدو مجملها ومفصلها ، ثقة بما أنسوه من أنه سبحانه يوضح لاوليائه المسددين مشكلها ، ويفتح مقلها ، ويحملهم على ما يصني للمسلمين مورد الامنة ومنهلها ، بحيث لا يمسهم نصب ولا قدح ، ولا ينالهم إكداء ولا كدح ، ولا ينيهم نصر ولا يتأخر عنهم فتح ؛ والله المحمود على ما أولى من صنعه وآزره عون وظاهره نجاح ؛ لا رب غيره .

وكنّا - وفقكم الله - عزّمنا في هذه الحركة السعيدة على غزو الكافر بهذه الجزيرة من جميع أرجائه ، واستعانت به سبحانه على إبادته وإفناؤه ، واستنجاز وعده الكريم في إظهار حزبه وتأييد أوليائه ؛ فاستنفرنا الموحدين - أعزهم الله - وإخوانهم العرب - وفقهم الله - وبعض القبائل من الرعيّة - حاطهم الله - فبادر كلهم بنيات صادقة ، وعزائم إلى اغتنام الأجور مسابقة ، وضائر لكل مشوب وريب مباينة مفارقة . واستفجّلنا النهوض بمن حضر من جميعهم ، ولم يقتض البدار والانحياز التلوم لاستدعاء بعيدهم والاستكثار من جموعهم ، على أنا - وفقكم الله - لا نعتد بالكثرة ولا نعتمد عليها ، ولا نسكن إلى الاعداء ولا نركن إليها ، ولا نقاتل إلا بالله وحده ولا نعوّل إلا عليه ، ولا

نطلب النصر والعون إلا من لديه ، ولا نستند في إظهار دينه وتمهيد أمره الحق وتمكينه إلا إليه ، نية استحكمت فيه تعالى بصيرتها ، واستمرت على إعلاء كلمته مريرتها ، واستوت في الثقة به سبحانه والاعتماد على عونه - جلّت قدرته - علانيتها وسريرتها ؛ فكان ممّا أظهر الله تعالى في مبادئ هذه الحركة الميمونة ، وعرفه من محاولاتها الميسرة وفتوحها المضمونة ، أن قذف في قلوب الكفرة رغبها ، وقدم إليهم قبل الاطلاع عليهم طعنها وضربها ، وأعمل فيهم والعوامل لم تسدد ، والصوارم لم تجرد ، حذها وغربها ؛ فطارت نفوسهم شعاعا ، ونجبت أقدسهم ارتياحا ، وصاروا بحمد الله فرقا مشتتة وأوزاعا ، وتفري أديم اجتماعهم وانتظامهم فلا وتمينا بقلب وانصاعا ؛ فلاذوا بالخضوع ، واستخبؤوا بالخوع ، وتيقنوا أن أمر الله القاهر لا تعصم منه سابقات الدروع ، ووافرات الجموع ؛ فكل منهم داخل من يليه من الطلبة - أعزهم الله - رغباً في أن يشفع له ، وفي أن ينال من الاعتلاق بذمة هذا الامر العزيز أملة ؛ ووصل بعض زعمائهم ورؤسائهم منتظماً في سلك من استخدمه الامر العلي واستعمله .

وسارع عظيمهم صاحب قشالة إلى مخاطبتنا مستأذناً في إرسال رسله إلينا ، ليؤدوا عنه رغبته في التمسك بحبل هذا الامر العظيم وذمته ، وحرصه على الانقطاع إلى جنبه والاستناد إلى هضبته ، وأنه يخدم الموحدين - أعزهم الله - بمحاربة أهل جلده ، ومقاطعة أهل ملته ؛ فراجعناه بالاذن له في ذلك لنرى رأينا في حربه أو هدنته . وشرع الموحدون - أعزهم

الله - في حركتهم ، واستقبلوا سعيد وجهتهم ، محتسبين لغدوتهم في سبيل
الله وروحهم ، متوكلين عليه سبحانه في إنجاح سعيهم وتأيند عزمتهم ،
والمسرّات تتلقّاهم وفودها ، والخيرات تتوالى عليهم ورودها ، والبشائر
يُربي على سالفها مستأنفها وجديدُها ؛ والحمد لله على ذلك حمداً يستدرُّ به
تضاعف النعم ومزيدُها ؛ لا ربَّ غيره .

ولمّا وُصِّلَ إلى قصر المجاز - يَمْنَهُ الله - وَصَلَ أرساله إلى إشبيلية
- حاطها الله - ولقوا الموحّدين مع طلبتها - أكرمهم الله - وأوصلوا
خطابه يفصح بأنّهم زعماء قومه ، الذين يعتمد عليهم في نقضه وإبرامه ،
ويشيق بهم في أحكام ما يازمونه وإحكامه ، وأنّه ألقى إليهم مقاليد تفويضه
في كلّ ما يربطونه إليه واستسلامه ؛ فسُمعَت مقالتهم ، واستوعبت رسالتهم ؛
فأنهوا ما حملهم صاحبهم من الاعلام بما عنده ، وقدّروا غرضه في خدمة
أمر الله وقضده ، وذكروا أنّه متى استدعي إلى مشاركة نفسه أو رجاله
بادر إلى اقتفاء ما رسمه الامرُ العزيز من ذلك وحده ، فرأينا بعد استخارة
الله تعالى أنّ من النظر العام المصلحة للمسلمين تشتّت أعدائهم ، وتفرّق
كلماتهم واختلاف آرائهم ، وأنّ من أعظم المعونة عليهم تقاطعهم وتباين
أهوائهم . فأمضينا له السلم على ما فيه العزّة لله ولأمره ، وعلى وجه
يؤذن بحول الله بوقم العدو وقهره ، والله المشكور على ما حوّل من
تسهيله وعونه ويسره ، لا ربَّ غيره .

وكان ابن عمّه ومُناهزُهُ في رتبته عند قومه صاحبُ ليون في مُهادنة ؛

فرغب في تجديدها ، وخاطب ضارعا في تقريرها له وتمهيدها ؛ فأسعفناه برغبته وقوفاً عند شروط المصالحة ووفاء بمهودها . وتجرد العزم لغزو عدو الله ابن الرقيق إذ هو أقرب دارا ، وأصعب جوارا ؛ فصرفنا إلى بلاده أعنة القصد ، ولفتنا إليها وجه الاعتزام والصدّة ، ورجونا الله تعالى في استئصال جهته بالاكساح وشوكته بالحصن ، والله المحمود على ما أولى من المعونة في ذلك والعرض ، لا ربّ سواه .

واستمرّ الموحدون - أعزّهم الله - على مسيرهم إلى قرطبة - كلاًها الله - فخطّوا بها أثقالهم وأخذوا منها أزوادهم ، وجدّدوا بها تأهّبهم واستعدادهم ، وأقاموا فيها أيّاماً استوفوا فيها غرضهم من ذلك ومرادهم ، ونهضوا منها على بركة الله وعونه ، وتوفيقه ويمنه ، والبشرى تطالعهم بقسماتها الوسيمة ، ومقدمات الفتوح تؤذّنهم بنتائجها الكريمة ، وتيسيره سبحانه يعمدهم بما منحهم من منّة جمّة وعارضة جسيمة ، لا يقطعون وادياً إلّا عظم به أجرهم ، وربح عند الله تعالى تجرهم ، وزكا لدينه سبحانه عملهم وكرم ذخريهم ، إلى أن أجازوا وادي تاجو على بركة الله وتوفيقه وعونه - جلّت قدرته - لهم مصاحب ، وصنعه الكريم مؤازر مواكب ؛ وقصدوا مزرعة شنترين - فتحها الله - فانتسفوا زروعها ، واستأصلوا بالاخت والتدمير جميعها ، وثناولوا بالاحراق والتخريب منازلها وزروعها . ثمّ نهّدوا إلى قلعةٍ للاعداء تُسمّى طرش على هضبة منيفة المراقب ، هسامية للكواكب ، قد انقطعت حافاتها ، وبمدّت قذافها ، من كلّ

الارجاء والجواب ؛ ولعظمها ومكانها من نفوسهم أشبوها بالبناء الشاخ
وحصنوها ، وألقوا بها جموعهم المؤتشفة ووثقوا بها على حفظ نفوسهم
وأموالهم واثمنوها ، واعتدوا قفل بلادهم فخانتهم بحمد الله آمالهم التي
أملوها في استقصائه وكذبتهم ظنونهم التي ظنوها . ولقد كانت من المنعة
بحيث لا ترام ، ولا يهتضم المتوكل فيها ولا يستضام ، ولا تثبت لمحاربتها
لوعورة مراقبها وجوانبها الأقدام ، لولا سمود هذا الامر الذي تؤيده
الاقدار وتنجده الايام ؛ والحمد لله على ذلك حمداً تستنجز به المن
وتستدام ، لا رب سواه . فنازلها الموحدون - أعزهم الله - أصدق
نزال ، وصالوا على كفرتها أعظم مصال ، وصدقهم القتال صدقاً أزال
من نفوسهم كل زور انخدعوا به في الامتناع وخيال .

وعند ما عضت الحرب الضروس بها ، وجرعتهم أكثوس مقرها
وصابها ، وأذنتهم بخلاف أنفسهم الحبيثة وذهابها ، مدوا أيديهم إلى رحمة
هذا الامر الذي لا يتوقف عن مستطرها واكف سحابها ، ولا ينهب
لطالبها وسيع بابها ؛ ورغبوا في أن يخرجوا بحشاشتهم ومن معهم من نسائهم
وذريأتهم ، ويفرجوا للموحدين - أعزهم الله - عن كل ما اشتمل عليه
حصنهم من أموالهم وأقواتهم ؛ فأجبنهم إلى ذلك لما ظهر فيه من النظر ،
وليكونوا لقومهم وأهل ملتهم من المثلات والعبر ، وليحدثوا من وراءهم
بما شاهدوه من عظيم الآيات والنذر ؛ فيزيدوهم ذعراً إلى ذعرهم ،
ويصدقوهم فيما عاينوه من أمر الله شر نكرهم ، ويؤذونهم بخراب ديارهم

وذهب أمرهم . وألّفى الموحّدون - أعزّهم الله - فيه عدداً من خيولهم
 وأسليحتهم ، وأمواهم وأمتعتهم ، وفتح الله على هذا الوجه الكريم
 لآلئائه ، وقسم بقهره ظهور أعدائه ؛ وأشعر الكافر ابن الرّيق باستباحته
 من أمامه وورائه . ووجد الموحّدون - أعزّهم الله - هذه المدينة المذكورة
 قد أخذت زخارفها ، ولبست من النضرة حللها الرائقة ومطارفها ،
 وتوشّحت رباها ووهادها من غروسها وكرومها بما أعجب مبصرها وأعجز
 واصفها ؛ فابتزوها بهجة تلك الملابس . وألحقوها بغربات المهامه ومفقرات
 البسابس ، وغادروها بلاء وعفاء كأن لم تغن بالامس الدابر الدارس .
 ثمّ توجهوا منها إلى مدينة طمار ، وهي من القواعد المنيعة ، والبلاد
 المخصبة المريّة ، ذات كروم وثمرات ، ومحارث جمّة ومزدرعات ، وبسائط
 واسعة ومناظر رائقات . فأعدّتها أختها للخراب كالهرباء ، وصارت مثلها
 كالحرّة السوداء ، واضطربت فيها نار الدمار والتهار من جميع الجوانب
 والأرجاء . وفي خلال المقام عليها ، وأثناء التّعفّية لآثرها . كانت سرايا
 الموحّدين - أعزّهم الله - تخرج يمينا وشمالا ، وتجوس من بلاد أعداء الله
 شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ، وتحلّ بهم القوارع والفوارق إصغاراً لهم
 وإذلالاً ، والكفرة منجزون في حصونهم الاشبية ، ومعاقلهم المستعصبة ،
 يخنون ضلوعهم على جحيم الحسرة المضطربة الملتهية ، لا يستطيعون دفاعاً ،
 ولا يملكون ذباً عما نزل بهم ولا قراعا ، قد صفّرت من أقواتهم أيديهم ،
 واكتسحت أنعامهم ومواشيهم ، واستعرت بنيران الخراب والتهاب

أَرْجَاؤُهُمْ وَخَوَافُهُمْ ، وَحَلَّ بِهَا مِنَ الدُّرُوسِ ، وَالْعَفَاءِ وَالطُّمُوسِ ، مَا يَبْعَدُ
مَعَهُ اسْتِدْرَاكُهُمْ لِمَهَارَتِهَا وَتَلَاْفِيهِمْ ؛ وَمَلِكُهُمْ ابْنُ التَّرِيقِ بِشَنْتَرَيْنِ
- أَعَادَهَا اللَّهُ - مَلَاْزِمٌ لَانْجَحَارِهِ ، مُسْتَكْنٌ فِي وَجَارِهِ ، مَدَّرِعٌ جَلَابِيبُ
خَزِيهِ الطُّوِيلِ وَعَارِهِ ، لَا يَبْرُزُ لِمُقَارَعَةٍ ، وَلَا يَظْهَرُ لِمُصَاعَاةٍ ، وَلَا يَبْدِي
مِنْ جُمُوعِهِ الذَّلِيلَةَ ، وَجُنُودِهِ الْقَلِيلَةَ ، أَحَدًا لِمُنَاْزَلَةٍ أَوْ مُدَافَعَةٍ ، قَدْ أَلْقَى
لِلْحَادِثَةِ بِيَدِهِ ، وَطَأْمَنَ أَحْشَاءَهُ ذَلًّا وَصَفَارًا عَلَى كَمَدِهِ ، وَجَعَلَ الْإِسْتِتَارَ
عَلَى قَرِيَّتِهِ الْمُحَصَّنَةِ وَالْإِلْتِجَاءَ إِلَى جِدْرِهِ الْمُنْعَةِ أَعْظَمَ مَعْتَمِدِهِ ، فِي الْإِبْقَاءِ
عَلَى حَشَاشَتِهِ التَّالِفَةِ وَأَكْبَرَ مُسْتَنْدِهِ ؛ وَقَدْ أَقْصَدَتْهُ جُنُودُ الْحَقِّ وَكُتَابُهُ ،
وَانْتَشَرَتْ بِجَهَاتِهِ الْمُسْتَبَاحَةُ جَوَافِلُهُ وَمَقَابِلُهُ ، وَتَدَكَّكَتْ بَوَاطُنُ
الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالْجُيُوشِ الْمَوْفُورَةِ ، أَرْجَاؤُهُ وَجَوَابُهُ ؛ وَلَوْ أَتَّصَحَّرَ
الْكَافِرُ لَنَالَهُ إِدْرَاكُهَا ، وَعُلِّقَتْ بِهِ حَبَائِلُ الْهَلَكَةِ وَأَشْرَاكُهَا ، وَغَشِيَهُ
سَيْلُهَا وَحَطَمَهُ عِرَاكُهَا .

وَأَقَامَ الْمُوَحِّدُونَ أَيَّامًا يَدُوسُونَ بِلَادَهُ ، وَيَنْسِفُونَ رَغْدَهُ وَثِمَادَهُ ،
وَيَحْمِلُونَهُ مِنْ أَزْوَاقِ الْمَضَرَّةِ ، وَثِقُلِ الْخُزَاةِ وَالْمَعَرَّةِ ، مَا لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهُ
وَأَوْدَهُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَكُنَّا - وَفَّقَكُمُ اللَّهُ - بِحُكْمِ انْقِطَاعِ مَا
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرَةِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَنَحْمِلُ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - مِنْ
قُرْطُبَةٍ - كَلَّاَهَا اللَّهُ - مَا يَصْلِحُهُمْ مِنَ الْعَلْفِ وَالْإِزْوَادِ ، وَأَخَذَهُمْ فِي
ذَلِكَ بِوَاجِبِ الْحَزْمِ وَمَتَعَيْنَ الْإِسْتِعْدَادِ ، مَشِينَا بِهِمْ عَلَى هَيْئَتِهِمْ ، وَلَمْ
يَتَأْتِ الْإِسْرَاعُ بِمَحْرَكَتِهِمْ ، وَأَخَذَ أَعْدَاءُ اللَّهِ عَلَى غَرَّتِهِمْ ، وَالْإِنْكِمَاشُ فِي

المسير الموجب لفجأتهم وبغتتهم ؛ فطارت الانباء إليهم قبل أن يدهموا ،
 واتصلت الاخبار بهم فأحكموا حذرهم وأبرموا ، واستعجلوا بضم ما
 أدرك من زروعهم ، وبادروا بالجلأ عن بسائطهم وربوعهم ، واستعدوا
 في حصونهم المؤتشفة بأمدادهم وجوعهم ؛ فلم يتسع للموحدين - أعزهم
 الله - ما أساروا من طعامهم ، ولم تتمكن مع قلة العلف أسباب مقامهم ؛
 فرأينا - وبالله التوفيق - أن ننقلهم بما نالوا من خيرات عميمة ، وأحرزوا
 من أجور غنيمة ، وحازوا من منالات جمّة ومفاخر كريمة ؛ فإن حركتهم
 السعيدة أشرفت ابن التريق بريقه ، وسدّت عليه مسالك نهجه وطريقه ،
 وأرثته شجى نفسه ، وخزى يومه وأمسه ، في حزبه الذميم وفريقه ،
 وقذفت بأمره الدابر ، وجمعه الخاسر ، في سفير الهلك وحريقه . فعجنا إلى
 بلاد المسلمين - مهّدها الله - صدور الركاب ، وثنيننا إليها زمام الرجعة
 والاياب ، شاكرين الله تعالى على ما نول من نعمه الجمّة ومنه الرغاب ؛
 وانقلب الموحدون - أعزهم الله - إلى هذه الحضرة - حرسها الله - بنعمة
 من الله وفضل أكرم انقلاب ، مستصحبين من عوارفه سبحانه كلّ نعمة
 دائمة السمع هائلة التسكاب .

وعرفناكم - وفقكم الله - بهذه السرّات الكبر ، والآيات الواضحة
 الحجول والفرر ، لتأخذوا بحظكم من سرورها ، وتفيضوا بقدر حكم من
 حمدها وشكورها ، وتشاركوا بشكرها ونشرها في جسيم حظوظها وكرم
 أجورها ؛ والله يجعلكم من المتحدّثين بنعمه ، الشاكرين لآلائه وقسمه .

المستدمين بحمده سبحانه درور جوده و كرمه ، بمنه وفضله ، لا ربَّ غيره .
والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كُتب في السادس والعشرين من جمادى الاخرى سنة ست وثمانين
وخمسمائة .

الرسالة الخامسة والثلاثون

وهي من إنشاء الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عيَّاش :
من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين - أيدهم الله
بنصره ، وأمدَّهم بمعونته - إلى الطلبة والموحددين والاشياخ والكافة
بفاس وعمَلها - أدام الله كرامتهم بتقواه ، ويسرهم من العمل والشكر لما
يتقبله ويرضاه - سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله الفتحاح العليم ، المنزه بسلطان العقل عن التثليث والتجسيم ،
حمداً يكون إلى العوارف سعيّاً ، الواحد الذي استحال عليه جواز العدد ،
واتخاذ الصاحبة والولد ، فتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، القاذف
بالحق على المبطلين ، وبالصدق على المكذابين ، ثم لا يجدون ولياً ولا
نصيراً ، مُثِيب مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فَتَحاً قَرِيباً وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ، وَمُنْجِدُهُ مِنَ السَّبْعِ الطَّبَاقِ ، بَمَنْ يَفْنَى عَنْ السَّمْرِ الْعَوَالِي
وَالْبَيْضِ الرِّقَاقِ ، وَكُنِيَ بِمَلَأَكَةِ السَّمَاءِ ظَهِيرًا ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
نَبِيِّهِ الْمُرْسَلِ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ،

مطلع الآيات الكُبرى ، على مراقب السمع والبصر ، فطوبى لمن كان سميماً بصيراً ، والمجاهد بجيش القرآن ، مَنْ دعاهم إلى السجود للرحمان ، فقالوا : « أنسجد لما تأمرنا » وزادهم نفورا ، كسر الصلب والاصنام ، ومُعجز فرسان المنطق ورؤساء الكلام ، حيث لم تعدم البلاغة لساناً ولا الرمح مُديراً ؛ وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه قولاً وفعلاً ، فكان حكمهم فاصلاً ، وسيفهم قاصلاً ، ولو أوَّهم منشورا ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، مُعيد الحقّ وقد أتى عليه حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، والمنشر بنور هدايته ، وظهور رايته ، قلوباً سكنت من الجهل قبل القبور قبورا ، والمحبي بخاصي صفحه وبيانه ، نفوساً قابلة والمهلك بجادّي سيفه وسانه ، قوماً بورا ؛ وعن صاحبه وخليفته سيّدنا الامام أمير المؤمنين الذي اختاره الله سجيراً ، وللمؤمنين أميراً ، متلقى راية الامامة في مغرب الشمس والله قد أعدّ له في مشرقها منبراً وسريراً ، والكاشف ما دجا من الفتن المذلّمة ، والخطوب المصيبة ، وقد أمسى جناح ليها ذابلاً وأصبح شرُّها مستطيراً ؛ وعن سيّدنا الامام أمير المؤمنين بن سيّدنا الامام أمير المؤمنين متقبّل آثاره ، وباسط أنواره ، يقرّوها أثراً أثراً ويبسطها نوراً نوراً ، والمعطى من الكمال ، وشرف الحلال ، ما يردُّ الذهن كليلاً ويصرف الطرب حسيراً ، والمعان بالنصر الذي لم يزل النهار مواكباً والليل سميماً . وإنا كتبناه إليكم - وألسنُ الاقلام ، تعجز عن حقيقة الاعلام ، لعلها بأنّ إلينا في صنع الله العظيم سبطاً طويلاً ، وأنّ لسان هذه الحال الشريفة

أقوم قِيلاً وأكبر تفصيلاً - من حضرة إشبيلية - حرسها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وأن تعلموا أن الجيوش وإن كثرت جنودها ، وانتشرت ذات اليمين والشمال بنودها ، فلا ثقة إلا بالواحد الذي يغلب ، والكتائب الباغية كثيرة الأعداد ، والاستظهار إلا بسيفه الذي يضرب ، والسيوف في مضاجع الأغمد ، وإلا فما يؤثر الحميس العرمرم إذا لم يكن السعد من نقره ، وما تغني شجر القني إذا لم يكن العون من شرفه والفتح من ثمره ، وما تفيد عيونه الزرق إذا كان صنع الله محجوباً عن بصره ؛ وكلا ولا حول ولا قوة إلا بمن بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ، ولا نيل ولا نجمة إلا من وعده لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ؛ والحمد لله عوداً بعد بدء على المواهب التي يتلاحق موحدوها ومثناها ، والعطايا التي لو خير الدين في كل أمنية عدا لما تعدّاها ، والمنح التي قد أنبأت بها الغيوب فلو تنكرت لمعرفت بسياها .

وإلى ذلكم - أوزعكم الله شكر النعمة - فإن الله سبحانه لما كسر طاغية الروم الكسرة التي أعزت الحنيئة ، وأذلت النصرانية ، وفتح من معاقله الاشبة ما فتح ، ومنح عباده من أنفاله وأسلابه ما منح ، أجفل - لعنه الله - إلى قشتالة - فتحها الله - إجفال الظلم ، وقد أبقى منه سيف الله ما بقي الصباح من الصريم ، والرياح من الهشيم . وفصل الموحدون وشكر الله ملء حقائبهم ، وصنعه الكريم حسب رغائبهم ، وشرعة العود متمارقناهم

وقواضبهم ، لا بَتَمَنٍ لِلقَاءِ المَدْوِ ، ولا بِتصويبٍ إلى مهواة الكبر والعلو ،
بل بمجرّد الافتقار إلى الواحد الذي ينصر من ينصره ، ويزيد الاجسان من
يشكره ، ونَحْضِ الثقة بقوله تعالى وهو أَصْدَقُ القائلين : وكان حقًّا علينا
نَصْرُ المؤمنين . ولم يزل الكافر يرغب في السلم رغبة منخوب الفؤاد ،
موتور الامل ، مقطوع السبب ، وتكرّرت مخاطباته فرُدَّتْ بالخواتم على
أدراجها ، مشعرة بأنَّ استخارة الواحد القهَّار على غزوه بسبيل أَلْجَامِها
على الله وأسراجها ، وما يُصنع بالرغبات المذحولة والجال الرماثم ، وصنع الله
الذي عود عباده مقرون بنواصي العزائم ، وجانب الظفر الذي من به سبحانه
أَشَدُّ وَأَوْثَقُ ، ونسب القتال في شرف الاسلام وأهله أكرم وأعرق .
وعند ذلك تحرَّك الموحّدون على ما جاءت به السنة الحنيفية من
الاعداد والارهاب ، عالمين بأنَّ لَا عِدَّةَ وَلَا عُدَّةَ وَلَا قَوْلَ وَلَا صَوْلَ
إِلَّا بما يفيض عليهم من خزائن رحمة ربِّهم العزيز الوهَّاب ، عائدین بالله
من الاعجاب أن يركبوا له طِرْفًا جامحًا ، ويمدُّوا إليه طِرْفًا طامحًا ،
ويوطئوا عقبه نافلاً وراحًا ، بل هم القوم يستنجزون ما جاء به الوعد ،
وينتظرون ما عوّد الاقبال المتعارف والسعد ، ويسلمون في كلِّ مكان وزمان
لمن له الامر من قبل ومن بعد ؛ فأَوَّلُ ما مرَّرتنا به حصنٌ مُنْتِ انتش
وهو حصنٌ يَتَلَفَّعُ بالعنان ، ويقتضُ الطائر بالسنان ، ويقذف السجاعة في
دوع الجبان الهدان ، على طودٍ قد سافر في الجوّ مُقْتَرَبًا ، ولم يَرْضَ بالجمال
أكفاء ولا بالبسيطة مُنْتَسِبًا ؛ فقبل الخلوص إليه من العروج ، والنزول

عليه من السروج ، فَتَحَهُ اللهُ فَتْحاً تَفَاءَلَ التَّوْحِيدَ فِيمَا يُؤْمَلُهُ ، وَقَالَ أَهْلُهُ :
اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِفْتَاحَ كُلِّ بَابٍ نَسْتَقْبِلُهُ .

ثُمَّ عَمَدْنَا إِلَى تَرْجَالِهِ قَاعِدَةَ الشَّرِّ الشَّمَالِيَّ تَرْضَعُهُ بَدْرَهَا ، وَتَدْرِبُهُ
عَلَى شَرِّهَا ، مَدِينَةٍ لَمْ يَخَافُوا عَلَيْهَا لِلْحَوَادِثِ ظُفْرًا وَلَا نَابًا ، وَلَا تَوْهَمُوا أَنَّ
سَيَفْلِقُونَ لَهَا فِي وَجْهِ مُنَازِلٍ بَابًا ؛ فَعِنْدَ مَا سَمِعُوا بِالْمُرُورِ عَلَيْهِمْ نَادَى فِيهِمْ
مُنَادِي الْجَلَاءِ فِي سَاعَةِ الْقَتْلِ وَالسَّبَا ؛ فَاتَّبَعَهُمْ مِنْ سُرْعَانِ الْجِيُوشِ مَنْ قَتَلَ
مَقَاتِلَهُمْ وَسَبَى حَرِيمَتَهُمْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَخَطَّاهُ جَنَاحُ السَّيْفِ أَوْ
دَخَلَ فِي خَفَارَةِ اللَّيْلِ .

وَاقْتَدَى بِهِمْ فِي الْفِرَارِ أَهْلُ شَنْتَقُرُوسٍ وَهِيَ الْقَلْعَةُ الْحَسْبِيَّةُ فِي
الْأَمْتِنَاعِ ، الْمَجْلُوءَةُ عَلَى مَنْصَةِ الْيَفَاعِ ، أَوَّلُ حَصْنٍ بِالْجَهَةِ أَهْنَتْ فِيهِ شَمَائِرُ
اللَّهِ وَاتُّخِذَ فِيهِ الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ الْإِلَهِينِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، مِنْهُ تَفَتَّحَتْ أَبْوَابُهَا ،
وَتَوَزَّعَتْ أَسْلَابُهَا ، وَاسْتَبِيحَ بِالْفَدْرِ حَمَاهَا ، وَرَمَاهَا الْكُفْرُ إِلَى أَجْلِ
مَسْمَى بِاللَّهَائِيَةِ الَّتِي رَمَاهَا . فَشُحِنَتْ ثَلَاثَتُهَا خِيَلًا وَرَجَلًا ، وَأَتَرَعَتْ لَهَا
الْحَرَمُ غَرْبًا مِنَ النَّظَرِ الْكَرِيمِ وَسَجَلًا ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِهَا كُلِّ مَنْ كَانَ
يَسْتَسْقِي لِمَهْدِهَا هَطْلًا مِنَ الدِّيمِ ، وَيَرَى وَجْدَانِ كُلِّ شَيْءٍ بِمَهْدِهَا
كَالْمَدَمِ . وَكَانَ يَجَاوِرُهَا مِنْ مَعَاqِلِ الْكُفْرَةِ مَا لَمْ يُلْحَقْ فِي الْمُنْعَةِ بِغَايَتِهَا ،
وَلَا نُصِبَ فِي الْحَرْبِ رَايَةٌ مِثْلَ رَايَتِهَا ؛ فَاقْتَدَحَ فِيهَا زَنْدُ الاسْتِخَارَةِ ، عَلَى
الْهَدْمِ وَالْمَهَارَةِ ؛ فَأَخَذَهَا الرَّجْفَانُ أَخْذًا وَبِيلًا ، وَصُيِّرَتْ لِلْفُورِ بِإِذْنِ اللَّهِ
كَثِيبًا مَهِيلًا .

ثُمَّ أَجَزْنَا وَادِي تَاجُو وَهُوَ سَوْدُ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ بِالْأَذَانِ عَهْدُهَا ،
وَزَلْزَلَ بِالنَّاقُوسِ غُورُهَا وَنَجَّدُهَا ، بَعْدَ أَنْ قِيلَ لِلْمُوحِدِينَ عَلَى شَاطِئِهِ
الْإِسْلَامِيِّ : ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ، وَعَلَى اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَعَلَيْكُمْ بِتَجْدِيدِ النِّيَّاتِ ، وَاسْتِنْزَالِ نَصْرِ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الرَّاياتِ . فَبَايَعُوا بَيْعَةً سَرَّتْ بِهَا فِي دِينِ اللَّهِ الْمَشْرِفِيَّةَ
وَالْقَنَى ، وَاسْتَنْتَتْ بِهَا خَيْلُ الْكَلِمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي سَرَفِ الْمَنَى .

ثُمَّ سَرْنَا مُتَغَلِّظِينَ فِي أَرْضِ الرُّومِ إِلَى مَدِينَةِ إِبِلْتَانَسِيَّةٍ وَكَانَتْ مَدِينَةُ
تَهَالِكَ فِي إِنْشَائِهَا بَرَهَةٌ مِنَ السِّنِينَ ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ كُلِّ مَنْ
تَلَقَّى رَايَةَ الْحَرْبِ بِالْيَمِينِ ، وَحَدَّثَ فِيهَا نَفْسَهُ بِأَمَالِ سَبْقِ إِلَيْهَا الْفَسَادِ قَبْلَ
الْكِيَانِ ، وَانْعَدَامِ الْخَبَرِ قَبْلَ الْعِيَانِ ؛ وَإِذَا بِأَهْلِهَا قَدْ غَزَاهُمْ مِنَ الرَّعْبِ
جَيْشٌ طَارِقٌ ، وَسَيْفٌ بَارِقٌ ؛ فَوَدَعُوهَا وَدَاعٍ مِنْ يَحْسَبُ كُلُّ صِيْحَةٍ عَلَيْهِ ،
وَيُظَنُّ الْبَلَاقِعَ وَالْبَرَاقِعَ جَيْشًا نَاهِدًا إِلَيْهِ ، وَاغْتَرَّ بِقَصْبَتِهَا مَنْ كَانَ يُدَبِّرُ
حَرْبَهَا ، وَيَشْدُ بَزْعَمَهُ دَرْبَهَا ، وَهُمْ جَمَلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الرُّومِ فِيهِمْ زُعَمَاءُ
مَشْهُورُونَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ ذَا رَايَةٍ مَنْشُورَةٍ ، وَكِتَابَةٍ مَنْشُورَةٍ ، وَفَتَاةٍ
فِي الْمُسْلِمِينَ مَذْكُورَةٍ ؛ فَاسْتَوْلَى الْمُوَحِّدُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ يُدَمِّرُونَهَا تَدْمِيرًا ،
وَيُتَبِّرُونَ مَا عَلا مِنْهَا تَتْبِيرًا ، وَيُزِيحُونَ أَهْلَهَا تَتْبِيرًا وَتَحْسِيرًا ؛ وَغَلَبَتْ
الْقَصْبَةُ عَلَى الْكَفَرَةِ فَلَاذُوا بِبُرْجِ أَصِيلِ الْمُنْعَةِ ، مُحْكَمِ الصَّنْعَةِ ، عَرِيضِ
الْحَافَاتِ ، بِاسِقِ الشَّرَفَاتِ ؛ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَحَابًا دَلُوحًا مِنَ النَّبَالِ ،
وَقَدْ فَاءَ بَصْمٌ كَالْجِبَالِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ

دونه من وال ؛ فلم يلبثوا إلا ليلةً وقد نزلوا على حكم الأسر ، باضطرار
منهم وباختيار من القهر والقسر ، وبدلهم الله بالجبن والخور من تصميمهم
وإقدامهم ، وصيرت السيوف التي كانت في أيديهم أغلالاً في أعناقهم
وقيوداً في أقدامهم ؛ ولفقدهم على الكافر أشد من ذهاب البلاد ،
فإنهم كانوا عنده أهل الآراء المسموعة والسيوف الحداد .

ثم عطفت الاعنة على أعمال طليعة فأوسع الله أرضها اعتسافاً ،
وأقواتها انتسافاً ، وعمائرها خراباً ، يقول عنده الكافر : ياليتني كنت ثراباً ،
ثم جئنا ظاهرها وكانت جنتهم التي يتفيئون ظلالها ، ويعتمدون استقلالها ،
يفرحون بما أوتوا منها ، ولا يعرفون لبأس الله حقيقة ولا كُنْها ؛ فاستوصلت
أشجارها الملتفة أصلاً وفرعاً ، وأفئدت حدائقها الانيقة قضباً وقطماً ،
وتلاقت عليها عوامل الحديد ، ببأسه الشديد ، إرغاماً لأنف الكفرة
وجدعاً . فلما صغرت من الخير ، وصارت أوحش من جوف العير ،
وذبل روضها الحضل ، وخرق حجابها المنسدل ، وقالت للكفار بلسان الحال :
وَدِّعُوا فِي جَنَاتِي آمَالَكُمْ ، واندبوا في عرصاتي أحوالكم ، فَوَضَّعَ عَنْهَا
الموحدون في رحال ثقيلة ، ورجال طويلة ، يَمْرُونَ عَلَى الْبِلَادِ مَرَّ السَّيْلِ
بالليل لا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ ، إِلَّا مَا لَمْ يَمَرَّ بِالْخَاطِرِ وَلَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْبَصَرُ ، ينزلون
على الزرع وقد شابت بها نواصي الوهاد والنجاد ، فلم يرحلوا عنها إلا وقد
عاد بياضها إلى السواد ، ويعمدون إلى القرى الظاهرة ، والمدائن الباهرة ،
فَيَجِدُونَهَا بِالْأَقْوَاتِ رَاجِحَةَ الْمِيزَانِ ، كَثِيرَةَ الْحَسَنِ ، خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا ،

من قُطَّانها وجيوشها ، قد أسلموها لكلمة الاسلام ، وفارقوها قبل صهيل الخيل وخفق الاعلام ، وطُرِحوا يُريدون أقاصي الروم على غير طريق ، فتخطفهم الطير أو تهوي بهم الريح في مكان سحيق ، فمنهم طريدُ خوف ، وحصيدُ سيف ، ومنهم من أصابته الرماح كسباً ، وأخذته السفاح ولكن يُسرُّ غصبا ، فإذا نزل بساحتها نزلت بعقرتها أمُّ الخطوب السود ، واثمى أثرُ نجمها وشجرها من ديوان الوجود ، هدماً خبيراً ، وحريقاً مستطيراً ، وقطعاً استأصل معموراً ومغموراً ؛ والله يقدم إلى ما يعمل الكافر من عمل فيجمله هباً منشوراً .

ولم يُعْهَد لعمارة هذه المدائن المذكورة ، لما عرض لعمارة ما فتح الله في صدر الحركة المنصورة ؛ فإنَّ تلك وبلاد الاسلام كانت مُتَرَاثِيَةً النَّارَيْنِ ، مُدَانِيَةً الدَّارَيْنِ ، يتعارف بينهما أهلُ المَلَّتَيْنِ ، بالاسم والعين ، فقصده بعمارتها طيُّ بساط الكافرين ونشرُ خِطَّةِ المؤمنين ومشْيُ الناس في مناكب الارض وأطرافها آمِنَيْنِ وادعين ؛ ولم يُلْحَحْ في بلاد الروم إلا طلباً للكافر عَيْنُهُ ، فيستوفي منه سيفُ الله بقيَّةَ دينه ؛ ولو كره المفرّ ، وجَرَّهُ رَسَنُ الاغترار كما جَرَّ ، لورد من أمر الله بحول الله ما أحاط به علماً ، وانطبع في نفسه الحبشة المردودة نقشاً ورقماً ، ولكن تدكَّر فتواري في قَشْتَالَةِ الجبال ، ولفَّ فيها رأسه حياءً من الكفر والضلال ، وخلي البلاد والسيفُ يحكم فيها كيف شاء ، ويبدع الاعدام والتدمير لا الايجاب ولا الانشاء ، وجهده المعضُّ على يَدَيْهِ وكذلك يفعل الظالم ، ويروم

الاعتصام وكيف يعصم وليُّ الشيطان والله هو العاصم ؛ فكلُّ ما عرض
لحزب الله في طريقه ، ألحق بحزب الشيطان الذي أهلكه الله بالامس وفريقه .
فلما صارت البلاد كأن لم تُغن ، والمعاقِل كأن لم تُبن ، وعلم أن من
حِيلَ بينهم وبين المواطن والاموال والاقوات ، أحياء ولكن في عداد
الاموات ، صوِّبنا على طليطلة قاعدة الصُفر ، وأم بلاد الكُفر ،
وجئناها من جهات أبواب قشتالة وهي الجهات التي كانوا يأمنون من
أفقيها ، ولا يسدُّون باباً يقضي إلى طريقها ؛ فأخذهم العذاب وهم لا
يشعرون ، وعرفوا التخاذل من حيث كانوا يبصرون ، واستقبلتهم العبر
أفواجا أفواجا ، وجاءتهم النذر تأويها وإدلاجاً ، إلى أن نزلنا بظاھرھا
الشمالي ولم بجيوش الاسلام لم توقع بصراً على حدودها ، ولا جرّت
صيدة في صيدها ؛ فرد ما كان يليها منه نفنفا ، وقاعاً صفصفاً ، بين
هدم يستأصل الشافة ، وحريق يلتهم الجهلة ، وقطع ينحت الاثلة ، ويحصد
الشوكة . ثم تظاهر الموحّدون ثاني يوم فيما أعطاهم الله تعالى من قوّة
العدد والمديد ، وفاضوا على أعطافها في بحور الخيل وأمواج الحديد ، كلُّ
قبيلة في شعارها الموسوم ، وعلى مدرجها المرسوم ، كأنهم من البحر لجّ
وجه متراكب ، وأسحاب خريف زغرعت الخائب ، والله العزة ولرسوله
والمؤمنين ، وللكفر وأهله الحسران المبين ، والعذاب المهين ؛ فبرزوا عليها
تبريزاً ثوب إن شاء الله لبقعتها بالرضوان ، وقرب الاوان ، والانتصاف
من الكفر الذي نجسها بين أخواتها ، وعطلها من الايمان ، الذي هو

حَلَى أَتْرَابَهَا وَلِدَاتَهَا ، وَنَادَى فِي الْمَشْرُكِينَ بِتَقْوِيضِ الرِّحَالِ ، وَرَمَى
الْأَقْصَى فَلَا قَصَى مِنْ أَسْيَافِ الْبَحَارِ وَجَزَائِرِ الشَّمَالِ ، وَأَفْصَحَ لَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ
بَأَنَّ اللَّهَ طَالِبٌ مَدْرَكَهَا وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ ،
وَالْمَنَاجِ الْمُبِينِ وَالْدِّينِ الْقَيِّمِ الَّذِي هُمْ عَنْهُ مَعْرُوضُونَ .

ثُمَّ أَجْزَنَّا وَادِي تَاجُوا إِلَى جَنَابِهَا الْإِسْلَامِيِّ ، وَهُوَ مَنْشَأُ دَنُوحِهَا
الْمَائِسِ الْأَعْطَافِ ، وَحَدَائِقِهَا الْغُلْبِ ذَاتِ الْإِلْقَافِ ، وَجَنَّاتِهَا الْمَعْرِشَاتِ
وغيرِ الْمَعْرِشَاتِ ، وَفَوَائِدِهَا الَّتِي هِيَ عَنْدهُمْ مِنْ كَمَالِ الدِّينِ وَقَوَامِ الْحَيَاةِ ؛
وَفِيهِ الْمُنْيَةُ الَّتِي كَانَتْ جَنَّةَ الْكَافِرِ وَمَأْوَاهُ ، وَحِظُّهُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَخْرَاهُ ،
فَكَرَّرَ عَلَى الْجَمِيعِ الْمُؤْمِنُونَ كَرَّةً ، فَكَانَ انْجِمَافُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ مَرَّةً ؛ فَلَمْ يَكُنْ
بَيْنَ رَوِيَّتِهَا فِي حَلَى الْحَسَنِ وَالْإِبْتِهَاجِ ، وَتَضَاوُلِهَا فِي شَعْرِ مَسْوَدَّةِ كَالْلَّيْلِ
الدَّاجِ ، إِلَّا بِقَدَرِ مَا غَيَّرَ اللَّهُ نِعَمَهَا بِالْبُوسِ ، وَبَدَّلَهَا مِنَ الْأَمْنِ وَالْحِفْظِ
بِالْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَهُوَ شَرُّ لُبُوسٍ . وَهَذَا الْقَطَرُ كَانَ عَنْدهُمْ مَرْكَزَ اللَّوَاءِ ،
وَكُرْسِيَّ الْإِسْتَوَاءِ ، وَالْحَرَمَ الَّذِي يُنْفِرُ طَيْرُهُ ، وَلَا يَبِيدُ خَيْرُهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَبَادَهُ ، وَيَسِّرَ جِهَادَهُ ؛ فَلَا بُلْغَةَ حَالِ ، وَلَا مَسْئَةَ جَمَالِ ، وَلَا أَمَلَ
يَتَعَلَّقُ الْكُفْرُ بِذِيهِ ، وَنِيَامٌ وَلَوْ غِرَارًا فِي لَيْلِهِ ؛ وَأَعْرَضَ عَنْ قِتَالِهَا ، وَقِتَالِ
مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْكُفْرَةُ مِنْ بَعْضِ أَعْمَالِهَا ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا
اسْتَفْرَقَهُ الدَّمَارُ ، وَأَتَى عَلَيْهِ الْبُيُوتُ ، قَلِيلَ الْحِسَابِ ، ضَعِيفَ الْجُزْءِ فِي
الْإِنْتِسَابِ ، تَرْفِيهَا لِلْمُؤَحِّدِينَ وَإِجْمَامَا ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ
جَرَأَةً عَلَى كُلِّ عَظِيمَةٍ فِي ذَاتِهِ وَإِقْدَامَا ؛ وَلَوْ أَشِيرَ عَلَيْهِمْ فِي قِتَالِهَا بِلَحْظَةٍ ،

أَوْ أَكَدَّتْ لَهُمْ بِلَفْظَةٍ ، لَمَّا تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِمْ بِحَوْلِ اللَّهِ أَقْفَالُهَا ، وَلَا غَرَبَتْ
عَنْ أَيْدِيهِمْ أَنْفَالُهَا . وَلَكِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ الْكَرِيمَةِ
بَيْنَ الْقَتُوحِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْغَنَائِمِ الْجَزِيلَةِ ، وَالْجِهَادِ الْمُبْرُورِ ، وَالْإِنْقِلَابِ بِالْعَدَدِ
الْمَوْفُورِ ، وَتَرَكَ سَيْفَ السُّطُورَةِ فِي الْعَدُوِّ يَضْرِبُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَيَتَرَاءَى
بِقِظَةٍ وَخِيَالًا ، وَيَبْثُ سَرَايَا الْجُوعِ ، وَالرَّعْبِ الْمَانِعِ مِنَ الْمَهْجُوعِ ، وَيُخْرِجُ
عَنْهَا الْإِضْعَفَ ، فَلِلْإِضْعَفِ ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمَلِيءُ عَدِيمًا ، وَالْمَخْدُومُ خَدِيمًا ،
وَهُنَاكَ تَوْجِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَفَتْحَةِ الْإِبْوَابِ ، مَيْسَرَةَ الْأَسْبَابِ ، فِي غَيْرِ سَيْفٍ
يُسَلِّ ، وَلَا دَمٍ لِمُؤْمِنٍ بِفَضْلِ اللَّهِ يُطَلَّ .

وخلال هذه المحاولات الكريمة كان صاحبُ لِيُون ، وهو ابنُ عَمِّ
هذا الكافر المفرور ، قد استجار من أمرِ الله بِذِمَّةٍ ، وَتَوَسَّلَ إِلَى الْمُسَالَمَةِ
بِمُخْدَمَةٍ ، وَأَلْقَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا حَرْبًا ، اسْتَدْعَتْ مِنْهَا طَعْنًا وَضَرْبًا ؛ فَشَغَلَ
بِالرَّغَبَاتِ ، أَفْوَاهِ الْمَخَاطِبَاتِ ، عَسَى أَنْ يُبْعَثَ إِلَى أَرْضِهِ بِجَيْشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
يَغْزُونَ عَدُوَّهُمْ وَعَدُوَّهُ مِنْ جَنَابِهِ ، وَيَدْخُلُونَ إِلَى سَرَارَةِ أَرْضِهِ مِنْ بَابِهِ ،
وَهُوَ بَابٌ مَا أَقْدَمَ عَهْدَ الْمُسْلِمِينَ بِبَابَتَيْهِ ، وَبِإِرْسَالِ الْأَعْنَةِ فِي جَنْبَتَيْهِ ؛
فَسَبْحَانَ الْمَغْرِبِ ، لِكُلِّ شَأٍ مَغْرِبٍ ، وَالْمَنْعَمِ عَلَى أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ ، بِمَا كَانَ
إِلَى الْإِسْتِخَالَةِ قَبْلَ أَقْرَبِ مِنْهُ إِلَى الْإِمْكَانِ ؛ فَبِعَثَ إِلَى أَرْضِهِ جَيْشٌ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ هَالَتْهُ شَجَاعَتُهُمْ ، وَبَهَتَتْهُ إِنْابَتُهُمْ لِلَّهِ وَطَاعَتُهُمْ ، وَأَهْلَتْهُ عَنْ كُلِّ
شَيْءٍ قَدَرَتُهُمْ بِاللَّهِ عَلَى الْعَدُوِّ وَاسْتَطَاعَتُهُمْ ؛ فَحَكَمُوا عَلَى بِلَادِ الْكَافِرِ بِحَكْمِ
الْكَلِمَةِ الْعُلْيَا ، وَنَالُوا فِيهَا مَا شَاؤُوا مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا ، وَتَنَوَّعَتْ فِي عَدُوِّ

الله الرزايا ، وأخذت عليه المكارمُ الانقاب والشنايا ، وصار لا يستطيع دفعا ، ولا يملك لمن أتبعه ضراً ولا نفعاً ؛ ولو يعلم الكافرون أنَّ الكرَّة عليهم تجوس الحلال ، وتهلك الحي الحلال ، وتمحق الكفرة محق الوبأ ، وتذرو ما جُمع وما غُرس بين مهب الدُّبور ومهب الصبا . لا عتاضوا من الاقليم الخامس والسادس بمنقطع التُّرب ، ولم يقنعوا من السابع إلا بمسامة القطب .

ولما كُتب العمل الصالح ، وحصل المتجر الرابع ، واشتمل الغزو على فتوح كثيرة ، وأيام على الكافرين عسيرة ، وتُركت البلاد عُرضة لاوَّل طليعةٍ إن شاء الله تُطل ، ورايةٍ بحول الله تُطل ، فريسةً بين يدي سيف الخوف والجوع ، والامل المقطوع ، وهو سيف الله الذي يدرك ما طلب ، ويجهز كلما ضرب ، أخذ الموحدون في القفول على ميعاد ، من أعمال مستغيثة بكلمة الاسلام وبلاد . ويا له من قفول ما أعزَّ أناءه ، وأصدق أنباءه ، وأكرم حله ورحيله ، ومعرَّسه ومقبله . وعرض في صدر الاياب معقل دار الغارة^(١) على مرحلة من طليطلة ، وكان بابها الذي لا يُنام إلا على سده ، وظلها الذي لا يُسكن إلا في مطارح مدته ، والقلمة المسماة ببطربونة ، وكانت ركاب الكهان إلى الضرر ، وموقد نارهم المتطيرة الشرر ، وفيها جملةٌ كبيرةٌ من مُحاربة الكافرين ، وشجعانهم الافيرين ، بقيَّة سيف الله المسلول ، ونسالة جيش الصليب المفلول ، وكلهم قد عقدوا

(١) اسم هذا الحصن تحت الشك لكونه غير مضبوط في الاصل النقول عنه .

على الموت حُبَّاهم ، ووثقوا حيث لا ثقة بقلوبهم وأسنتهم وظُبَّاهم . فلَمَّا سَلَقَتْهُمُ أَلْسِنَةُ الْقِتَالِ ، وَكَشَفَ لَهُمُ الْغَطَاءُ عَنْ خِيَالِ الضَّلَالِ ، رَضُوا مِنَ الْإِنتِصَارِ بِالْإِسَارِ ، وَمَنِ فَاتَتْ الرِّجْحَ بِحَاصِلِ الْخُسَارِ ؛ فَزَلُّوا مُسْرِعِينَ ، وَلَبَّوْا دَاعِيَ الرِّقِّ مَهْطَعِينَ ، وَحُشِرُوا فِي زُفْرَةِ أَهْلِ دِينِهِمُ السَّابِقِينَ إِلَى الْقَيْدِ ، الْمُسْتَضْعَفِينَ مَا جَاؤُوا بِهِ قَلْبُهُمْ مِنَ الْكَيْدِ . وَعُمُّ الْمَعْقِلَانِ بِرِجَالِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَقِيمُونَ فَرَضَ الْجِهَادِ ، وَيَهْجُرُونَ فِيهِ النَّوْمَ لِلْسَّهَادِ ، وَيُرُونَ الْوُقُوفَ كُلَّ حِينٍ عَلَى طُلَيْطُلَةٍ وَظُفَيْفَةٍ دِينِيَّةٍ ، وَعِزَّةٍ دُنْيَاوِيَّةٍ . وَطَالَ مَا كَانَتْ خَجَرًا عَلَى النَّوَابِ ، سَلًّا عَلَى الْجِيُوشِ الْكَثِيفَةِ وَالْكِتَابِ ؛ وَهَاهُنَا الْيَوْمَ - وَخَيْلُ اللَّهِ تَسْرَحُ فِي شَعَابِهَا آمِنَةً ، وَرِمَاحُ الْمُجَاهِدِينَ تَنْدُقُ فِي أَبْوَابِهَا طَاعِنَةً - أَسِيرَةُ الرِّكَبِ ، وَقَعِيدَةُ الْخُطْبِ ، ضَعِيفَةُ الْحَيْلِ ، وَتَفِيٌّ مِنْ أَرْجُلِ الْحَيْلِ ، لَيْسَ عَلَى جَادَّتِهَا إِلَى بَحْرِ الْمَجَازِ صَلِيبٌ يُنْصَبُ ، وَلَا نَاقُوسٌ يُضْرَبُ ، لَا إِهْلَالُ لِفَيْرِ اللَّهِ ، وَلَا نِدَاءٌ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ حَتَّى يَنْجِزَ اللَّهُ وَعْدَهُ فِي سَلَامِهَا ، وَيَفِيضَ نَوْرُ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى ظِلَامِهَا ، بِمَحْوِلِهِ وَقُوَّتِهِ .

فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِ الَّذِي يَفْرَحُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَرُوحِهِ الَّذِي يَأْسُ مِنْهُ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ لِقَوْمٍ بِالْكَفْرِ إِلَّا لِيَجْعَلَ لَهُمْ أَحَادِيثَ وَيَمْزِقَهُمْ كُلَّ مَمْزُقٍ وَيَفْتَحَ عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خُسَارًا ، وَيَسْتَقِرُّ فِي نَفُوسِكُمْ أَنَّ الْأَقْلَامَ لَا تَفِي بِالْإِضَاحِ ، وَلَا تَسْتَقِلُّ بِالْإِفْصَاحِ ، وَلَوْ رَكِبَتْ مِنَ الْإِحْسَانِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَجَاءَتْ مِنَ الْبَلَاغَةِ

بطريقة أهل كل زمن ، فصنعُ الله أكبر ، وآتاه أشهر ، وفعله سبحانه
أيسر خبراً ، وأبقى على ميسم الأيام أثراً . وقد حضر هذه الغزاة الكريمة
رجالٌ من أعيانكم ممن حرَّكه السعد ، ولم يقعد به البعد ؛ فلمتؤخذ منهم
الآخبار على نسقها ، والآحاديث من طرقها ، زيادةً في البيان ، واستنامةً
إلى مشافهة أهل العيان . اللهم اوزع شكرك هذه الأمة على الزمان ،
الذي استدار بالفتوح المتناسقة تناسق الجمان ، والرعب الذي ينوب في
أعدائهم مناب الخيس الأرجوان ، ضارباً بغير سيف طاعناً بغير سنان ؛
إنَّك على كل شيء قدير ، وإنَّك نعم المولى ونعم النصير . والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

كتب في التاسع من شهر رمضان المعظم سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة .

الرسالة السادسة والثلاثون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز

ابن عيَّاش المذكور :

الحمد لله فاتح الاغلاق ، ومانح الاعلاق ، مُمدِّ هذه الدعوة الامامية من
السبع الطباق ، وناصرها في البحار المرتجَّة الغوارب النازحة الآفاق ، الواحد
الذي فطر هذه المصابة على التظافر في إعزاز دينه والاتفاق ، وأغناهم في كل
مَوطِن ومأزق طعن وضرب عن السمر العوالي والبيض الرقاق ؛ والصلاة
على سيِّدنا محمد نبيِّه ورسوله الناشي في أشرف المناسب وأكرم الاعراق ،

المنبعث لتغيير السنّة الجاهليّة ولتتميم مكارم الاخلاق ، المصطفى على حين فترة من الرسالة ، وعموم من الجهالة والضلالة ، بالآيات الساطعة الوضوح النيرة الاشراق ، الداعي إلى الله بالمواعظ المستولية على القلوب والسيوف المستعيلة على الاعناق ؛ وصلى الله عليه وعلى آله ما أرسلت السماء بالوابل الفَيْدَاق ، ووجبت الفوادي الفرّ بالارعاد والابراق ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، الآتي زمانه والدين إليه بالاشواق ، المعترّ مكانه بالاجتماع النبوي والاصفاق ، متلافي الشريعة النبويّة من فهوة الابتداع والاختلاق ، ومنقذها من أيدي الرؤساء الجهال وهي تأخر الارفاق ؛ وعن الخلفاء الراشدين المرشدين المحافظين على العهد الامامي والميثاق ، المستنزلين من أسيرة الطغيان ، وصروح الظلم والمدوان ، أهل التيجان والاطواق ، الظاهرين في كلّ محاولة يُصادمها وجهُ الباق ، الغالبين في كلّ حرب مُلتفّة الساق بالساق ؛ رضي الله عنهم أجمعين ما جرب خير فضائلهم في السياق ، وأشرق الارض بنورهم إشراق العارض البراق .

وهذا كتابنا إليكم - أسمعكم الله من البشائر أبعد ما مطارح ، وأبرعها سوارح ، وأيمنها خواطر وسوانح ، وأرواها قلوباً ظامئة وجوارح - من حضرة مرّاكش - حرسها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكّل عليه ، والعلم بأنّ هذا الامر حجّة الله التي أفصحت مَقاويلها ، وأظهرت على كلّ من في قلبه زيغٌ قبائلها المنصورة وقنابلها ؛ أطلع الله شمسهُ والدينُ غريب ، وأفاض نوره والحقُّ

ليس له داعٍ ولا مُجيب ؛ فكثُر شمس المحاذين ، وأظلم ديجور المضادين ،
بتبليغ أمر الله الذي اكتنفه البشيرُ النذير ، وصدع به الهدى والكتابُ
المير ، وتبينته كلُّ من عقد الشيطانَ على قافية رأسه ولم ينظر لنفسه ،
بإعمال فكره وحده ، معتزاً على من اختصَّه الله بالافاقة والعباد ،
وأمدَّه بالجيوش للذكر النافعة والسيوف الحداد . ونصب له من القرآن علماً
هادياً ، وجعل له من خوف المقام والوعيد سابقاً وخادياً ، ليمتاز فريق الجنة
من فريق السعير ، ولتتمَّ البصر الحديد من البصر الحسير ؛ فمن يتلقَّ
راية النجاة باليمين ، ولم يرَ نفسه أهلاً لأن يكون مع الحقِّ المبين ، فقد
تعرَّض للعذاب الشديد والنكال العتيد ، وما ربُّك بظلام للعبيد ، كما أنَّ
من نضاه عنه أثواب الجهالة ، وأسلم من إشراك الغواية والضلالة ، فقد سبق
له السعد في أم الكتاب ، وصار بمفازة من العذاب ، وعلى شرف من
كرم المآب .

وإلى هذا - وفقكم الله ، وأوزعكم شكر نعماءه - فقد علمتم أنَّ الله
استأصل شرَّ الانام ، ورُعاء الابل الضمَّ البكم أهلَ اللثام ، وطهَّر منهم
المغربين تطهيراً ، وكفَّر سيئات الارض التي أقلتهم ، والسماء التي
أظلمتهم ، بحسنات هذه الدعوة الامامية تكفيراً ؛ ولم يُبقِ منهم إلا من
كان بجزيرة ميورقة لجؤوا إليها ، وتعلَّقوا بيا بسة ومنوزقة جناحيها ؛
فكانت في بساط المغرب نُكتاً سوداً ، وكان أهلها على ما انتشر في الدين
من لطائف الحسنيين شهوداً ، وما زال الحلفاء الراشدون يدعونهم بالذكر

الذي هم له غافلون ، وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا
أنفسهم وما يشعرون ، تقذف إليهم في كل حين دُرَرَ المواقظ أمواج
البحار ، وتطلع الآيات البينات عليهم طلوع النهار ، وهم لا يزدادون إلا
مرية متقاذفة ، وعماية متكاثفة ، وضلالاً مازجا ، وعملاً عن الحكمة
الربانية والسنة النبوية خارجاً ؛ وكلما وعظتهم الأيام ، وخطبتهم السيوف
والأقلام ، وظهرت لهم الآيات في الآفاق وفي الانفس ، واستمعتهم النذر
من حصيد فروعهم الراوية وأطلأهم الدرس ، أتوا من العداوة بأجمعها
عناناً ، وأصرمها حديثاً وعياناً ، وأخزاها لهم سيفاً ناصلاً وسناناً .

ثم قضى الله بيباسة ومنورقة جناحيهم ، وقضى بأخذها من الدائرة
السوء ما قضى به عليهم ، وظن بأن ستكون لهم وعظاً ييسرهم لليسر ،
ويلين قلوبهم للذكر ؛ فما أفادهم الوعظ إلا عتوا ، وما زادهم وهم في
الخصيض إلا علوا . ثم إنهم قرعوا في وقت باب الأمان ، وجعلوا
الاعتراف لهدمات سيئاتهم وسيلة إلى الإحسان ؛ فبذل الله لهم ما أمّلوه ،
وفتح لهم الباب الذي قرعوه ، وامتطوا من الإبقاء صهوة لا تنالها
صروف الزمان ، ولا تحب نحوها عواصف الحداث ، والاقدار في ذلك
تسوقهم إلى حينهم ، وأحكام الله بالمرصاد لزورهم ومينهم ؛ فلم يمر إلا
قليل وقد بعثوا ميورقة بقية الخداع ، ونازلوها بأشد الحصار والمصاع ،
مُتَقَنِّعِينَ على غير حياء ، جاهلين بأن الله عادة في شفاء أمره من كل داء
عياء ، غير عارفين بأن العهد ما كفر به قوم إلا جب الله عاديتهم وسلط

عليهم طالبيهم ، وحكم فيهم بالعذاب الهون ، ورماهم بسهام الخطوب الجون ؛ فلم يتنفقوا منها جُوداً ، ولا شربوا ماءها إلا ثماداً ، وعادت إلى الموحدين على ما علمت كأن لم تنلها مضرة ، ولا وطأتها من وطأة الفجار معرة . وعند ذلك تلمّظت إليهم حفاظُ الموحدين تلمّظ المروء ، وركبت همهم العالية ركوب هام في السروج قعود ، وعلموا أن هذا الزمان هو المؤذن بحربهم ، وأن حجة الشريعة البائسة داحضة عند ربهم . فجهزنا إليهم في أثناء حركتها التي عرفنا الله فيها عجائب من السعود ، وأفانين من الأمل المنقود والموعود ، جيشي برّ وبحر ، وجمعي معونة من الله ونفر ، وأمرناهم بالعزم الذي لا ترجى دون الظفر غواضيه ، ولا تكل دون الضلوع والهام قناه وقواضيه ، وأبتغناهم من الدعاء ما تقتضيه النيّة للمؤمنين ، والطويّة في إعلاء الموحدين ؛ فسار الجيشان في سمت ، وتكفل الله بإقامة كل صعب من المستصعبات وأمنت ، وركبوا إلى جند الشيطان ، بجرأ سلس القياد والعنان ، وجواري تسبق في الموج سبق الجياد يوم الرّهان ، من الصاقبات ، إلا أن الرياح قوادمها ، ومن الطير إلا أن السراع خوافيها الخافقة ومقادمها ، قد جالت بين السماء ، وبين بسيط الماء ، وأقلت من وجوه الجيوش رجالاً كالنجوم ، مُرسلين على السور الذميم ، وشيطانه الرجيم ، إلى أن نزلوا بساحل ميورقة ، وأعلام النصر خافقة ، وقلوب الموحدين على التظافر متوافقة ، وشعار العدو المعرة والهون ، والهلاك الذي سبقت به السكاف والثون ، ولسان الحال يتلو ما

يوقن به الموقنون ؛ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن . فلم يكن بين الحلول بالجزيرة والظفر بجهاتها الأربع ، والاستيلاء على شيطانها الرجيم ومَعْقِلِهَا الامنع ، إِلَّا سبع ليالٍ ، سخر الله فيها على الاعداء سبع ليالٍ حسوماً ، ثم هجم الموحدون عليهم في عقر دارهم هجوماً ؛ وكانت بين الفريقين حرب ، ظن فيه الاشقياء أن الزمان كما عهدوه طعنٌ وضرب ، ولم يعلموا أن أمر الله في مزيد ، وأن سمعه من جديد إلى جديد ، وأن ستأتي الأيام بما لا يبقى معه من الباطل باق ، ولا **مهم** به الضلال والمحال على ساق .

ثم أجلى ذلك الموطن عن قتل الشقي وأتباعه ، ومحو الباطل الممّوه وأشياعه ، وحصول أسرته في قبضة الموحدين ، ومغالبة أهل الجزيرة مآل الضالين الملعدين ؛ ورفعت أعلام التوحيد في أعالي جدراته ، التي لم يكن لها عهدٌ بمنزلة تلك الأعمال ولا استظهار في قديم وحديث بالحرب المستمر في خدمة الايمان والاسلام ؛ وأقيمت الخطبة على منبر كان أشعث أغبر ، ثم عاد بالقول الصادق والاعتقاد الحق أزهر أنضر ، وعرفت الرعايا بأن الله أخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأعتقهم من الجور والخوف إلى يوم النفع في الصور . وإنهم اليوم في رباب الرأفة يرتعون ، وشرائع العدل والاحسان يكرعون ؛ وقد طهر الله صقلمهم من الارجاس ، وكفاهم حيف كل يد عادية وقلب قاس . وعجل إلى حضرة الموحدين برأس الشقي الداحض الحجاج ، وأعلامه المركوزة الاسنة مواضع الزجاج ؛ فرأى

الناس من أمرٍ انجلت به السنون ، وتمنَّته قديماً القلوب والعيون ، وأعملت فيه للخلفاء ضروباً من التدبير ، وكلُّ شيء بمقدار عند اللطيف الخبير ؛ والله سبحانه قد قضى بأن يكون وارث سعادتهم ، والفائز بإنجاز وعودهم ، والمتقاضي ديون آمالهم ، واللاحق ما عجل دونه ركاب ارتحالهم ، والمشرق بهذا الصنع الذي هو فوق أمل الآملين ؛ فله الحمد رب السموات والارض رب العالمين .

فابشروا بهذا الفتح العظيم وتوابعه ، ولو احقه الجسيمة وجوامعه ؛ واعلموا أن هؤلاء الاشرار كانوا يجادلونكم القبلة وهم عنها مدبرون ، ويدعون معكم أيماناً بكتب الله وهم عنها معرضون ، أولئك شرُّ مكاناً وأضلُّ عن سواء السبيل ، أولئك الذين راموا الشحنة العظمى بالتحريف والتبديل . ثم إنَّ الفتح فيهم فتحٌ في النصرانية ، وظهورٌ على ممالكها الساحلية ؛ ولأخذ ميُورقة على صاحب أرغون وبرشِلونة أشدُّ من رشق النبل وأهول من وقع السيف وأوحش من القطع بحلول الممات ؛ فإنَّها تحوجه إمّا إلى الصغار ، وإمّا إلى الحसार ، وتلجئه إلى أخذ الخطتين قسراً وقهراً بالرغم والاضطرار . وأمّا شقيهم الذي هو بالاطراف الافريقية فقد نُصب له غراب البنين ، وجاءته القاضية محيية السيل بالليل ، ووترته الفاقة في أهله الاعزين عليه ، وجزيرته التي كانت متى حربه حاربٌ نصب عينيه ؛ فأخلق بشياطينه الجماع ، وأعرابه الاوزاع ، أن

يلفظوه لفظ النواة ويعدوه من سقط المتاع ، وما بقاء الأبعد الأصول ، وما
اغتياب أشياع بالآخرين والرسوم الدارسة والطلول .
وخاطبناكم بهذه النعمى ، والمسرة العظمى ، والبشائر الكبيرة
الحسنى ، لتزدادوا علماً أن الله على كل شيء قدير ، وأنه بعباده خير بصير ،
وأنه سبحانه يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلته ، وأنه - جل جلاله - تكفل
بهذا الأمر العزيز بنصر الراية ، وظهور الآية ، وتيسير العسير ، ونيل
الكبير من الفتوح الكبير . ونحن ندعوه بما يدعوه به المخلصون ، ونحمده
بما يحمده به الشاكرون العارفون . اللهم إنك قد قلذتنا أكبر قلادة ،
وعوذتنا من نصرك ومعرفتك أفضل عادة ، وأسرجت لنا في كل مشكلة
سراجاً وهّاجاً ، وأوضحت لنا في كل معضلة طريقاً لا تحاً ومنهاجاً ، فاجعلنا
من الشاكرين في أول رغيل ، وخُذ بنا في دينك ودنياك على أوضح
سبيل ، وأمدنا بمواد نصرك التي لا تنقطع ، وآتنا من العمل ما يتقبل به
الدعاء ويرتفع ، بمنك . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرسالة السابعة والثلاثون

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز
ابن عيَّاش المذكور :

الحمد لله مُحَقِّق الحق بكلماته ، ومُبْطِل الباطل برغم دُعائه ، وناصر هذا
الحزب في حركاته وسكناته ، ومُظْهِره في كل مآمٍ يؤمُّه ، وشعثٍ يلُمُّه ،

على عُداته ، ومُنجده على كلّ منويّ ، قُرب أو قُصيّ ، بصادق عِداته ،
 الواحد الذي قرن النصر المؤزّر ، والفتح الميسّر ، بعزماته ، وعرفه في كلّ
 شأن يرأه ، ومذهب يذهب به ، نزلات اللطف الالاهيّ وسكناته ، وأيّاس
 طوائف الملحدين ، وجماهير المُفسدين ، من قرع صفاته ، وغمز قناته ،
 وجعل الليل والنهار ، والشمس والاقمار ، من بعض عتاده وأداته ؛ والصلاة
 التامة والبركة العامة ، على سيّدنا محمد نبيه المؤيّد بسواطع آياته ،
 وقواطع مُعجزاته ، ورسوله المظهر على الدين كلّهُ والناسُ بين أزمة
 الضلال وحداته ، المُبتعث بشيراً للمؤمنين ، ونذيراً للكافرين ، بالبرهان ،
 العائد بالحُسران ، على نُفاته ، والمُرسل إلى الاحمر والاسود ، والادنى
 والابعد ، من حُضر المعمور وبُداته ، صَلَّى الله عليه وسلّم ما أرتل ركبٌ
 بفلاته ، واستقبل البيت العتيق من جميع جهاته ؛ والرضا عن الامام
 المعصوم ، المهديّ المعلوم ، بخصائصه الكريمة وصفاته ، متلافي الشرع ،
 من تلاف الاصل والفرع ، والموت مُصرصر فوق شواته ، المبشر به الاثر
 المتداول ، والخبر المتناقل ، على ألسنة رواته ، العائد وجه الايمان ، بصدعه
 في ذات الرحمان ، إلى أحسن قسماته ، وآتق صفحاته ؛ وعلى الخلفاء
 الراشدين المرشدين ، والائمة المهادين المهتدين ، ولالة أمره النبويّ
 وهُداته ، ومُظهره على كلّ جبار عنيد وشيطان وحُماته ، والمقتدين به
 - رضي الله عنهم - من علمه وعمله وشُدّاته وأَناته ، الموصولة أيّامهم ،
 المنصورة أعلامهم ، ببراهين الحق الواضح ودلالاته .

وهذا كتابنا إليكم - أسمعكم الله من البشائر أقومها قِيلاً ، وأعظمها تقسيماً وتفصيلاً ، وعرفكم من الفتوح أصدقها تأملاً ، وأعرقها تأسيساً ، وتأصيلاً ، وأطلع عليكم من نفائس الانباء ، وجبائس الآلاء ، أدلها دليلاً ، وأقلها في السالف تشبيهاً وتمثيلاً - من منزل الموحدين - أعزهم الله - بظاهر المهديّة - فتحها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وأن تعلموا أن دعوة الامام المهدي - رضي الله عنه - منارٌ لا يضلُّ عليه بصرٌ سليم ، وشعارٌ لا يغبه فتحٌ مبين وصنعٌ كريم ، ونهارٌ كلا طرفينه إلى يوم القيامة وضاحٌ وسيم ، بها جدد الله تعالى ريعان الحق وهو هشيم ، وأنشر ميث الشرع وهو رميم ، وأحياء كما أنشأه أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم ؛ فمن هُدي إلى طريقها ، وأسند إلى ذروة نيقها ، ولم يزل لدينه ودنياه فريقاً غير فريقها ، وقد عرف عدو الحق من صديقها ، وأشرف عقلاً وسمعاً على أخذها من طليقها ، وكان لها مناصب ، ولحق من حقوقها عاصبا ، فقد استحق بالقدر السابق ، والوعد الصادق ، عذاباً واصباً ، واستنزل من سماء الكفاح ، وسحاب الاسنة والصفاح ، سافياً وحاصباً . ومن الله النصر الذي لا تطوى بنوده ، ولا تُروى عن قصد السبيل جنوده ، ولا تُتوى بسرّ كيد ، ولا بجهر أيد ، صعاده وسعوده ؛ وبه المياد من عاقبة قوم قد ضلّوا عن السواء ، وحملوا على العناد لامر الله والنواء ، وراموا الرقي بغير درج ، ولا منهج ، إلى السماء ؛ فكانوا جزر العوّاء ، في البيداء والهوّاء ، وخبر

اللسان المشرفي والصَّعدة السمرَاء . والحمد لله قالبةً بعد ماضية ولاحقةً
بعد سالفة على التوحيد الذي نصر أنصاره ، وأظهر على سائر المصور
أعصاره ، وطهر من كل بهتان وعدوان منابر وأمصاره ، والتجسيم الذي
أطلقاً بحوله وقوته ناره ، وأذهب بحكمته ونعمته عينه وآثاره ، وأنقذ فيه
بدله وفضله وعيده وإنذاره ؛ لا إله إلا هو بيده الخير ، وهو على كل
شيء قدير .

وإلى هذا أوزعكم الله شكر نعماءه فإن خير الفتح ما وفى الآمال
وأنصفها ، وأعجز قدرة الفراعنة وسادة البراهمة أن يصفها ، وأراح
صدور المشرفية ، ومتون السنهرية ، وقد شحذها العزم وأزهفها ،
وقضى مقصود هذه الطائفة وقد لواها اعتراض المنون ، بما في ذمة السعد
من الديون ، وسوفها ، وأشرف الصنع المنوح بما نحت اقلة الاشقياء نحتاً
مستأصلاً ، وحكم فيهم ضروب الرزايا ، وأنواع المنايا ، فأبادتهم جباناً
هيداناً وفزعاً بأسلاً ، وبذر هلال أيامهم عن الابدار ، وقد كانوا يرونه
بعمى البصائر والابصار ، بدرأ كاملاً ، وطهر منهم البلاد ، وكفى شرهم
العباد ، فلا يرى الناس لهم قائلاً ولا فائلاً .

وقد كنا قد منّا الخطاب إليكم ، وأوردنا فيه من المسار ما أوردناه
عليكم ، وأعلمناكم على التفصيل بما لقي الموحدون في سفرهم من التيسير
والتسهيل ، واسترجاع تونس والجريد لأول إطلاهم الذي ارتج له ما وراء
دجلة والنيل . وبنات المساكر المنصورة لسلم بن منصور وهلال بن

غَامِرٌ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَسَبِيلٍ ، وَبِالِاتِّفَاقِ ، وَانْعِقَادِ الْأَصْفَاقِ ، عَلَى اتِّبَاعِ
الشَّقِيِّ حَيْثُ طَرَحَ بِهِ خَاطِرُ الْهَرَبِ ، وَتَرَامَتْ بِهِ وَبِأَشْيَاعِهِ ذَوَاتُ التَّضَبُّرِ
وَالْحَبَبِ ، وَهَوَتْ بِهِ الْأَجْزَاعُ الَّتِي يَقْطَعُهَا ، وَيَفَاعُ الْأَرْضُ الَّتِي يَفْرَعُهَا ،
مِنْ ثَنِيَّةٍ مَوْطُوَّةٍ أَوْ حَدَبٍ ؛ وَبَلَغَ بِهِ الْفَرَارُ مِنْ دَوٍّ وَفُسَاحٍ . وَجَوَّ
تَصَافَحِ الشَّمْسِ بِرَاحٍ ، وَأَيْنَ الْفَرَارِ وَخَيْلُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ . وَكَانَ حِينَئِذٍ
عَلَى بَابِ الْقَيْرَوَانِ وَقَدْ بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْعَجَبِ ذَبَابٌ ، وَوَشَحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الدَّعْوَى انْتِسَابٌ ، وَحَلَّ عَلَيْهِ صَدْيٌّ مِنْ خَيَالِهِ الْمُضْجَلَّةِ وَسَرَابٌ ،
وُظُنٌّ أَنَّ لَهُ فِي تُونِسَ مَنْقَعًا لَا يَمُدُّ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ رِكَابٌ ؛ وَهِيَّاتُ
هِيَّاتٍ مِنْ عِلْمٍ مَا يَطْلُبُ لَمْ يُطَفِّ بِهَ سَوْرٌ وَلَا بَابٌ ، وَلَا هَالَهُ أُجَاجُ
طَنُوقٍ وَلَا قَفَرِيَّابٌ . فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّ الْعَسَاكِرَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْهِ كَوَاسِرُهَا ،
وَعُمِلَتْ عَلَى قَصْدِهِ مِيَامُنُهَا الْمَنْصُورَةُ وَمِيَاسِرُهَا ، وَتَسَاوَى فِي الصِّمْدِ إِلَيْهِ
وَالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ دَارِعُهَا الْكَمِيُّ وَحَاسِرُهَا ، وَتَسَابَقَتْ إِلَى تَكْذِيبِ مُحَالِهِ ،
وَالْبَطْشِ بِمُحَالِهِ ، كَتَائِبُهَا الْخَضِرُ وَمَنَاسِرُهَا ، وَدَعَّ إِفْرِيقِيَّةٌ بِغَيْرِ سَلَامٍ ،
وَمَضَى يَسْتَنْدِمُ بِبِلَادِ الْجَرِيدِ مَنْ لَهُ مِنْهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهَا بِذِمَامٍ ، وَقَالَ بَأَنَّ
الْجِيُوشَ لَا تَقْتَحِمُ عَلَيْهِ الصَّحْرَاءُ فِي هَاجِرَةٍ وَاحْتِدَامٍ ، وَاسْتَقَرَّ بِقَفْصَةٍ عَلَى
طَهَانِيْنَةٍ بِزَعْمِهِ مِنْ هَيْبَةِ الْحَسَامِ ، وَوُطْأَةُ الْجَيْشِ الْإِلَهَامِ ، وَأَنَّى يَلْقَى الْعَصَا
وَيَسْقُرِبُهُ النَّوَى وَسَيْفُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي أَعْقَابِ أَهْلِ
النَّثَامِ ؛ فَلَمْ يَرَعْهُ إِلَّا عَطْفُ الْمُوَحِّدِينَ أَعْنَتَهُمْ عَلَى آثَرِهِ ، يَسْأَلُونَ فِي كُلِّ
حَالٍ وَتَرْحَالٍ عَنْ مَوْرَدِهِ الْوَبِيلِ وَمَصْدَرِهِ ، وَتَخْفِقُ أَلْوَيْتُهُمُ الْمَظْفَرَةَ وَتُثْمَرُ

خيولهم المضمرة بين ضالّ القفر وسمره ، وتُظْلِمُهم السماء بظلّ سحابها
وتسقيهم العين الغدقة من شرب مطرها . فَعِنْدَ ذلكم التقت عليه حلقتا
البطان ، وضاحت به ظهور الرّعان ، وبطون الطعان ، وعلم أنّه ولا بُدّ
مضطرٌّ إلى الخروج عن الاوطان .

وبقي له بمض أهل بقابس ليطرّفها في البيداء ، ولَمّا بين الموحدين
وبينها من عدم الزاد والماء ، وطول المفاقد التي يهابها راكب الفرس
الوجناء ، باطن بالقيلق الجأواء ؛ فبينما هو يسوم الرعيّة بها خسفاً ، وينسف
معايشها وأقواتها نسفاً ، ويستدرّ مكاسبها القديمة والحديثة ضرعاً فضرعاً
وخلفاً فخلفاً ، إذا اقتحمتنا عليه صحراءه - يسر الله ركوبها ، وسهّل لحزبه
الغالب حرارها ولُوبها ، وملاً من ميامنها سجال المجاهدين وغروبها ،
وأوجدهم فيها من يمنه وكرمه صنوف الخيرات وضروبها ؛ فيومئذٍ لم يرَ في
التماسك طمعاً ، ولا وجد لثمرته القاصمة لَمّا ، وقال لنفسه الحيثية لو أطاعته :
أيّها النّفسُ أنجملي جزعاً ❦ إنّ الذي تحذرين قد وقعاً
وما جبال دمرها الله كما فعل عليه وعلى أشياعه ، يرثي لحاله البائسة ولا شباباته
وجمّاعه ، ويصرم الجبال الواهية التي كانت بينه وبين أطماعه ، ويضرب
للناس الامثال الشاردة في لعب الزمان به وأبداعه .

وجئنا نحن قايِس وأقمنا بها مدّة نُصلح من أحوال أهلها ما فسد ،
ونُنفق من آمال قومها ما كَسَد ، ونُرُدُّ على باديتها وحاضرتها من كان
شرّده الخوف والجور فشرّد ؛ والبائسُ أثناء هذا بين دمر ونفوسة

بشرّ حال ، يضطرب بين حلّ وترحال ، ويعني فرقة الضالة من الصبر والتجلّد بمُحال ، وكانت المسافة التي بيننا وبينه إذ ذلّكم شتّة المفاقر ، قتّة المرافق ، نائية بمجرّ العوالي ومجرى السوابق . فجهّزنا إليه عسكرياً من الموحّدين والاغزاز والعرب ، وأعلّناهم بأنّه رذيّة من الرذايا ليس من الجنّة والناس في حسب ، وطال ما كان يتعاطى لقاء الجمهور ، ويعماه عن النور ، ويقطع لنفسه بالقلب ؛ فلما سمع بدنوهم من جنبه ، واقتحامهم عليه من يابه ، فرّ فرار الظلم ، وحثّ النجاء خوفاً ممّا لحقه من العذاب الاليم ، وكان قد أعدّ بمدينة إطرابلس مِهْمَاتِهِ ، واتّخذها ملجأً من طواريّ الاغترار وآفاته ، والله قد نزهها لأن تكون عصرة لسيّئاته ، وعصمة لهنّواته . فبيّنا نحن في أثناء هذه الحال بظاهر قابس إذا بوجوه قومها يرفهم التيار المتدافع ، ويقدمهم الموجُ الخافض الدافع ، ويلوح للهدى على أسارير كبيرهم وصغيرهم نورٌ ساطع ، ويجمع بيننا وبينهم الاهطاع إلى الحقّ وهو سبب جامع ؛ فأعلموا أنّ الطاعة لم تفارقها سرائرهم ، وأنّ النور الذي فاض على إفريقية لم تحرمه أبصارهم ولا بصائرهم ، وأنّهم وإن بُعد مزارهم ، وكادّبت تكون من ديار منصر دارهم ، فما زالت تمتدّ إلى هذا اليوم آمالهم ونواظرهم ؛ وعرفوا بأنّ الشقيّ الذي كان عندهم مذموماً مدحوراً ، وأنّهم لم يفارقوا مدينتهم حتّى جعلوا بينهم وبينه خندقاً وسوراً ، وحتّى أقاموا على منبرهم دعوة الحقّ التي وعدّها الله في المشرق والمغرب علواً وظهوراً ؛ فكرمّت وفادتهم ، وبانت لهم

سعادتهم ، وأعرب عن حال غائبهم وشاهدهم غيبهم وشهادتهم ، وأمروا
بطالب من الموحدين وقطعة من الأسطول ، وأحسن إليهم بإحسان أهل
القري المبذول ، إلى الوافذ المقبول ، وبُشِّروا عن النزوح ، والهوى
الطروح ، بالتهم الموصول .

ثم عيَّنَّا عسكرياً يقيم بقابس حافظاً لجناحها ، ومؤتمناً لشعابها ، ومانعاً
للمدو من تولج بابها . وعند ذلكم أنشأنا العزيمة ثانياً ، ورؤنا الصمد إلى
المتهدية لا بمرتد دأولاً وانياً ، وسألنا الله - عز وجل - في تطهير بقعتها ،
وتذليل منعها ، أملاً صادقاً دانياً . ثم استقبلناها بسير يقصر عنه متناول
الرعان ، ويعلم ذوات القرن والركاب ملاعبة الزمام والعنان ، ويشرق
البيض والسم إلى هبر الضراب ونثر الطمان ، إلى أن جثناها ونور بياضها
قد غشاه الظلم ظلاماً ، وأحكام أهل التجسيم قد أثقلت كاهلها ، وحملت
معالمها ومجاهلها ، خطوباً جساماً . فبينما نحن نشغل بمحاولتها ، وننظر في
قوام منازلها ، ونعمل على تطهيرها بحول الله من رجس مقابلتها ، إذا
بالشقي قد طال عليه في الضراء الأمد ، وخانه الصبر الذي كان يدعيه
والجلد ، وأعياء البؤس المدفع الذي كان به والكمد ، وتوهم أن بلاد
الجريد متلافية لرمقه ، وعرضة لتلصصه وسرقه ، وأنه سيجد فيها بعض
جير أن لمنهج أمه وخلقها ؛ فجاءها مجيء الخائق المترقب بين صقب النشار
وملته ؛ فرمته كل مارة بسجيل ، وقاتلته قتال من يرى أنه من

أَخْبَثَ طَائِفَةٌ وَشَرَّ جِيلٍ ، وَأَنَّ كُلَّ شَرٍّ جَرَّتْهُ إِلَيْهِ الْآيَامُ فَهُوَ سَبَبُ
الْجَرِّ وَرَأْسُ التَّأْجِيلِ .

وعند ذلكم استخَرْنَا اللهَ تعالى الذي هو وليُّ الاستخارة ومُسَعِدُهَا ،
وموثق الآراء المدارة ومُسَدِّدُهَا ، ومُنْفِذُ الْعَزَائِمِ الْمَغَارَةِ وَمُنْجِدُهَا ،
وَعَيْنًا لِنَزْوِهِ الشَّيْخَ الْأَجَلَّ الْأَكْرَمَ أَبَا مُحَمَّدٍ بِنِ الشَّيْخِ الْمَوْقُرِّ أَبِي
حَفْصٍ - أَدَامَ اللَّهُ كِرَامَتَهُ - فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ وَالْأَغْزَازِ وَالْأَعْرَابِ ؛
فَسَارُوا إِلَيْهِ بِسُيُوفٍ مَعُودَةٍ وَالضَّرَابِ ، وَخِيُولٍ مُلَسَّ الْبَطُونِ لَوَاحِقِ
الْأَقْرَابِ ، مُتَوَكِّلِينَ عَلَى مَنْ عَوَّدَهُمُ النَّصْرَ فِي الْهَيْجَاءِ ، وَالْيَنْسَرِ الْآرَاءِ ،
وَالصَّبْرِ فِي مِتْلَقِ الْجِلْمَيْنِ وَقَتْلِ الْأَعْدَاءِ ، مُوقِنِينَ بِأَنَّ لَا عَدَدَ وَلَا عُدَّةَ
إِلَّا مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، مُعْتَمِدِينَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا عَلَى الْأَبْيَضِ الْمَشْرِفِيِّ
وَالصَّغْدَةِ السَّمَرَاءِ . فَلَمَّا نَذَرَهُمْ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَهُوَ بِحِمَّةٍ مَطْهَاطَةٍ ، رَكِبَ
الْجِبَالَ وَفَارَقَ الزَّهْوَ وَالْإِخْتِيَالَ ، وَحَذَرَ الْأَمَامَ وَالْوَرَاءَ وَالْيَمِينَ وَالشَّمَالَ ،
وظَنَّ أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَمَا زَالَ يَظُنُّ الْمُحَالَ وَيَتَّبِعُ الْحَيَالَ .
وَبَلَغَ الْمُوَحِّدُونَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - قَابِسَ لِحْدَتِهِ زَادَهُمْ ، وَاسْتَأْنَفُوا
جِدَّهُمْ وَجِهَادَهُمْ ، وَاعْتَقَدُوا التَّفْوِيضَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سِلَاحَهُمُ الْآوْفَى
وَعَتَادَهُمْ ، وَصَارُوا فِي أَثَرِهِ بِرَأْيِ عَازِمٍ ، وَنَظَرِ حَازِمٍ ، ثِقَةً بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَسْلَمُ
الصَّابِرِينَ وَلَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ، وَعِلْمًا بِأَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ الْمَفْسُودِينَ ، وَلَا يُهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ؛ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا ،
يَمْرُونَ عَلَى الْمَائِثِ وَالشُّعُوبِ كِرَامًا ، وَهُدًى إِلَيْهِمُ الْبَشَرَى فِي كُلِّ فَجٍّ

تحيّةً وسلاماً . وكان للشقيّ طمعٌ في زُغبةٍ والشريد حَيَّينِ من سُلَيمٍ ،
 فمرَّ بهم مرورٌ منافٍ غير هادٍ ومستنصرٍ بمحبوبٍ غير بصيرٍ ، ومستنجزٍ
 بغير وليٍّ على الحقيقة ولا نصيرٍ ؛ فأجابه كلُّ من دنا أَجَلُهُ ، وأورده المصرع
 الوبيل أَمَلُهُ ، وكان عليه لا لَهُ سَعِيهِ الضالُّ وعمَلُهُ . فَلَمَّا التقوا عليه في
 جيشٍ كأنَّه لَجُّ مَوْجِهِ متراكبٍ ، أو سحابٌ خريفٌ زَحَزَحَتْهُ الجبابِ ،
 كَرَّ راجعاً نحو الموحِّدين ، ولسانُ الحال تاليةٌ : أولئك لهم عذابٌ أليمٌ وما
 لهم من ناصرين ؛ فَلَمَّا نُذِرَ به الموحِّدون وهُم في مَنَزَلٍ يَسْمَى بمنزل أُمِّ
 العافية ، زحفوا إليه ، وأقدموا إقدام الأُسود الطاريئات عليه . فبَكَات
 بينهم مضاربةٌ نفق فيها سوق القتال ، وازدحمت فيها الرجال على الرجال ،
 والنصال على النصال ؛ وفي كلِّ ذلك لا يمسُّ الموحِّدين قِذْحٌ ، ولا
 يتخطى صفقتهم رَنجٌ ، ولا يعدو ليل هيجانهم صَبْحٌ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ لَهُم
 بَابَ ظُهُورِهِمْ وعلوهم ، ومكَّنهم أَتَمَّ تمكينٍ من أكتاف عدوهم ،
 وآواهم بين مستجَرِّ القنى عاقبة رواحهم في ذاتِ اللَّهِ وغدوهم ؛ واستحَرَّ
 القتلُ في أهل بيت الشقيِّ ورجاله ، ووجوه زعمائه الضالِّين وأبطاله ،
 وجميع من كان حشد من قبائل سُلَيمٍ وشرار هلاله ، حتَّى كادت الرماح
 تغنى بذاتها عن المعاصم ، والصفاح لا يبقى منها في الأيدي سوى القوائم .
 والخيول لا تدرس غير الترائب والجماجم ، وهذا يومٌ كان فيه للموحِّدين
 موقفُ الأبرار ، وأفعالُ الأحرار ، وقتالُ المهاجرين والانصار ، وظهورُ
 أهل الجنة على أهل النار ، وصولُ أهل الاقبال على أهل الادبار .

فلَمَّا رَأَى عَدُوَّ اللَّهِ مَا هَالَهُ فَرَّ جَرِيحاً فِي جَرِيدَةٍ مِنَ الْحَيْلِ ، وَفَاضَ
 الْمُوَحِّدُونَ عَلَى الْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ وَالْأَهْلِينَ وَالْبَنِينَ فَيَنْضِ السَّيْلَ بِاللَّيْلِ ،
 وَنَالَتْ فِي ذَلِكَ أَيْدِيهِمْ وَرِمَاحُهُمْ فَوْقَ مَا عَهْدَهُ السَّالِفُ وَالْحَالِفُ مِنَ
 الْمَطَاءِ الْمَحْسَبِ وَالنَّيْلِ ، وَاسْتَنْقَذُوا الطَّلَبَةَ وَالْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ كَانُوا فِي إِسَارِ
 الشَّقِيِّ بِحُكْمِ السَّيْفِ الَّذِي لَا يَصُولُ بِهِ إِلَّا عَزِيزٌ ، وَحُجَّتْهُ الَّتِي فَصَلَهَا فِي كُلِّ
 مَوْطِنٍ وَجِيزٌ ، وَمَنْ أَفَلَتْ مِنَ الْحِمَامِ ، وَتَخَطَّاهُ فِي الْمَعْرَكِ جَنَاحُ الْحَسَامِ ،
 اعْتَلَقَ بَعْضُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ بِذِمَامٍ ، حَتَّى لَمْ يَنْجُ الشَّقِيُّ وَلَاتِ حِينَ نَجَاةٍ
 إِلَّا بِرَأْسِ طِمْرِهِ وَلِجَامٍ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْهَنَ كَيْدَهُ ، وَأَضْعَفَ مَحَالَهُ
 وَأَيْدَهُ ، وَجَعَلَ رَأْيَهُ الدَّبِيرَ أَحْبُولَتَهُ وَقَيْنَدَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْمَعَهُ فِي
 صَيْدٍ مَا لَا يُصَادُ فَكَانَ فَرِيستَهُ وَصَيْنَدَهُ . وَكَمْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ،
 وَأَضَلَّ كَافِراً غَوِيّاً وَحَدِيداً ، وَأَذَاقَ الْجُمُوعَ الْحَافِلَةَ لَشَحْطِ الْمَزَارِ ، وَبَعْدَ
 الْأَمْصَارِ ، حَرْباً ضَرْوساً وَبَاساً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ بَهْتَانَهُ وَطُغْيَانَهُ أَنَّهُ كَانَ
 بِهِ كُفُوراً وَلَآيَاتُهُ عُنِيداً .

وَهَذِهِ إِفْرِيقِيَّةٌ قَدْ خَلَتْ مِنَ الْوَسْوَاسِ ، وَنَقِيَّتْ مِنَ الْأَدْنَاسِ ،
 وَصَفَتْ مِنْ شَوَائِبِ الْأَرْجَاسِ ، وَطَهَّرَتْ مِنَ الدَّعْوَةِ الْمَنْسُوخَةِ دَعْوَةُ بَنِي
 الْعَبَّاسِ ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هَذِهِ الْمَدِينَةُ
 وَمَا بَقِيَ الْقُرُوعُ بَعْدَ انْتِهَاكِ الْأُصُولِ ، وَأَيُّ جَدِيٍّ بَعْدَ تَكْسِيرِ النُّصُولِ ،
 وَأَيُّ أَمْرٍ يَبْقَى لِمَنْ فِيهَا مِنَ الْأَشْقِيَاءِ ، وَقَدْ رَأَوْا أَعْلَامَهُمْ مَنكُوسَةً تَنْذِرُهُمْ
 بِاللَّذَاهِيَةِ الدَّهْيَاءِ ، وَتُنَاجِيهِمْ ذَوَائِبُهَا بِانْقِطَاعِ الْأَمَلِ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَالرَّجَاءِ .

فانتظروا بشارتها قاطعة بحول الله عرض البيداء ، مطلعة عليكم بحمد الله تمام
النماء والسرَّاء . وأمَّا الأعراب فقد دنا قصيها ، ودان عصيها ، وألقيت
بهذا الجنب رجالها وعصيها . وفي هذا التأريخ قدم أبو سرحان مسعود بن
سلطان بن زمام يزسف في قيد هَرَمه ، ويطلب لمن وراءه من بنيه وأهل
بيته ما يقدمون عليه من قبول هذا الامر العظيم وذممه ، وهم الذين كانوا
قد أوحشتهم سوائف الجرائم والله واسع بابُ عفوه وفضله وكرمه .

فانشروا هذه المسرَّات ، واشكروا الله تعالى على تواتر الانباء
المنشرات ، واحمدوه - جلَّ جلاله - على نفحات رحمته المنثرات . ونحن
نقول : اللَّهُمَّ قد فتحتَ لنا أبواب نصرِكَ ، وأعنتنا على ما استحفَظنا من
أمرِكَ ، وأرئيتنا في عدوِّ الحقِّ أحكامَ سطوك وقهرِكَ ، وأرئيتنا من
آلائِكَ وعوارفِ نعمائِكَ ما يوجبُ صلةَ حمدِكَ وشكرِكَ ؛ فتَمِّمْ علينا
النعمةَ تَمِّيمًا ، وعَرِّفْنَا في كلِّ محاولة نصرًا عزيزًا وصنعًا كريمًا ، واجعلْ
طريقتنا في خدمة الديانة ، وتحملُ الامانة ، طريقًا مستقيمًا ، وضاعِفْ لهذه
الطائفة من النِّعم الوافكة ما أنعمتَ به عليها حديثًا وقديمًا ، واكتبْ لنا
لسان صدق في الشكر والثناء ، إِنَّكَ تعلم ما نخفي وما نعلن وما يُخفى على الله
من شيء في الارض ولا في السماء . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاتِهِ .



الفهارس

الفهرس الاول في تبیین الرسائل

الرسالة الأولى من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة سبتة يخبرهم برجوعه الى حضرة بعد كمال غزوة ويمظهم وينصحهم ١

الرسالة الثانية من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى القاضي أبي القاسم محمد بن الحاج يخبره بوصول رسله إليه ويقبل عذره ٣

الرسالة الثالثة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة صنهاجة تأسفرت في ٢٧ ربيع الاول سنة ٥٤٣ . وفيها بعض الاعلانات والنصائح ٥

الرسالة الرابعة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى الشيخ الاجل أبي زكرياء يحيى بن علي يعني ابن غانية في ٩ ربيع الثاني ٥٤٣ يدعو فيه الى التوحيد ٦

الرسالة الخامسة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة سبتة يخبرهم بوصول كتابهم عن غزوة أسطولهم على النصارى بمدينة المرية ١٠

الرسالة السادسة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى جماعة المشيخة بقرطبة في ٢ صفر ٥٤٤ يخبرهم بوصول وفدهم اليه وَيَعْظُمُهُمْ ١٣

الرسالة السابعة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى أهل مدينة قسنطينة في ٢٤ جمادى الاولى ٥٤٧ يَعْظُمُهُمْ ويدعوهم الى التوحيد ١٧

الرسالة الثامنة من إنشاء الكاتب أبي عقيل بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة تلمسان في ١٠ شعبان ٥٤٧ يعلمهم بفتح قسنطينة وإجابة يحيى بن العزيز صاحب بجاية الى التوحيد. ٢٢

الرسالة التاسعة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى الشيخ أبي محمد وسنار وكافة أهل مراکش في أوّل ربيع الثاني ٥٤٨ يخبرهم بغزوته في البلاد الشرقية وظفر الموحدين على الاعراب بناحية سطيف ٢٦

الرسالة العاشرة لعلها من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد يعني ابن مرذنيش صاحب شرق الاندلس في ١٦ جمادى الآخرة ٥٤٨ يَعْظُمُهُ ويدعوه الى التوحيد ٣٥

الرسالة الحادية عشرة لعلها من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن . وهي عديمة الرأس لبترو وقع في الاصل ومخبرة

- ٣٨ بثورة أخوي المهدي بمراكش وقتلها وقتل أصحابها
- الرسالة الثانية عشرة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة تلسان يخبرهم بتطوير الموحدين على طبقات ثلاث بحسب قدر كل واحد منهم ٤٧
- الرسالة الثالثة عشرة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة سبتة وطنجة يخبرهم بتقديم ابنه محمد على بلاد إفريقية وولايته عهده ٥٥
- الرسالة الرابعة عشرة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة سبتة في ١٢ ربيع الاول ٥٥١ يعلمهم بولاية بنه على بعض أقطار مملكته ٦١
- الرسالة الخامسة عشرة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة سبتة في ٥ جمادى الآخرة ٥٥١ يعظهم وينصحهم ٦٧
- الرسالة السادسة عشرة من إنشاء الكاتب أبي عقيل بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة بجاية في العشر الاول من شعبان ٥٥٢ يخبرهم بفتح المريّة وبياسة وأبّدة وموت السلّينطين أمير النصارى . ٧١
- الرسالة السابعة عشرة من إنشاء الكاتب أبي عقيل بن عطية . عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة بعض مدّنه في ٨ شوال ٥٥٢ يذكر فيها وفود القبائل الذين يبلاد السوس والتماسهم الامر وتوحيدهم وما انضاف الى

- ذلك من الوصول الى تينملل وزيارة قبر المهدي ابن تومرت ٨١
- الرسالة الثامنة عشرة من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عيَّاش . عن الخليفة
عبد المؤمن الى طلبة بعض مدُن الاندلس يخبرهم بوصول كتابهم في
غزواتهم على الروم ٩٣
- الرسالة التاسعة عشرة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن الخليفة
عبد المؤمن الى طلبة غرناطة في ٢٠ قعدة ٥٥٤ يعلمهم ببناء مدينة
بجبل الفتح ٩٥
- الرسالة العشرون من إنشاء الكاتب أبي الحكم بن المرخي . عن الخليفة
عبد المؤمن الى طلبة قرطبة يخبرهم بفتح مدينة قفصة .. ٩٩
- الرسالة الحادية والعشرون من إنشاء الكاتب أبي القاسم القالسي . عن
الخليفة عبد المؤمن الى طلبة فاس في ١٤ ربيع الثاني ٥٥٥ يعلمهم
بهزيمة عرب إفريقية ودخولهم تحت طاعة الموحدين .. ١١٣
- الرسالة الثانية والعشرون من إنشاء الكاتب أبي القاسم القالسي . عن الخليفة
عبد المؤمن مخبراً بهزيمة النصارى في نواحي قرطبة. .. ١٢١
- الرسالة الثالثة والعشرون من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية . عن
الخليفة عبد المؤمن الى طلبة بجاية في ٣ ربيع الثاني ٥٥٦ . وهي
الرسالة المعروفة برسالة الفصول يوصيهم فيها بإقامة الحدود وحفظ
الشرائع وإظهار الحق بلزوم الواجبات ١٢٦
- الرسالة الرابعة والعشرون من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عيَّاش . عن

الامير يوسف بن عبد المؤمن الى أخيه أبي سعيد والشيخ أبي سعيد
يخلف بن الحسن يخبرهما ببعث غزوة الى المرتدين من صنهاجة وإقامة
الجوش لغزو العدو بجزيرة الاندلس ١٣٨

الرسالة الخامسة والعشرون من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عيَّاش . عن
الامير يوسف بن عبد المؤمن الى أمير شرق الاندلس وهو أبو عبد
الله محمد بن سعد المشهور بابن مرزنيش في أوّل رمضان ٥٦٤ يدعو
فيها الى التوحيد ١٤١

الرسالة السادسة والعشرون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن
الامير يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة قرطبة في نصف شوال ٥٨٦
يخبرهم بارتحال رياح من عرب إفريقية الى الاندلس برسم الجهاد . ١٤٩
الرسالة السابعة والعشرون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن
الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة غرناطة في ٧ جمادى
الاولى ٥٨٠ يخبرهم ببيعه ويدعوهم الى اشتراكهم فيها .. ١٥٨

الرسالة الثامنة والعشرون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن
الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة إشبيلية في عقب
رمضان ٥٨٠ يأمرهم بقطع شرب الرُّبّ وبيعه ودفع زكاة الفطر
للقاضي أبي المكارم ليوذعها على الضعفاء ١٦٤

الرسالة التاسعة والعشرون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن
الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة إشبيلية في ٥ ربيع

الثاني ٥٨١ يخبرهم بغزوة الموحدين على علي بن غانية وفتح مدينة

بجاية ١٦٨

الرسالة الثلاثون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن الامير

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة مراکش في ١٨ شعبان

٥٨٣ يخبرهم بهزيمة بني غانية بحمة مطماطة وفتح مدينة قابس .. ١٨٠

الرسالة الحادية والثلاثون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن

الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة تونس في ٢ رمضان

٥٨٣ يعلمهم بدخول أهل الجريد تحت طاعة الموحدين وبمحاصر مدينة

قفصة ١٩١

الرسالة الثانية والثلاثون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن

الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة مراکش في ١٣

قعدة ٥٨٣ يعرفهم بفتح مدينة قفصة ١٩٩

الرسالة الثالثة والثلاثون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن

الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة مراکش في ١٠ ربيع

الأول ٥٨٤ يخبرهم برجوعه من إفريقية الى المغرب الاقصى ٢١٠

الرسالة الرابعة والثلاثون من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة . عن

الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة سبتة في ٢٦ جمادى

الآخرة ٥٨٦ يخبرهم بغزوة بغرب الاندلس وأخذ بعض حصون من

أيدي النصارى ٢١٨

- الرسالة الخامسة والثلاثون من إنشاء الكاتب أبي عبد الله بن عيَّاش . عن
الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الى طلبة فاس في ٩ رمضان
٥٩٢ يخبرهم بغزوته على الروم في ثغر الاندلس الشمالي ٢٢٨
- الرسالة السادسة والثلاثون من إنشاء الكاتب أبي عبد الله بن عيَّاش . عن
الامير محمد الناصر الموحدى مخبراً باستيلاء الموحدىن على منورقة
ويايسة وميورقة ٢٤١
- الرسالة السابعة والثلاثون من إنشاء الكاتب أبي عبد الله بن عيَّاش . عن
الامير محمد الناصر الموحدى مخبراً بغزوته في قبلي إفريقية وحصاره
للمهدية ٢٤٨

الفهرس الثاني في أسماء الرجال

- اسماعيل بن عبد المؤمن الامير الموحدى ١٤٠
براز بن محمد ابو إسحق ٩٧ - ٩٨
ابن تفرجين ابو حفص عمر ٤٥
ابن تومرت المهدي ٨١
ابن الحاج أبو الحسن ٤
- - - القاسم محمد القاضي ٣

ابن الحاج ابو محمد ٤

ابن حمدون = محمد بن علي ، ميمون بن علي

رشيد ١٧٨

ابن الريق ملك النصارى ٢٢٣-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧

ابن زرقون أبو عبد الله ٤

أبو زيان ١٩١

السُّلَيطِين أمير النصارى ٧١-٧٥-٧٧

عبد الله بن أبي إسحق أبو محمد ١٧٧

- - - خيار أبو محمد ٩٨

- - - سليمان أبو محمد ١١

عثمان بن عبد المؤمن أبو سعيد الامير الموحدي ١٣٩

ابن عطية أحمد أبو جعفر الكاتب ١-٣-٥-٦-١٠-١٣-١٧-٣٦-٣٥-٣٨

٤٧-٥٥-٦١-٦٧-٩٥-١٢٦

ابن عطية عطية أبو عقيل الكاتب ٢٢-٧١-٨١

عمر بن تفراجين أبو حفص ٤٥

- - يحيى أبو حفص الهنتاتي ٥٨-٥٩-٦٠-٩٨-١٢٣-١٤٩

ابن عيَّاش عبد الملك أبو الحسن الكاتب ٩٣-١٣٨-١٤١

- محمد بن عبد العزيز أبو عبد الله الكاتب ٢٢٨-٢٤١-٢٤٨

القالمي أبو القاسم الكاتب ١١٣-١٢١.

قراقوش ١٨٩-١٩٠-١٩٨

ابن مخشرة أبو الفضل بن طاهر الكاتب ١٤٩-١٥٨-١٦٤-١٦٨-١٨٠

١٩١-١٩٩-٢٠٨-٢١٠

محمد بن سعد أبو محمد المعروف بابن مرزنيش ٣٥-١٤١

- - عبد المؤمن الامير الموحد ٥٥-٥٧-٦٢

- - علي بن حمدون أبو عبد الله ٢٠

ابن المرخي أبو الحكم بن عبد العزيز الكاتب ٩٩

مسعود بن سلطان بن زمام أبو سرحان ١٥٤-٢٥٩

أبو المكارم القاضي ١٦٧

ميمون بن علي بن حمدون القائد أبو محمد ٢٠

وسنار أبو محمد الشيخ ٢٦

يحيى بن إسحق بن إبراهيم أبو زكرياء ٩

- - العزيز أبو زكرياء صاحب بجاية ٢٢

- - علي أبو زكرياء المعروف بابن غانية ٦

يخلف بن الحسن أبو سعيد الشيخ ١٣٩

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الامير الموحد ١٥٨

يعيش الشيخ الحاج ٩٧-٩٨

٢٧٠ الفهرس الثالث في أسماء القبائل والعشائر والاجناس

يوسف بن عبد المؤمن الامير الموحدى ١٣٨

- - مالك أبو يعقوب ١١٨

الفهرس الثالث

في أسماء القبائل والعشائر والاجناس

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| رياح ١١٦-١١٨-١١٩-١٥٢-١٥٣ | الانبج ١١٩ |
| ١٥٦ | الافريون ١٢٢-٢٣٩ |
| زُغبة ١١٩-٢٥٧ | الاكراد ١٠١ |
| سُلَيم بن منصور (بنو) ١٥٦-١٨٧ | جدميوة ٨٣ |
| ٢١٦-٢٥١-٢٥٧ | جزولة الكُنت ٨٤-٨٨-٨٩ |
| الشريد ٢١٦-٢٥٧ | جُشم ١١٨ |
| صنهاجة تاسُفرت ٥ | جنفيسة ٨٣ |
| المبَّاس (بنو) ٢٥٨ | حاحة ٨٣-٨٤ |
| العرب أو الاعراب ٢٨-٢٩-٣٠ | دَمَر ٢٥٣ |
| ٩٨-١٠١-١٠٦-١١١-١١٣-١١٥ | رجراجة ٨٣ |
| ١٥٢-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٦٠-١٦١ | الروم ١٢٤-١٢٥-١٥٢-٢٣٠-٢٣٣ |

﴿ الفهرس الرابع في أسماء المدن والاماكن والبلدان ﴾ ٢٧١

| | |
|-------------------------|-----------------------------|
| ٢٥٥-٢٥٤-٢٤٧-٢٢٠-١٨٧-١٦٣ | مصودة أو المصامدة ٨٣-٥٣ |
| ٢٥٨ | المَيُورقيون ٢٠٧-١٨٣ |
| ١٨٣ | النصارى ١٢٢-١٠٥ |
| ٢١٤-٢٠٨-٢٠٦-١٩٨-١٩٧-١٩٠ | نفوسة ٢٥٣ |
| ٢٥٥-٢٥٤ | هرغة ٨٧ |
| غمارة ٦٤ | هسكورة ٨٨ |
| لمطة ٨٩ | هلال بن عامر (بنو) ٥٣-٣٣-٣٠ |
| محمد (بنو) ١١٩-١١٨ | ٢٥٧-٢٥١-٦٢ |
| مسوفة ٩ | هنتاة ٨٧ |

الفهرس الرابع

في أسماء المدن والاماكن والبلدان

| | |
|---------------|----------------------------|
| أبذة ٧٩-٧٨-٧١ | إسكندرية ١٥٦-٢٩ |
| ابلتانية ٢٣٣ | إشبيلية ١٦٨-١٧٤-١٥٩-١٢٣-٩٨ |
| آبله ١٢٢ | ٢٣٢-٢٣٠-٢٢٢-٢١٩ |
| آرغون ٢٤٧ | آشير ١٧٢ |
| إستجة ١٢٣ | اطرابلس ٢٥٤-١٩٨-١٥٦ |

٢٧٢ الفهرس الرابع في أسماء المدن والاماكن والبلدان

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| تلسان ٢٢-٢٧-٤٧-٦٣-١٧٦ | إغرناطة = غرناطة |
| تقيوس ١٩٦ | إفريقية ٢٩-٣٤-١٠١-١٠٢-١٠٦ |
| توزر ١٩٦-١٩٧ | ١١٠-١١٣-١١٥-١١٦-١١٧-١١٨ |
| تونس ١٥١-١٨٤-١٩١-٢٥١-٢٥٢ | ١٨٣-١٩٠-٢١١-٢١٦-٢٤٧-٢٥٢ |
| تينسليت ٩١ | ٢٥٨-٢٥٤ |
| تينملل ٥-٨١-٨٧-٩١-٩٢ | آنسا ٨٧-٨٨-٩٢ |
| جبل طارق ٩٧ | إيجليز ٨٦ |
| الجريد ١٩٥-١٩٧-٢٥١-٢٥٢-٢٥٥ | بجاية ١٧-٢٢-٢٣-٤٢-٧٢-١٠٦ |
| الجزائر ١٧٢-١٧٦ | ١٢٦-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٦-١٧٧ |
| جزيرة الاندلس ٣٦-٧٣-٧٩-٨٠ | ١٧٨ |
| ٩٧-١١١-١٢٢-١٤٩-١٥٢-١٥٣ | بحر المجاز ٢٤٠ |
| ١٥٥-١٧٥-٢٢٠ | البحيرة ٥٤ |
| الجزيرتان (الحضراء وطريف) ٦٤ | برشلونة ٢٤٧ |
| الحمة ١٩٦ | برقة ١٥٦ |
| حمة مطاطة ١٨٧-٢٠٦ | بطربونة ٢٣٩ |
| دار الغارة ٢٣٩ | بلنسية ٣٧ |
| رباط الفتح ٤٤-٥٦-٦٢-١٢٨ | بياسة ٧١-٧٨-٧٩ |
| سبتة ١-١٠-٥٥-٦١-٦٤-٦٧-٢١٨ | تارودانت ٧٥ |
| | تورجالة ٢٣٢ |

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| سطف ٣١ | قسنطينة ١٧-٢٢-٢٤-٢٥-٢٨-٣٠ |
| السوس ٨١-٨٤-٨٥-٨٧ | ١٧٢-١٧٥-١٧٩ |
| شرق الاندلس ١٤١ | قشتالة ٢٢١ |
| شترين ٢٢٣-٢٢٦ | قصر المجاز ٢٢٢ |
| شنتقروش ٢٣٢ | قفصة ٩٨-١٠٠-١٨٦-١٩٤-١٩٧ |
| طرش ٢٢٣ | ٢٠١-٢٠٦-٢٠٨-٢١٤-٢١٥-٢٣٠ |
| طلبيرة ٢٣٥ | ٢٣٥-٢٣٦-٢٥٢ |
| طليطلة ٢٢٦-٢٣٩-٢٤٠ | القلعة ٢٤-٢٨-١٧٢ |
| طُمار ٢٢٥ | القيروان ١٠٣-١٨٦-٢٥٢ |
| طنجة ٥٥-٦٤ | الكُنت ٨٤-٩١ |
| غرناطة (أو اغرناطة) ٧٤-٧٧-٩٥ | الكنبانية ١٢٣ |
| ١٥٨ | لورقة ٣٧ |
| فاس ٤٣-٤٤-١١٣-٢٢٨ | ليون ٢٢٢-٢٣٨ |
| فحص هلال ١٢٤ | مالقة ١١-١٣-٦٤ |
| قابس ٩١-١٨٣-١٨٧-١٨٩-١٩٥ | متيجة ٣١-١٢١-١٧٩ |
| ٢٠٨-٢١٤-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦ | مراكش ١-٤-٥-١٠-١٤-٢٦-٣٥ |
| قرطبة ١٣-٩٩-١٢٣-١٤٩-٢٢٣ | ٣٨-٤٩-٦٧-٧٢-٨٢-٩٤-١٣٩ |
| ٢٢٦ | ١٤٢-١٦٥-١٧٠-١٨٠-١٩٩-٢١٠ |
| قسطيلية ١٩٥ | ٢٤٢ |

٢٧٤ الفهرس الرابع في أسماء المدن والاماكن والبلدان

| | | | |
|---------------------|---------------|-------------------|-----------------|
| ٢٤٥-٢٤٤-٢٤٣-١٧٦-١٧٠ | مورقة | ٧٨-٧٥-٧٤-٧٣-٧١-١١ | المرية |
| ٢٤٧ | | ٢٥٤ | مصر |
| ١٩٥-١٩١ | نزاوة | ٢٤٣-١١٩-٨٩ | المغرب الاقصى |
| ١٩٦ | نقطة | ١٧٥-١٧٢ | مليانة |
| ٣١ | وادي الاقواس | ٢٣١ | منت انتش |
| ٢٣٧-٢٣٣-٢٢٣ | وادي تاجو | ١٢٣ | منتور |
| ١٨٦ | وادي ران | ٢١٢ | منزل أبي سعيد |
| ١٢٣ | الوادي الكبير | ٢٥٧ | منزل أم العافية |
| ٥٤ | وهران | ١١ | المنكب |
| ٢٤٤-٢٤٣ | يابسة | ٢٤٤-٢٤٣ | منورقة |
| ٣٠ | اليمين | ٢٥٥-٢٥٠-٢١٦-٩٦ | المهدية |



تصويبات

—

- ص ٣٩ س ١٨ : ويمزن ، وصوابها : ويمرن
ص ١٠٣ س ١٧ : يسر ، وصوابها : سير
ص ١١٦ س ٤ : المظفر ، وصوابها : المظفر
ص ١٩٠ س ٤ : للاغزار ، وصوابها : للاغزاز

—

COLLECTION DE TEXTES ARABES
PUBLIÉE PAR L'INSTITUT DES HAUTES ÉTUDES
MAROCAINES VOLUME X

TRENTE-SEPT LETTRES OFFICIELLES ALMOHADES

TEXTE ARABE
ÉTABLI ET PUBLIÉ
PAR
E. LÉVI-PROVENÇAL



RABAT

1941

IMPRIMERIE ÉCONOMIQUE — RUE DE POITIERS

**TRENTE-SEPT LETTRES
OFFICIELLES ALMOHADES**